الولاية التكوينية

حقيقتها ومظاهرها

محاضرات

آية الله العلامة
السيد كمال الحيدري

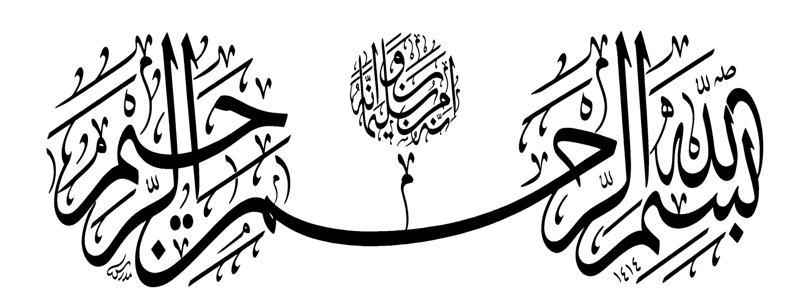
بقلم
الشيخ علي حمود العبادي

حيدرى، كمال
الولاية التكوينية: حقيقتها ومظاهرها: محاضرات آية الله العلامة السيد كمال الحيدري/ بقلم علي حمود العبادي. ـ قم: دار فراقد، ١٤٣١ ق.= ٢٠١٠م. = ١٣٨٩.
٢٧٦ ص.
ISBN 978 – 964 – 2902 – 54 – 5 :٧٠٠٠٠ ريال
فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه: ص [٢٥٩]-٢٦٤؛ همچنين به صورت زير نويس.
چاپ اول
١. ولايت تكويني.٢. ولايت تكوينى – أحاديث. ٣. ولايت تكوينى – جنبه هاى قرآنى. ألف. عبادى، علي حمود محرر. ب. عنوان.

٨و ٩ح/٨/ BP ٢٢٣ ٢٩٧ /٤٥

الكتاب:	**الولاية التكوينية حقيقتها ومظاهرها**
المؤلف:	**علي العبادي**
التدقيق والإخراج:	**عبد الرضا عبد الحسين**
تنضيد الحروف:	**محمد البديري**
الناشر:	**دار فراقد**
الطبعة الأولى	**١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م**
المطبعة:	**ستاره**
السعر:	**٧٠٠٠٠ ريال**
ISBN :	**٥ ـ ٥٤ـ ٢٩٠٢ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨**

دار فراقد للطباعة والنشر
قم ـ إيران


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يعدّ هذا البحث جزءًا من مجموعة أبحاث في الإمامة القرآنية – عرضنا فيها لحقيقة الولاية التكوينية ومظاهرها – أُلقيت كدروس على ثلّة من الفضلاء في حوزة قم المقدّسة، وقد حاول تلميذنا العلاّمة الحجّة الشيخ علي حمّود العبادي – دامت توفيقاته – أن يخرجها بصيغة كتاب بعد تدوينها وإبداء الملاحظات الفنّية والتوضيحية عليها؛ مما كان له الأثر المفيد في صياغتها بهذه الصورة.

وبعد ملاحظة ما قرّره وجدت أنها تستوعب جميع التفاصيل التي عرضتُ لها بدقة وعمق وحسن بيان؛ ومن ثمّ فهي تعبّر عن جهد فكريّ وعلميّ جليل للكاتب الفاضل بذله من أجل توضيح هذه الأفكار.

وإني إذ أشكر له هذا الجهد المبارك أدعو الله العليّ القدير أن يجعله علماً من أعلام هذه الأمّة راجياً أن يواصل الشوط الذي افتتحه بهذه الدراسة، لاسيّما مع ما تعيشه الأمّة من تساؤلات مختلفة في هذا المجال، آملاً أن تستجيب لبعض تلك المتطلّبات الفكرية والعقائدية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كمال الحيدري

٢ جمادى الأولى ١٤٣١ هـ

المقدمة

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور وأنقذنا من الجاهلية بالإسلام، والصلاة والسلام على خير خلقه خاتم رسله، البشير النذير والسراج المنير، سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، عصمة المعتصمين ومنار المهتدين، والسلام على صفوة أصحابه الصالحين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: ما زالت بعض مقامات أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم ينتابها الغموض والضبابية، رغم تركيز القرآن الكريم والسنّة النبوية على بيان حقيقة أهل البيت عليهم السلام ومقاماتهم بصورة واضحة.

فقد تحدّث القرآن الكريم في مواضع متعدّدة عن مكانة وعظمة أهل البيت عليهم السلام وسموّ مقاماتهم، وإليك بعض هذه النصوص القرآنية:

١ ــ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، حيث تحدّثت الآية المباركة عن مبدأ الاصطفاء للآل والأهل، الذي يشكّل أهل البيت عليهم السلام مصداقه البارز، وهو ما نلمسه واضحاً في عدد وافر من الروايات الشريفة التي تفسّر آل إبراهيم بآل محمد صلّى الله عليهم أجمعين، باعتبار أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وأهل بيته ينتمون إلى نبيّ الله إسماعيل عليه السلام،

(١) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

ومن ثم فهم عليهم السلام ينتمون إلى النبيّ إبراهيم عليه وعلى نبيّنا وآله السلام.

فقد أخرج البخاري عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال: «هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد؛ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾[1] وهم المؤمنون، أي: المراد بآل عمران المصطفَون المؤمنون منهم، وكذلك المؤمنون من آل إبراهيم، والمؤمنون من آل ياسين، والمؤمنون من آل محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، فهو من العامّ الذي أريد به الخاصّ»[2].

وعن جابر بن يزيد الجعفي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال: «**... فأنا بقيّة من آدم وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد عليهم السلام...**»[3].

وفي تفسير العياشي عن الباقر عليه السلام أنّه قيل له: ما الحجّة في كتاب الله أنّ آل محمد هم أهل بيته عليهم السلام؟ قال: «**قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولا يكون الذرّية من القوم إلاّ نسلهم من أصلابهم. والله سميع بأقوال الناس عليم بأعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل**»[4].

---

(١) آل عمران: ٦٨.

(٢) **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، ج٣ ص١٢٦٣، كتاب الأنبياء.

(٣) **الغيبة**، الشيخ محمد بن ابراهيم النعماني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق: ص٢٨٨-٢٩١.

(٤) **تفسير العياشي**، محمد بن مسعود العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران: ص١٦٩.

وفي العيون، في حديث الفرق بين العترة والأمّة: «قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: هل فضّل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: «**إنّ الله تعالى أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه**. فقال له المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟ فقال الرضا عليه السلام: **في قوله تعالى**: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾[1] ونحوها من الروايات.

٢ــ قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2]، وهذه الآية المباركة تشير إلى طهارة وعصمة أهل البيت عليهم السلام، وهو بحث واسع لا يناسب دور المقدّمة.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ**﴾[3].

فقد أخرج مسلم وأحمد والترمذي وابن حجر وابن الأثير وغيرهم بسندهم إلى سعد بن أبي وقاص قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ**﴾ دعا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: **اللّهمّ هؤلاء أهلي**»[4].

---

(١) **عيون أخبار الرضا عليه السلام**، الصدوق، محمد بن الحسين، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت: ج ٢ ص١٧ – ١٨.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) آل عمران: ٥٩ ـ ٦١.

(٤) انظر صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ط١، دار الفكر، بيروت: ج٤ ص١٨٧٠؛ سنن =

وقـد سـجّلت المباهلة منقبة عظمى لرسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته الكـرام الـبررة، والـذين اجتـباهم الله تعـالى لتلك المنازل العظيمة هم علي وفاطمة والحسن والحسين ولا أحد سواهم.

قـال القرطبـي في كلمـة (أبـناءنا): «دلـيل عـلى أنّ أبناء البنات يسمّون أبـناء؛ وذلـك أنّ النبـيّ صلّى الله عليه وآله جاء بالحسن والحسين، وفاطمة تسير خلفهما، وعليّ خلفهما، وهو يقول لهم: **إن دعوت فأمّنوا...**» (١).

وقـال الفخـر الـرازي: «هـذه الآيـة دالّة على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام كانـا ابني رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ وعَد أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه» (٢).

٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ (٣).

وقـد أكّـدت أغلـب كـتب التفـسير، وكثير من مصادر الحديث والسيرة والـتاريخ نـزولها في قربى النبيّ صلّى الله عليه وآله، وهم: عليّ والزهراء والحسن والحسين وذرّيتهم الطاهرون عليهم السلام.

فقـد أخرج الطبراني وغيره في تفسير هذه الآية بالإسناد إلى ابن عبّاس،

= **الـترمذي**، محمـد بـن عيـسى: ج٥، ص٦٢٥؛ **مسند أحمد بن حنبل**: ج١، ص١٨٥؛ **مستدرك الحـاكم** وصـححه عـلى شرطـين: ج٣، ص١٣٦. وعلّـق الذهبـي بقـوله: عـلى شرط البخاري ومـسلم، المـصدر نفـسه: ج٢ ص١٣٦؛ **أسـد الغابـة** لابن الأثير: ج٤ ص١١٤؛ **الإصابة** لابن حجر: ج٤ ص٤٦٨؛ **تفسير القرطبي** محمد بن أحمد: ج٤، ص١٠٤؛ **تفسير أبي السعود**: ج٢ ص ٤٦؛ **روح المعاني**، محمود الآلوسي: ج٣، ص١٨٨.

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج٤، ص١٠٤.

(٢) **التفسير الكبير**، الفخر الرازي: ج٨، ص٨٦.

(٣) الشورى: ٢٣.

قـال: «لما نزلت هذه الآية ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قالوا: يـا رسـول الله، مـن قرابتك هؤلاء الذين وجَبَت علينا مودّتهم؟ قال صلّى الله عليه وآله: **علي وفاطمة وولداهما**»[١].

وأخـرج ابـن حنبل في الفضائل: «عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، قالوا: يا رسول الله، من قرابتنا هؤلاء الذين وجبَت علينا مودّتهم؟ قال: **عليّ وفاطمة وابناها عليهم السلام**»[٢].

وأخـرج الطبراني بسنده عن ابن الطفيل: «أنّ الحسن كرّم الله وجهه قال في خطبـته: «**أنـا مـن أهـل البـيت الـذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، فقال لنبيّـنا: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًا﴾ واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت**»[٣].

وروى الحـديث الهيثمـي في مجمـع الـزوائد، وعلّـق عليه قائلاً: «رواه الطـبراني في الأوسط والكبير باختصار.. وأبو يعلى باختصار والبزار وأحمد ونحوه ... وأسناد أحمد وبعض طرق البزار والطبراني في الكبير حسان»[٤].

وأورده ابـن حجـر الهيتمـي في الـصواعق، وقـال: «وأخـرج البـزار والطبراني عن الحسن رضي الله عنه من طرق بعضها حسن»[٥].

---

(١) **المعجم الكبير**، الطبراني، سليمان بن أحمد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل: ج٣، ص٤٧.

(٢) **فضائل الصحابة**، أحمد بن حنبل، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ج٢، ص٦٦٩.

(٣) **المعجم الأوسط**، الطبراني، سليمان بن أحمد، دار الحرمين، القاهرة: ج٢، ص٣٣٧.

(٤) **مجمـع الزوائد**، الهيثمي، نور الدين، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة عام ١٤٠٨: ج٩، ص١٤٦.

(٥) **الـصواعق المحـرقة**، الهيتمـي، ابـن حجر، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة عام ١٤٢٠ هـ.: ص٢٥٩.

و أخرج مسلم في صحيحه عن سعيد بن جبير أنّه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد عليه السلام...»[١].

واستدلّ الزمخشري على أنّ آية المودة نازلة في أهل البيت عليهم السلام وذكر الحديث بقوله: «وروي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: **عليّ وفاطمة وابناهما**». ثم قال: «ويدلّ عليه ما روي عن علي رضي الله عنه: شكوت إلى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حسد الناس لي، فقال: **أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذريّتنا خلف أزواجنا**. وعن النبيّ صلّى الله عليه]وآله[وسلّم: **حُرّمت الجنّة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي...**»[٢].

واستدلّ الفخر الرازي كذلك على نزول الآية بأهل البيت عليهم السلام بثلاثة وجوه، حيث قال: «فثبت أنّ هؤلاء الأربعة [وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام] أقارب النبيّ صلّى الله عليه وآله، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد من التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

الثاني: لا شكّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله يحبّ فاطمة عليها السلام، قال صلّى الله عليه وآله: **فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها**، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه كان يحبّ علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّة مثله؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

---

(١) **صحيح مسلم**: ج٤، ص١٨١٩.

(٢) **الكشاف**، الزمخشري، ط٢، منشورات البلاغة، قم: ج١، ص١١٥٦.

﴿تَهْتَدُونَ﴾، ولقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾.

الثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة، وهو قوله: اللهم صلّ على محمد وآل محمد. وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكل ذلك يدلّ على أنّ حبّ محمد وآل محمد واجب»[1].

وقد أشارت الآية المباركة إلى بُعد آخر يكشف عن عظمتهم عليهم السلام، وهو بُعد يشير إلى تشخيص طبيعة العلاقة التي يجب أن تقوم بين أبناء الأمة الإسلامية وأهل البيت عليهم السلام، وهي علاقة تعبّر عن طبيعة العلاقة مع الإمامة التي هي امتداد للعلاقة مع الله تعالى ورسوله. وغير ذلك من النصوص القرآنية التي لا يسع المقام لذكرها.

هذا مضافاً إلى وجود أحاديث كثيرة تشير إلى عظمة مكانة أهل البيت عليهم السلام كقوله صلّى الله عليه وآله في حديث الثقلين: «**إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي**»، وقوله صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام في حديث المنزلة: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي**»، وقوله صلّى الله عليه وآله في حديث الغدير: «**من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه**» وقوله في حديث السفينة، وفي حديث النجوم، وحديث سدّ الأبواب، وباب حطّة، والوصية، والمناجاة، والمؤاخاة، والكساء، والطائر المشويّ، والاثني عشر خليفة، وما إلى ذلك من العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تطفح بها مصادر مدرسة الصحابة فضلاً عن مصادر مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) **التفسير الكبير**، الفخر الرازي: ج٢٧، ص١٦٦.

إلاّ أنّـه عـلى الـرغم مـن هـذا التأكـيد الواسـع مـن قبل القرآن والسنّة الـشريفة عـلى عظمـة أهـل البـيت علـيهم الـسلام، نجـد أنّ هنالك الكثير من مقاماتهم وفضائلهم التي يكتنفها الإبهام والغموض.

ومـن أهمّ العوامل التي ساهمت في طمس وتغييب مقامات أهل البيت علـيهم الـسلام وفـضائلهم: مـا تعرّضوا إليه من حملات الظلم والتعذيب التي مورسـت ضـدّهم، التـي لم تقتـصر على الجانب المادّي والتعذيب الجسدي والقـتل والتـشريد ونحـوها مـن الممارسـات، بـل امـتدّ ذلك الظلم لقتلهم معـنوياً مـن خـلال التعتـيم الإعلامـي لشخصيتهم وطمس مقاماتهم عليهم الـسلام، وتـزييف الحقائـق ووضع الأخبار التي تضلّل العقول، فقد حيكت ضـدّ أهـل البـيت علـيهم الـسلام المؤامـرات ومـورس ضـدَّهم شـتَّى أنـواع الضغوط، من قبل أصحاب الضمائر الميتة الذين عمدوا إلى تغييب فضائلهم ومقاماتهم عليهم السلام، ووضعها لمناوئيهم وأعدائهم.

وفي هـذا الـصدد يقـول المناوي في تعليقه على حديث «**إنكم ستبتلون في أهـل بيتي من بعدي**»: «هذا من معجزاته الخارقة لأنّه إخبار عن غيب، وقد وقـع. ومـا حـلّ بأهـل البـيت بعده من البلاء أمر شهير، وفي الحقيقة البلاء والشقاء على من فعل بهم ما فعل»[1].

عـلى هذا الأساس ولأجل كشف هذه الحقيقة المغيَّبة عن شخصية أهل البـيت عليهم السلام انبرى سماحة الأستاذ العلاّمة السيّد كمال الحيدري حفظه الله تعالى، للدفاع عن أهل البيت علـيهم السلام وبيان مقاماتهم، حيث كانت له أبحـاث موسّـعة ومـتعدّدة حـول مقامـات أهـل البيت عليهم السلام من قبيل

---

(١) **فـيض القديـر في شرح الجامـع الصغير**، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥: ج٢ص٧٠١.

الـبحث عن حقيقة إمامة أهل البيت علـيهم السلام وعصمتهم وحقيقة علمهم ونحوها من الأبحاث المتعلّقة بهم عليهم السلام.

وهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ يمثّل أحد الأبحاث التي ألقاهـا سـماحته وخُـصّص للـبحث عن مقام الولاية التكوينية لأهل البيت علـيهم الـسلام، وهـو ـ في الأصـل ـ عبارة عن عدّة دروس ألقاها سماحته على جمع من الطلبة في حوزة قم المقدسة، وقد قمت بعونه تعالى وتوفيقه بترتيبها وإخراجها على هذا الشكل الماثل بين يديك.

منهج البحث

يتلخص منهج البحث في النقاط التالية:

١. الاستناد إلى النصوص القرآنية

٢. الاسـتناد في البرهـنة والاستدلال إلى روايات أهل البيت عليهم السلام التـي تبلغ حدّ الاستفاضة أو التواتر؛ مما يغني عن الدخول في غمرة البحث السندي.

٣. الاستناد والاستشهاد بأقوال العلماء والمحقّقين.

٤. حرصتُ على الإفادة من المصادر والمراجع القديمة لأصالتها.

٥. الاسـتناد والـرجوع لبعض البحوث الفلسفية والكلامية في الموارد التي تحتاج تغطيتها والاستدلال والبرهنة إلى ذلك.

خطة البحث

انطلقت خطّة البحث بتقسيمه إلى فصول خمسة:

الفـصل الأول: تـضمّن التعـريف بمفهـوم الـولاية التكوينـية في اللغة

والاصطلاح، ثمّ الاستدلال على إمكانية توفّر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى، من دون استلزام ذلك أيّ محذور.

الفصل الثاني: البحث في الأدلّة القرآنية والروائية الدالّة على تصرّف الأنبياء وغيرهم من أولياء الله تعالى بشكل خارق للعادة.

الفصل الثالث: كُرّس للبحث في الأدلّة على ثبوت الولاية التكوينية للرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله.

الفصل الرابع: اعتنى بالأدلّة على ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام.

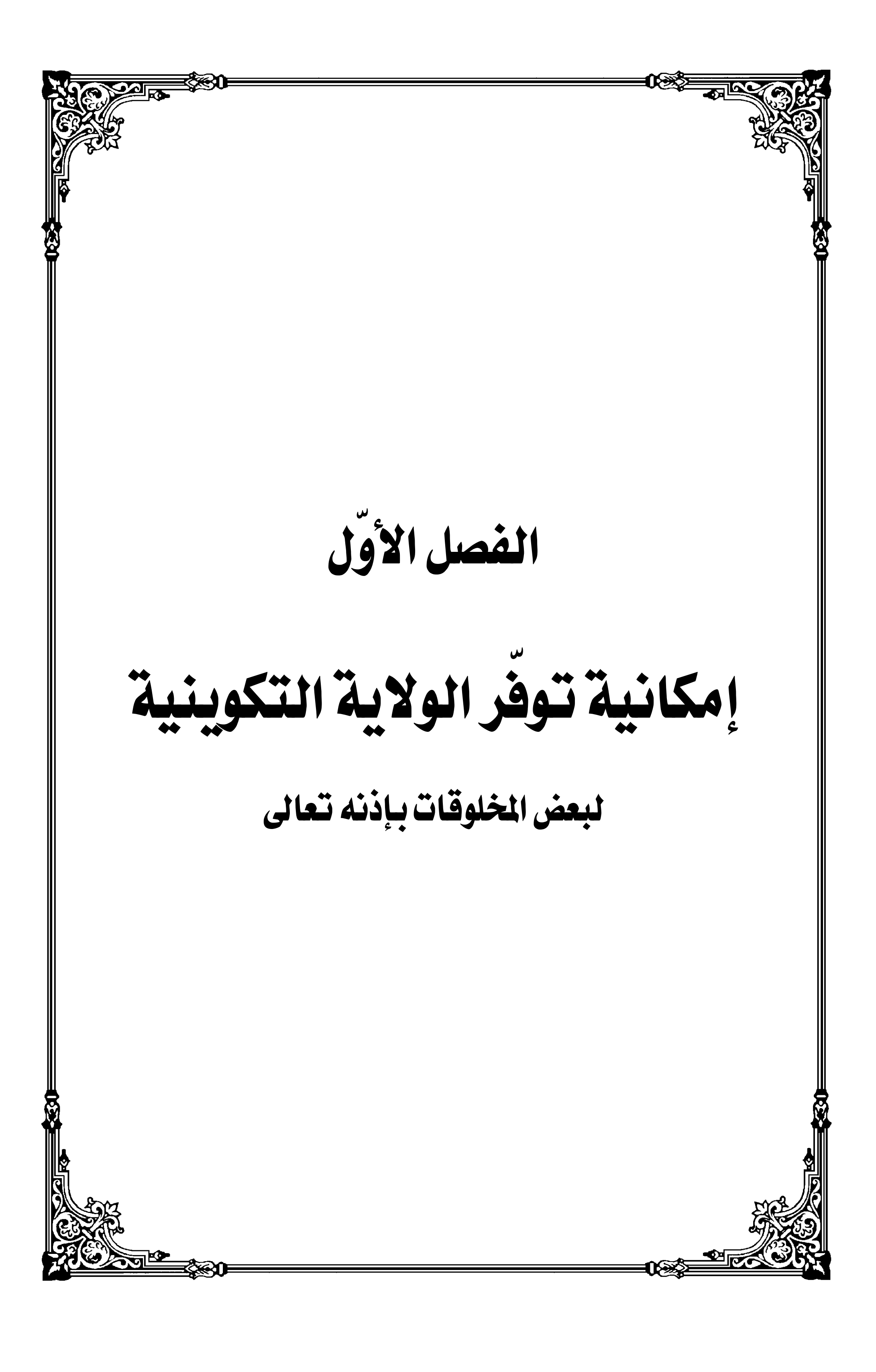
الفصل الخامس والأخير: فقد تناول البحث حول بيان أنّ ما اشتمل عليه أهل البيت عليهم السلام من الولاية التكوينية خارج عن دائرة الغلوّ.

إهداء

أسأله تعالى أن يتقبّل منّي هذه البضاعة المزجاة بأفضل القبول، متضرّعاً إليه تعالى أن يرفع أجر هذا العمل إلى الأرواح الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام وأن تكون موضع رضاهم عليهم السلام.

وأخيراً لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الجزيل للأخ عبد الرضا افتخاري الذي قام بالتقويم والمراجعة اللغوية للكتاب.

علي حمود عناد العبادي



الفصل الأوّل

إمكانية توفّر الولاية التكوينية

لبعض المخلوقات بإذنه تعالى

تمهيد:

في التعريف بمفهوم الولاية التكوينية لغة واصطلاحاً

الولاية لغة

قال الراغب في مفرداته: «الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية النصرة، والولاية تولّي الأمر.....»[1].

وفى لسان العرب: «الولي: وليّ اليتيم الذي يلي أمره ويقوم بكفايته. ووليّ المرأة: الذي يلي عقد النكاح عليها ولا يدعها تستبدّ بعقد النكاح دونه. وفى الحديث: أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاها فنكاحها باطل، وفي رواية: وليّها، أي متولّي أمرها... قال الفراء: الموالي: ورثة الرجل وبنو عمه. قال: والوليّ والمولى واحد في كلام العرب. قال أبو منصور: ومن هذا قول سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله: **أيّما امرأة نكحت بغير إذن مولاها**. ورواه بعضهم: **بغير إذن وليّها**، لأنّهما بمعنى واحد»[2].

---

(١) **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني: مادة ولي.

(٢) **لسان العرب**، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت: مادة ولي.

وقال الجوهري «الولْيّ: القرب والدنوّ. يقال: تباعدنا بعد ولْي، وكُلْ مما يليك، أي: مما يقاربك... و أوليته الشيء فوليه، وكذلك ولي الوالي البلد، وولي الرجل البيع ولاية فيهما.. والمولى: المعتِق والمعتَق وابن العمّ والناصر والجار، والوليّ: الصهر. وكلّ من ولي أمر واحد فهو وليّه»[١].

وقال ابن الأثير: «الوليّ هو الناصر. وقيل: المتولّي لأمور العالم والخلائق القائم بها. ومن أسمائه عزّ وجلّ: الوالي، وهو مالك الأشياء جميعها، المتصرّف فيها. وكأنّ الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل. وما لم يجتمع ذلك فيها لم يطلق عليه اسم الوالي..» [٢].

ومن مجموع كلمات اللغويين يتّضح أنّ لفظ الولاية يأتي على معنيين:

• فتارة يأتي بفتح الواو «وَلاية» فتكون مصدراً مشتركاً بين معانٍ متعدّدة، من قبيل النسب والنصرة والمعتق، قال ابن الأثير: «فالولاية ـ بالفتح ـ في النسب والنصرة والمعتق»[٣]

• وتارة أخرى تأتي الولاية ـ بكسر الواو «وِلاية» ـ فتكون مصدراً وتدلّ على السلطنة والتدبير والحكومة.

قال ابن منظور: «والولاية ـ بالكسر ـ الاسم، مثل: الأمارة والنقابة؛ لأنّه اسم لما تولّيته وقمت به»[٤].

---

(١) **صحاح اللغة**، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧ م، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان:مادة ولي.

(٢) **النهاية** لابن الأثير، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم – ايران: مادة ولي.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) **لسان العرب**، مصدر سابق: مادة ولي.

وما نتوخّى البحث فيه هو الوِلاية ـ بالكسر ـ لأنّها تعني السلطنة والتدبير والتصرّف.

معنى التكوينية لغة

التكوينية مشتقّة من مادّة «كون» ومعنى الكون لغة هو الحدث.

قال الفيروز آبادي: «الكون الحدث، والكائنة الحادثة، والله كوّن الأشياء وأوجدها»[1].

وقال ابن منظور: «الكون مصدر كان التامّة، يقال: كان يكون كوناً أي وجد واستقرّ»[2].

وهذا هو المراد من معنى التكوينية في المقام؛ لدلالته على الإحداث والإيجاد من قبل صاحب الولاية.

ومما تقدّم يتّضح أنّ معنى الولاية التكوينية ـ لغةً ـ هي القدرة على التصرّف في الأمور الكونية التي تتجاوز القدرة العادية في التعامل مع النواميس الطبيعية، مثل إحياء الموتى، أو طيّ الأرض، أو الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف، أو تحريك الرياح...

الولاية التكوينية اصطلاحاً

الظاهر أنّ المعنى الاصطلاحي للولاية التكوينية هو نفس المعنى اللغوي، وهو تصرّف موجود في موجود آخر؛ لتسلّطه وقدرته عليه.

---

(١) **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت: ج٤ ص٢٦٤.

(٢) **لسان العرب**، مصدر سابق: مادة «كان».

الدليل على إمكانية توفّر الولاية التكوينية لبعض الناس

لكي يّتضح الدليل على إمكانية توفّر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى، من دون استلزام ذلك أيّ محذور، لابدّ من بيان عدد من المقدّمات:

المقدّمة الأولى: خلق الله العالم على وفق النظام الأحسن

ولإثبات هذه المقدّمة توجد عدّة أدلّة؛ منها:

الدليل العقلي على النظام الأحسن

حاصل هذا الدليل: أنّ الله تعالى لو لم يخلق هذا العالم على وفق النظام الأحسن، فإنّ ذلك يرجع إمّا لعدم علمه بوجود نظام أحسن مما خلق، وهذا واضح البطلان؛ لما ثبت في محلّه من أنّ علم الله تعالى غير محدود وغير متناهٍ وأنّه لا يعزب عن علمه شيء.

وإمّا يرجع إلى أنّه تعالى وإن كان يعلم بوجود نظام أحسن مما خلق، إلاّ أنّه تعالى غير قادر على الإيجاد.

وهذا الاحتمال باطل أيضاً؛ لما ثبت في محلّه من أنّ قدرته تعالى غير متناهية وغير محدودة بحدّ، وهو القادر على كلّ شيء.

وإمّا يرجع إلى أنّ الله تعالى وإن كان عالماً وقادراً على إيجاد النظام الأحسن

لكنه لا يفعل ذلك لأجل بخل فيه، حاشاه. وهذا الاحتمال واضح البطلان أيضاً؛ لما ثبت في محلّه من أنّ الله تعالى هو الجواد الكريم الغني الحميد.

وبهذا يتّضح أنّ نظام هذا العالم خُلق على وفق النظام الأحسن ولا يمكن أن يوجد نظام أفضل وأحسن منه؛ لوجود المقتضي وفقد المانع.

قال الطباطبائي تحت عنوان: «أنّ النظام الكوني في غاية ما يمكن من الحسن والإتقان» ما نصّه: «إنّ النظام الجاري في الخلقة أتقن نظام وأحكمه لأنّه رقيقة العلم؛ العلم الذي لا سبيل للضعف والفتور إليه بوجه من الوجوه»[1].

الدليل النقلي على النظام الأحسن

١. الدليل القرآني

ثمّة عدد من النصوص القرآنية تشهد بوضوح على أنّ نظام هذا العالم على أحسن ما يمكن، ومن هذه النصوص:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[3].

وتقريب الاستدلال: أنّ معنى الحسن «عبارة عن كلّ مبهج ـ بصيغة الفاعل ـ مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسّ»[4].

---

(١) **نهاية الحكمة**، العلاّمة الطباطبائي، الطبعة الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي: ص٣٠٩.

(٢) الزمر: ٦٢.

(٣) السجدة: ٧.

(٤) **المفردات في غريب القرآن**، مصدر سابق.

وعلّق الطباطبائي على هذا المعنى بقوله: «وحقيقته [الحسن] ملائمة أجزاء الشيء بعضها لبعض والمجموع للغرض والغاية الخارجة منه. فحسْن الوجه تلاؤم أجزائه من العين والحاجب والأنف والفم وغيرها، وحسن العدل ملاءمته للغرض من الاجتماع المدني وهو نيل كلّ ذي حقّ حقّه، وهكذا. والتدبّر في خلقة الأشياء وكلّ منها في نفسه متلائم الأجزاء بعضها لبعض والمجموع من وجوده مجهّز بما يلائم كماله وسعادته تجهيزاً لا أتمّ ولا أكمل منه يعطي أنّ كلًّا منها حسن في نفسه حسناً لا أتمّ وأكمل منه بالنظر إلى نفسه»[1].

إذاً ما من مخلوق إلاّ وخُلق على أفضل وجه، كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ وهذه الآية المباركة إذا ضمّت إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىۡءٍ﴾ يتبين أنّ كل شيء خلقه الله تعالى فهو مخلوق على أحسن وجه وأتقنه وأحكمه.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[3].

فالآية الأولى تشير إلى أنّ الأسماء الحسنى هي لله تعالى ـ أي الأسماء الأفضل والأحسن، كما هو واضح من صيغة التعبير بـ(الحسنى) وهي من أفعل التفضيل، بخلاف الحسنة.

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، قم: ج ١٦، ص ٢٤٩.

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) الإسراء: ٨٤.

وبالانـضمام إلى الآيـة الثانية وهي قوله ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ يتّضح أنّ عمـل الله تعالى وفعله هو الأحسن؛ لأنّ شاكلته تعالى هي خلق كلّ شيء على النحو الأحسن والأفضل ـ كما هو مقتضى الآية المباركة.

والنتـيجة أنّ عـالم الوجـود والخليقة خُلق على وفق أحسن وأفضل نظام وأبلغه إحكاماً وإتقاناً.

٢. التأييد الروائي

هـناك عـدّة مـن الروايات تدلّ بوضوح على أنّ الله تعالى خلق هذا العالم على وفق النظام الأحسن ولا يوجد أحسن منه، ومن هذه الروايات:

• عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: «**قدَّر ما خلق فأحكم تقديره، ودبَّره فألطف تدبـيره، ووجّهـه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته، ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته، ولم يستصعب إذ أمر بالمضي على إرادته. وكيف وإنّما صدرت الأمور عن مشيئته.**

المنـشئ أصـناف الأشـياء بـلا رويّـة فكـر آل إليها، ولا قريحة غريزة أضمر علـيها، ولا تجـربة أفادهـا مـن حـوادث الدهـور، ولا شريـك أعانه على ابتداع عجائب الأمور، فتمّ خلقه وأذعن لطاعته...

فأقـام من الأشياء أودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادّها، ووصل أسـباب قرائنها وفرقها، أجناساً مختلفات في الحدود والأقدار والغرائز والهيئات، بدايا خلائق أحكم صنعها»[١].

• وعن أمير المؤمنين علـيه السلام قال: «**لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا**

---

(١) **نهـج الـبلاغة**، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى، ١٤١٢، دار الذخائر، قم: ج ١، ص ١٦٥ – ١٧٧.

أوائـل أبديـة، بل خلق ما خلق فأقام حدّه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته» [١] ونحو ذلك من الروايات التي تؤكّد المضمون ذاته.

إذاً هـذا العالم خلقه تعالى على وفق النظام الأحسن ولا يمكن أن يُتصوّر وجـود نظـام أفضل منه، وبالتأمّل في حلقات هذا النظام نجد أنّه نظام قائم عـلى الـسببية والمسببية، بمعنى أنّ الله تعالى شاءت إرادته أن لا يتحقّق شيء إلاّ على بعد تحقّق سببه وعلّته، كما سيتّضح في المقدّمة الثانية.

المقدّمة الثانية: العلاقة بين الأثر والمؤثر علاقة جعلية من الله تعالى

المقـصود مـن هذه المقدّمة هو أنّ ما نلمسه في هذا العالم من وجود علاقة بـين الأثـر والمؤثّـر مـن قبـيل العلاقـة بين النار والإحراق والأكل والشبع وشرب المـاء والارتـواء ونحـوها مـن العلائـق، هـي علاقة جعلية من الله تعـالى. ولكـي تتّـضح هـذه المقدّمـة ينبغي التعرّض باختصار إلى النظريات المطروحة في المقام مع بيان النظرية الصحيحة.

النظريات المطروحة في تفسير العلاقة بين الأثر والمؤثر

النظرية الأولى: عدم وجود علاقة بين الأثر والمؤثّر

هـذه النظـرية منسوبة إلى الأشـاعرة، وحاصـلها عدم وجود أيّ علاقة وارتـباط بـين الأثـر والمؤثّـر، فـلا تـوجد علاقة بين النار والإحراق أو بين الأكـل والـشبع أو شرب المـاء والارتـواء... وإنّما عادة الله تعالى جرت على ذلـك. فـالله تعـالى جرت عادته على إيجاد الإحراق من خلال النار، وهكذا الأمـر في جمـيع الظواهـر الطبيعـية، ولا يـوجد أيّ ارتباط وعلاقة بين الأثر

---

(١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٦٦.

والمؤثّر، فنسبة النار مثلاً إلى الإحراق أو إلى الماء على حدّ سواء.

وقد أشار الطباطبائي لهذه المقولة والأسباب التي دفعتهم لذلك، بقوله: «إنّ القرآن الكريم إذ ينسب خلق كلّ شيء إليه تعالى ويحصر العلّة الفاعلة فيه كان لازمه إبطال رابطة العلّية والمعلولية بين الأشياء، فلا مؤثّر في الوجود إلاّ الله، وإنّما هي عادته تعالى جرت أن يخلق ما نسمّيه معلولاً عقيب ما نسمّيه علّة من غير أن تكون بينهما رابطة توجب وجود المعلول منهما عقيب العلّة. فالنار التي تستعقب الحرارة نسبتها إلى الحرارة والبرودة على السواء، والحرارة نسبتها إلى النار والثلج على السواء، غير أنّ عادة الله جرت أن يخلق الحرارة عقيب النار، والبرودة بعد الثلج من غير أن يكون هناك إيجاب واقتضاء بوجه أصلاً»[1].

وقد ذهب إلى هذا القول في زماننا المعاصر (ديفيد هيوم) الذي أنكر نظام العلّية والمعلولية في هذا العالم، وذهب إلى أنّ هناك تعاقباً وجودياً بين العلّة والمعلول كتعاقب الليل والنهار الذي لا علّية ولا معلولية بينهما.

نقد النظرية الأولى

تترتّب على نظرية الأشاعرة عدّة من المناقشات منها:

١ـ إنّ هذه النظرية مخالفة لما تقرّه الفطرة والعقل والنصوص القرآنية والروائية التي تثبت أنّ نظام العلية والمعلولية قائم بين الأشياء، كما سيأتي في النظرية الثالثة.

٢ـ إنّ لازم هذا اللون من التفكير من إنكار نظام السببية والعلّية يغلق

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٧ ص٢٩٨.

الطريق لإثبات الصانع والنبوّة والكتاب...

وإلى هـذه الحقـيقة أشـار الطباطبائـي بقـوله: «وهذا النظر يبطل قانون العلّـية والمعلولـية العـامّ الذي عليه المدار في القضاء العقلي، وببطلانه ينسدّ بـاب إثـبات الـصانع ولا تـصل النوبة مع ذلك إلى كتاب إلهي يحتجّ به على بطـلان رابطـة العلّـية والمعلولـية بين الأشياء، وكيف يسع أن يبطل القرآن الشريف حكماً صريحاً عقلياً ويعزل العقل عن قضائه» [1].

وقـال صـدر المتألهين: «هذه مسألة مهمّة لا أهمّ منها؛ لأنّ القول بالعلّة والمعلـول مبنـى جميع المقاصد العلمية ومبنى علم التوحيد والربوبية والمعاد وعلـم الرسـالة والإمامـة وعلـم النفس وما بعدها وما قبلها وعلم تهذيب الأخـلاق والسياسات وغير ذلك، وبإنكاره وتمكين الإرادة الجزافية كما هو مـذهب أكثـر العامّـة (يعنـي الأشاعرة المنكرين للسبب المجوّزين للترجيح من غير مرجّح) تنهدم قواعد العلم واليقين» [1].

٣ـ بإنكار قانون السببية بين الأشياء، يبطل دعوى الأشاعرة أنفسهم، فما قدّموه من أدلّة لمقولتهم تصبح باطلة؛ لأنّ المفروض ـ على حسب زعمهم ـ أنه لا توجد علاقة بين الدليل والنتيجة.

النظرية الثانية: نظرية التلازم الذاتي بين الأثر والمؤثر

معنـى هـذه النظـرية أنّ هـنالك تلازماً ذاتياً بين العلّة والمعلول وبين الأثر والمؤثّـر وبـين المقـدّمات والنـتائج المترتّبة عليها، كالتلازم الذاتي بين الأربعة والزوجية، فإنّ لازم الأربعة هو الزوجية، ولا توجد أربعة من دون زوجية.

---

(١) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، صدر الدين محمد الشيرازي: ج ٨،ص ٣٨٦.

فهناك تلازم ذاتيّ بين النار والإحراق ولا يمكن التفكيك بينهما، فإذا أراد الله تعالى أن يوجد الإحراق فلابدّ أن يوجده من خلال النار.

أمّا قضية عدم إحراق إبراهيم عليه السلام بالنار كما في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[1]، فقد أجاب عنها أصحاب هذه النظرية، بأن الله تعالى بقدرته التكوينية أبدل النار إلى غير النار، ولو كانت النار باقية فيستحيل انفكاك الإحراق عنها، لاستحالة انفكاك المسبّب عن سببه. إذاً النظام القائم في عالم الطبيعة هو نظام قائم على قانون السببية والمسببية، وإنّ العلاقة بينهما ذاتية لا بجعل جاعل.

وقد ذهب إلى هذه النظرية جملة من الفلاسفة. ومناقشتها تتّضح من خلال عرض النظرية الثالثة.

النظرية الثالثة: العلاقة بين الأثر والمؤثّر علاقة جعلية من الله تعالى

وهذه النظرية قريبة من النظرية الثانية. وحاصلها: إنّ نظام السببية هو النظام الحاكم والقائم في هذا العالم، إلاّ أنّ هذه العلاقة بين السبب والمسبّب ليست علاقة ذاتية وإنّما هي علاقة جعلية من الله تعالى، فتأثير العلّة في معلولها والأثر في مؤثّره وإن كان ضرورياً إلاّ أنّه ليس من ذات العلّة والأثر، وإنّما بما أفاده الله تعالى عليها. فلم تكن ضرورتها ناشئة من نفسها واقتضاء ذاتها.

وقد أشار الطباطبائي إلى هذه الحقيقة بقوله: «قد بيّن القرآن الشريف ـ على ما يُفهم من ظواهره ـ قوانين عامّة كثيرة في المبدأ والمعاد وما رتّبه الله تعالى من أمر السعادة والشقاوة ثم خاطب النبيّ صلّى الله عليه وآله بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا

(١) الأنبياء: ٦٩.

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[١] لكـنّها جميعاً قوانين كلّية ضرورية إلاّ أنها ضرورية لا في أنفسها وباقتضاء من ذواتها، بل بما أفاده الله سبحانه عليها من الضرورة واللزوم، وإذا كانت هذه الحكومة العقلية القطعية من جهته تعالى وبأمره وإرادته، فمن البيّن أنّ فعله تعالى لا يجبره تعالى على مؤدّى نفسه، ولا يغلبه في ذاته، فهو سبحانه القاهر الغالب فكيف يغلبه ما ينتهي إليه تعالى من كلّ جهة ويفتقر إليه في عينه وأثره، فافهم ذلك.

فمن المحال أن يكون العقل الذي يحكم بما يحكم بإفاضة الله ذلك عليه أو تكون الحقائق التي إنّما وجدت أحكامها وآثارها به تعالى، حاكمة عليه مقتضية فيه بالحكم والاقتضاء اللذين هو المبقى لهما القاهر الغالب عليهما. وبعبارة أخرى: ما في الأشياء من اقتضاء وحكم إنّما هو أثر التمليك الذي ملّكه الله إيّاها، ولا معنى لأن يملك شيء بالملك الذي ملّكه الله بعينه منه تعالى شيئاً فهو تعالى مالك على الإطلاق غير مملوك بوجه من الوجوه أصلاً.

فلو أثاب الله المجرم أو عاقب المثيب أو فعل أيّ فعل أراد، لم يكن عليه ضير، ولا منعه مانع من عقل أو خارج، إلاّ أنّه تعالى وعدنا وأوعدنا بالسعادة والشقاء وحسن الجزاء وسوء الجزاء، وأخبرنا أنّه لا يخلف الميعاد وأخبرنا من طريق الوحي أو العقل بأمور ثم ذكر أنّه لا يقول إلاّ الحقّ فسكنت نفوسنا به واطمأنّت قلوبنا إليه، بما لا طريق للريب إليه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾[٣] وفي

(١) النحل: ٨٩.

(٢) آل عمران: ٩، والرعد: ٣١.

(٣) ص: ٨٤.

معناهما الضرورة العقلية في أحكامها»[1].

وبهـذا يتبـيّن أنّ الـسبب المقتضي لوجود مسبّبه لا يؤثّر أثره إلاّ مع الإذن الإلهـي في ذلـك، وفي هـذا الضوء فقد يوجد المقتضي، ولا يوجد الأثر، فلو تحقّقـت الـنار فـلا يـتحقّق الإحـراق إلاّ أن يأذن الله تعالى، وقد يوجد الماء المقتضي لرفع العطش، لكن لا يؤثّر ولا يحصل الارتواء إلاّ بإذنه تعالى.

إذاً حاصـل هذه النظرية هو أنّ ترتّب السبب على المسبّب ليس ترتّباً ذاتياً ـ كما في النظرية الثانية ـ وإنّما هو بجعل الله تعالى وإذنه.

وهذه النظرية هي النظرية الصحيحة؛ لما يلي:

١ . **إنّ قانـون العلّية قائم بين الموجودات**: وهذا الأمر مما تقرّ و تذعن به فطـرة الإنـسان من أنّ لكلّ حادث علّة، وإلى هذا المعنى أشار القرآن حيث يثـبت للحـوادث الطبيعـية أسـباباً ويـصدّق قانـون العلّـية العامّة كما يثبته ضرورة العقـل وتعـتمد علـيه الأبحاث العلمية والأنظار الاستدلالية، فإنّ الإنـسان مفطـور على أن يعتقد لكلّ حادث مادّي علّةً موجبة من غير تردّد وارتـياب. وكذلك العلوم الطبيعية وسائر الأبحاث العلمية تعلّل الحوادث والأمـور المربوطة بها تجده من أمور أخرى صالحة للتعليل، ولا نعني بالعلّة إلاّ أن يكـون هـناك أمـر واحـد أو مجمـوع أمور إذا تحقّقت في الطبيعة مثلاً تحقّـق عـندها أمر آخر نسمّيه المعلول بحكم التجارب، كدلالة التجربة على أنّـه كلّـما تحقّـق احـتراق لـزم أن يتحقّق هناك قبله علّة موجبة له من نار أو حـركة أو اصطكاك أو نحو ذلك، ومن هنا كانت الكلّية وعدم التخلف من أحكام العلّية والمعلولية ولوازمها.

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٦ ص٢٥٤.

٢. إنّ الله تعالى هو جاعل السببية والمسببية بين الأشياء. وهذه الحقيقة تدلّ عليها جملة من النصوص القرآنية والروائية، كآيات القدر، ولكي يتّضح ذلك لابدّ من معرفة المراد بالقدر.

القدر: هو هندسة الشيء وحدّ وجوده، ويؤيّد ذلك ما ورد من تفسير القدر بمثل العرض والطول وسائر الحدود والخصوصيات الطبيعية الجسمانية في عدّة من الروايات .

• عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «**لا يكون إلاّ ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى**. قلت: فما معنى شاء؟ قال: **ابتدأ الفعل**. قلت: فما معنى أراد؟ قال: **الثبوت عليه**. قلت: فما معنى قدّر؟ قال: **تقدير الشيء من طوله وعرضه**. قلت: فما معنى قضى؟ قال: **إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مردّ له**»[(١)] .

• وروي هذا المعنى عن ابن أبي عمير عن محمد بن إسحاق عن الرضا عليه السلام في خبر مفصّل وفيه: «فقال: **أو تدري ما قدّر؟** قال: لا، قال: **هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء**»[(٢)] .

ومن هنا يظهر أنّ المراد بكلّ شيء في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[(٣)] وقوله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[(٤)] وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[(٥)] وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝

(١) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت: ج٥، ص١٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ج٥، ص١٢٢.

(٣) الفرقان:٢.

(٤) الحجر: ٢١.

(٥) القمر: ٤٩.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[1] وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، هو أنّ الأشياء الواقعة في عالمنا المشهود متعلّقة الوجود والآثار بعلل وشرائط معيّنة، فيختلف وجودها وأحوالها وآثارها باختلاف عللها وشرائطها. فالتقدير الإلهي هو هداية هذا النوع من الموجودات إلى ما قدّر لها في مسير وجودها، فإنّ التقدير والقضاء الإلهي هو تعبير آخر عن نظام السببية والمسببة.

النتيجة: أنّ القرآن الكريم في الوقت الذي يثبت أنّ قانون السببية والمعلولية هو القائم بين الأشياء، كذلك يثبت أنّ هذه الروابط والعلائق بين الأسباب والمسببات مجعولة من الله تعالى.

ولعل في قوله الثاني: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾[3] دلالة على أنّه تعالى جعل بين الأشياء جميعها ارتباطات واتصالات له أن يبلغ إلى كلّ ما يريد من أيّ وجه شاء، وليس هذا نفياً للعلّية والسببية بين الأشياء بل إثبات أنها بيد الله سبحانه يحوّلها كيف شاء وأراد، ففي الوجود عليّة وارتباط حقيقي بين كلّ موجود وما تقدَّمه من الموجودات المنتظمة غير أنها ليست على ما نجده بين ظواهر الموجودات بحسب العادة (ولذلك نجد الفرضيات العلمية الموجودة قاصرة عن تعليل جميع الحوادث الوجودية) بل على ما يعلمه الله تعالى وينظّمه.

وهنالك بعض الروايات تؤكّد هذه الحقيقة منها ما ورد عن أبي عبد

(١) الأعلى: ٢ ـ ٣.
(٢) التغابن: ١١.
(٣) يوسف: ٢١.

الله عليه السلام قال: «**أبى الله أن يجري الأشياء إلاّ بالأسباب فجعل لكلّ شيء سبباً، وجعل لكلّ سبب شرحاً، وجعل لكلّ شرح مفتاحاً، وجعل لكلّ مفتاحٍ علماً، وجعل لكلّ علم باباً ناطقاً**»[(١)].

وهنالك نصوص قرآنية وردت في موارد خاصّة تؤكّد هذه الحقيقة كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[(٢)] ونحوها.

قانون العلّية شامل لكلّ خارق للعادة

إنّ قانون العلّية والمعلولية شامل لكلّ خارق للعادة سواء كان الخارق معجزة أو كرامة أو سحراً ونحوها.

فالمعاجز التي جاء بها الأنبياء من قبيل تصرّف نوح عليه السلام في الماء وتصرّف موسى عليه السلام في البحر وتصرّف سليمان عليه السلام في الهواء وتصرّف صالح عليه السلام بالجبال وإخراج الناقة منها وتصرّف نبيّنا صلّى الله عليه وآله في الكواكب وانشقاق القمر ونحوها من التصرّفات الكونية كلّها واقعة تحت نظام العلّية المعلولية وبإذن منه تعالى.

والدليل على شمول قانون العلّية لكلّ خارق للعادة، يتّضح بعد بيان الأمرين التاليين:

الأمر الأول: إنّ كلّ شيء مخلوق الله تعالى، كما أشارت إلى ذلك الآية المباركة ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[(٣)] فالآية تقرّر أنّه ما من

---

(١) **بصائر الدرجات**، محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، طهران: ص ٢٦.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) المؤمن: ٦٢.

شيء إلّا وهو مخلوق لله تعالى.

الأمر الثاني: إنّ نظام الخلق على نسق واحد، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١] فهي واضحة الدلالة على أنّ نظام الخلق والإيجاد على نسق واحد منظّم، وهو نظام الأسباب والمسببات.

النتيجة: إن نظام الموجودات المادّية سواء كانت على جري العادة أو خارقة لها، على صراط مستقيم غير متخلّف ووتيرة واحدة في إسناد كلّ حادث فيه إلى العلّة المتقدّمة الموجبة له.

إذاً قانون العلّية والمعلولية شامل لكلّ خارق للعادة معجزة أو غيرها.

السبب القريب المؤثر في حصول الخارق للعادة

بعد أن اتّضح أنّ قانون العلّية والمعلولية شامل لكلّ خارق للعادة، بإذن الله تعالى، يطرح السؤال التالي: ما هو السبب القريب المؤثّر في حصول الأمر الخارق للعادة؟

ولنأخذ على سبيل المثال المعجزة فنقول هل لنفس النبيّ تأثير في حصول المعجزة؟ والاحتمالات في المقام ثلاثة:

الاحتمال الأول: السبب القريب هو الله تعالى. إنّ السبب القريب في التصرّف في الظواهر الكونية هو الله تعالى مباشرة وبلا توسّط أيّ موجود آخر، إلاّ أنّ الله تعالى لحكمته شاء أن لا يحقق التصرّف التكويني أو المعجزة من قبل النبيّ إلاّ بعد دعاء النبيّ لذلك.

---

(١) هود: ٥٦.

إذاً هـذا الاحـتمال يذهب إلى أنّ الفاعل والمتصرّف المباشر في الخارق هو الله تعالى لكن بعد دعاء النبيّ.

وهـذا الاحـتمال باطـل؛ لما تبيّن في البحث المتقدّم في آيات القدر من أنّ الله تعـالى وإن كـان قادراً على كلّ شيء إلاّ أنه تعالى شاء أن لا يحقّق شيء إلاّ مـن خـلال مجمـوعة مـن الشرائط والعلل، لا أن يتحقّق من الله مباشرة بلا توسّط أيّ شيء آخر.

الاحتمال الثاني: السبب القريب في تحقّق الخارق هو القوانين الطبيعية.

المؤثّـر في تحقّـق الخـارق أو المعجـز ـ حـسب هـذا الاحـتمال ـ هو نفس القوانـين الطبيعية، غاية ما هنالك أنّ الله تعالى أطلع النبيّ على هذه القوانين دون عامّـة البـشر، لـذا يـتحقّق المعجز والخارق على يد النبيّ دون غيره من الناس لاطلاعه على هذه القوانين دون غيره.

ويناقش الاحتمال الثاني بأنّه:

١ـ ما تقدّم إثباته في النظرية الثالثة في تفسير العلاقة بين الأثر والمؤثّر، وأن كلّ شيء لا يتحقّق إلاّ بعد تحقّق سببه المقرون بالإذن الإلهي، فجميع الأشياء التي تصدر عن الإنسان وإن كانت بيد الإنسان واختياره، إلاّ أنّ ذلك يتوقّف على إرادة الله تعالى ومشيئته، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

(١) الدهر: ٣٠.

(٢) التكوير: ٢٧ ـ ٢٩.

وبهـذا يتّـضح أنّ جميع الأمور سواء كانت أموراً عادية أم خارقة للعادة، فهـي في الـوقت الـذي تكون مستندة إلى علل وأسباب طبيعية، متوقّفة على إرادة الله تعالى، ويستحيل أن يتحقّق شيء إلاّ بإذن منه سبحانه كما تقدّم.

وفي هـذا الـضوء يتبين أنّ السبب القريب لتحقّق الخارق للعادة والمعجز لـيس هو القوانين الطبيعية وإلا خرجت المعجزة عن كونها معجزة وبطلت دعوى النبيّ للنبوّة.

وسيأتي في الاحتمال الثالث أنّ لنفس النبيّ أو الآتي بالخارق تأثيراً آخر في تحقّق وحصول الخارق للعادة.

الاحـتمال الثالث: إنّ السبب القريب في تحقّق المعجز هو نفس النبيّ بإذن الله تعـالى، كـما هـو الحـال في تـصرّف الإنـسان في بدنـه من القيام والقعود ونحـوها مـن الأفعـال، فإنّ الإنسان وإن كان هو الذي يقوم بتلك الأفعال لكـن بـإذن وإقـدار الله تعالى، ولو لم يشأ الله ذلك لما تمكن الإنسان من ذلك الفعل.

وهكـذا الأمـر بالنـسبة للإتـيان بالخـارق للعـادة والتـصرّف في الكون، فالـذي يـأتي بالمعجز هو النبيّ لكن بإذن منه تعالى، ويستدَلّ على ذلك بعدّة أدلّة، منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1].

وتقـريب الاسـتدلال بالآيـة المـباركة هـو أنّ إتـيان الرسـول بمعجـزة

(١) المؤمن: ٧٨.

مشروط بالإذن الإلهي، مما يكشف عن وجود مقتضٍ في نفس الرسول أو النبيّ، إلاّ أنّ هذا المقتضي لا يؤثّر أثره إلاّ بإذن الله تعالى. وبهذا يتبين أنّ السبب القريب لتحقّق المعجزة هو نفس النبيّ لأنّه المقتضي لذلك.

وهذه الحقيقة يقررها الطباطبائي في تعليقه على الآية المباركة حيث قال: «أفاد إناطة إتيان أية آية من أيّ رسول بإذن الله سبحانه فبيّن أنّ إتيان الآيات المعجزة من الأنبياء وصدورها عنهم إنّما هو لمبدأ مؤثّر موجود في نفوسهم الشريفة متوقّف في تأثيره على الإذن»[1].

إذاً السبب القريب للإتيان بالخارق للعادة، كالمعجزة والكرامة، هو نفس النبيّ أو الإمام أو الولي، وهو بمثابة المقتضي لتحقّق الخارق.

ومن المعلوم أنّ السبب القريب لتحقّق الخارق للعادة لا يختصّ بالأنبياء والأولياء، وإنّما هو شامل لكلّ خارق من سحر أو كرامة ونحوها، فإنّ نفس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك وإن توقّف على الإذن الإلهي.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[2] أي إنّ السحر متوقّف على مبدأ وهو نفس الساحر المتوقف على الإذن الإلهي.

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج١ ص٧٩.

(٢) البقرة: ١٠٢.

والآية كما أنها تصدّق صحّة السحر في الجملة، كذلك تدلّ على أنّ السحر أيضاً كالمعجزة في كونه عن مبدأ نفساني في الساحر لمكان الإذن. وبالجملة جميع الأمور الخارقة للعادة سواء سمّيت معجزة أو سحراً أو غير ذلك ـ ككرامات الأولياء وسائر الخصال المكتسبة بالارتياضات والمجاهدات ـ جميعها مستندة إلى مبادئ نفسانية ومقتضيات إرادية على ما يشير إليه كلامه سبحانه، إلاّ أنّ كلامه ينصّ على أنّ المبدأ الموجود عند الأنبياء والرسل والمؤمنين هو الفائق الغالب على كلّ سبب وفي كلّ حال؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [٣]. والآيات مطلقة غير مقيدة.

ومن هنا يمكن أن يستنتج أنّ هذا المبدأ الموجود المنصور أمر وراء الطبيعة وفوق المادّة، فإنّ الأمور المادّية مقدّرة محدودة مغلوبة لما هو فوقها قدراً وحداً عند التزاحم والمغالبة، والأمور المجرّدة أيضاً وإن كانت كذلك إلاّ أنها لا تزاحم بينها ولا تمانع إلاّ أن تتعلّق بالمادّة بعض التعلّق، وهذا المبدأ النفساني المجرّد المنصور بإرادة الله سبحانه إذا قابل مانعاً مادّياً أفاض إمداداً على السبب بما لا يقاومه سبب مادّي يمنعه.

وبهذا يتّضح أنّ السبب القريب للإتيان بالخارق للعادة كالمعجزة

---

(١) الصافات: ١٧١ – ١٧٣.

(٢) المجادلة: ٢١.

(٣) المؤمن: ٥١.

والكـرامة هـو نفـس النبـيّ أو الإمام أو الولي، وأنّ السبب القريب لتحقّق الخـارق للعادة لا يختصّ بالأنبياء والأولياء، وإنّما هو شامل لكلّ خارق من سـحر أو كـرامة ونحـوها، فـإنّ نفـس الآتي بالخارق هو السبب القريب في ذلك وإن توقّف على الإذن الإلهي.

المقدّمة الثالثة: رؤية الملكوت موجبة للتصرّف في التكوين

ولكي تتّضح هذه المقدّمة لابّد من بيان عدد من الأمور التمهيدية:

١. إنّ الله تعالى مصدر جميع الكمالات

وهـذا الأمـر تقـدّم في أبحـاث التوحـيد، وتبيّن في محلّه أنّ لله تعالى جميع الكـمالات علمـية كانـت كـالعلم والقـدرة والحياة، أو عملية؛ من قبيل أنّه تعـالى كـتب عـلى نفـسه الـرحمة والعـدل، وقـد ثـبت في محلّـه أنّ جميع هذه الكمالات هي كمالات لامتناهية وثابتة له بنحو الاستقلال[1].

٢. معنى القرب والبعد عن الله تعالى

القـرب إلى الله تعـالى لـيس مـن قبـيل القرب المكاني أو القرب الزماني اللـذين همـا من عوارض الجسمية؛ لأنّ الله تعالى منزّه عن ذلك، وهو تعالى المحـيط بالمكـان والـزمان ولا يحويه مكان ولا زمان. ففي القرب المكاني أو الـزماني ـ دائـماً ـ يـوجد تقارن بين الشيئين المتقاربين، فإذا كان (أ) قريباً من (ب) فلابدّ أن يكون (ب) قريباً من (أ).

وهذا المعنى من القرب والبعد مختصّ بعالم المادّة، أمّا في الأمور المجرّدة عن المادّة إذا قيست إلى المادّة نفسها فيمكن أن يكون أحد الطرفين قريباً

---

(١) انظر **التوحيد** للعلاّمة السيد كمال الحيدري، تقرير جواد علي كسار، دار فراقد، ١٤٢١هـ.

والطرف الآخر بعيداً وهو ما يسمّى القرب المعنوي، وقرب الإنسان من الله تعالى وبعده عنه من هذا القبيل، فإنّ الله قريب من عباده، لكن العبد قد يكون بعيداً عن الله وقد يكون قريباً منه؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٢) وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٤).

إذاً القرب والبعد من الله تعالى مقولة أخرى تختلف عن البعد والقرب في عالم المادّة، وإلى هذا المعنى أشارت جملة من الروايات منها:

• عن حماد بن بشير قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال تعالى في الحديث القدسي: «**ما تقرب إليّ عبد بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه. وإنّه ليتقرّب إليّ بالنافلة حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته، وما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي عن موت المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته**»(٥)

• وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «**إنّ الله تعالى يقول: من تقرّب إلى شبراً تقرّبت إليه ذراعاً، ومن تقرّب مني ذراعاً تقرّبت منه باعاً، ومن أتاني مشياً أتيته**

---

(١) الحديد: ٤.

(٢) ق: ١٦.

(٣) الأنفال: ٢٤.

(٤) البقرة: ١٨٦.

(٥) **الكافي**، الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية أفندي، ط٣، ١٣٨٨هـ.: ج٢ ص٣٥٣.

هرولة»[(١)] ونحوها من الروايات التي تشاركها المضمون ذاته.

فكلّما كان الإنسان أكثر كمالاً وأقلّ نقصاً فهو أقرب إلى الله تعالى، وكلّما كان أكثر نقصاً وأقلّ كمالاً فهو بعيد عن الله تعالى.

ووجه ذلك: هو أنّ الله تعالى منشأ لجميع الكمالات، فلا يمكن تصوّر موجود أكمل منه تعالى، فالكمالات العلمية والعملية اللامتناهية محصورة بالحقّ سبحانه، فهو مركز ومنشأ لكلّ كمال ومعدن الجمال، وعلى هذا الأساس فإنّ الإنسان الذي يكون متحلّياً بالصفات الجمالية للذات الإلهية من العلم والحلم والعدل والعفو واللطف والرحمة والحكمة والكرم ونحوها، يكون أقرب إلى الله تعالى، وكلما ابتعد الإنسان عن هذه الصفات الإلهية فهو بعيد عن الله تعالى.

وهذه الصفات الإلهية وإن كانت غير محدودة وواجبة في الذات الإلهية ولا يمكن أن يتّصف بها المخلوق بما لها من صفة عدم التناهي، إلاّ أنّ الإنسان يكون قريباً من الله بمقدار اضطلاعه وتحلّيه بهذه الصفات الإلهية.

ومن هنا يختلف الناس في درجات القرب الإلهي، كلّ على قدر تمثلّه بالصفات الإلهية اللامتناهية؛ ولذا تكون مراتب ودرجات القرب الإلهي غير متناهية، لعدم محدودية وتناهي صفاته تعالى.

إذاً القرب من الله والصعود إليه تعالى هو التحقّق بصفات الله التي يوصف بها، وإن لم يكن وصف الإنسان بالحدّ الذي يوصف به تعالى. فكلّما

---

(١) **عوالي اللآلي**، ابن أبي جمهور الأحسائي، تقديم : السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م، المطبعة : سيد الشهداء، قم: ج ١، ص ٥٦.

ازداد سعي العبد لتحقّق الصفات الإلهية في نفسه، ازداد قربه إلى الله تعالى، وكلّما ابتعد عن هذه الصفات ابتعد عن الله تعالى.

٣. قوّة الأثر تتناسب طردياً مع القرب الإلهي

حاصل هذا الأمر أنّ القرب الإلهي يترّتب عليه أثر تكوينيّ. وبيانه:

بناء على ما تقدّم في الأمر الأول من أنّ الله تعالى منبع الكمالات العلمية والعملية من العلم والقدرة والرحمة والعدالة، وتقدّم كذلك في الأمر الثاني أنّ معنى القرب هو التشبّه بأخلاق وصفات الله العلمية والعملية.

فعلى هذا الأساس كلّما كان الإنسان أكثر علماً وقدرة وعدلاً كان أقرب إلى الله تعالى، ومن ثم يكون أثره في التصرّف بالموجودات أوسع وأكثر. وبالعكس كلّما كان الإنسان بعيداً عن الله تعالى كان أقلّ أثراً.

٤. الإنسان سائر إلى الله تعالى في سفر معنويّ تكامليّ

المقصود من كون الإنسان سائراً إلى الله تعالى، هو أنّ الإنسان في هذه النشأة المادّية ينطلق في سفر وسير معنويّ إلى الله تعالى، وقد أقيمت على ذلك عدّة أدلّة عقلية ونقلية، وسوف نكتفي بالنصوص القرآنية والروائية الدالّة عليه. أمّا الأدلّة القرآنية على السير المعنوي للإنسان، فمنها:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَـٰقِيهِ﴾[1].

المراد بالكدح هو السعي والعناء وهو متضمّن لمعنى السير، وقيل: الجهد... ومن الواضح أنّ المراد بالكدح في الآية المباركة متضمّن لمعنى السير، بقرينة (إلى) الواردة في الآية.

(١) الانشقاق: ٦.

وفي هـذا الـضوء فإنّ مبدأ مسير الإنسان هو النشأة المادّية، والمنتهى هو الله تعـالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وهـذا الـسير ليس سيراً مادّياً وإنّما هو سير معـنويّ، لأنّ الغايـة والمقصد وهو الله تعالى هو أمر مجرّد لا مادّي، فلابدّ أن يكون السير إلى الأمر المجرّد سيراً من سنخه وهو السير المعنوي لا المادّي.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1] وهذه الآية المباركة تدلّ على أنّ هناك سفراً مبدؤه النشأة المادّية وهي نشأة الدنيا، ومنتهاه هو الحقّ تعالى، كما هو ظاهر من التعبير بقوله «إلى» في قوله ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وأمّـا الـشواهد الـروائية عـلى الـسير المعـنوي للإنـسان فقد تضافرت الـروايات في إثـبات هـذه الحقـيقة، وهـي أنّ للإنسان سفراً معنوياً يبدأ من هذه النشأة إلى الله تعالى، ومن هذه الروايات:

١ـ قوله صلّى الله عليه وآله في خطبته المشهورة التي خطبها في مسجد الخيف في حجّـة الـوداع حـيث قال: «**وأنتم واردون عليّ الحوض، حوضي غداً، وهو حـوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه أقداح من فضّة عدد نجوم السماء، ألا وإني سـائلكم غـداً مـاذا صـنعتم في مـا أشهدت الله به عليكم في يومكم هذا إذا وردتـم عـلي حـوضي، وماذا صنعتم بالثقلين من بعدي؟ فانظروا كيف تكونون خلفتموني فيهما حين تلقوني؟** قالوا: وما هذان الثقلان يا رسول الله؟ قال: **أمّا الثقل الأكبر فكتاب الله عزّ وجلّ، سبب ممدود من الله ومنّي في أيديكم، طرفه بيد الله والطـرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى وما بقي إلى أن تقوم الساعة، وأمّا الـثقل الأصغر فهو حليف القرآن وهو عليّ بن أبي طالب وعترته عليهم السلام،**

(١) آل عمران: ٥٢.

وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[١].

ومـن الواضـح أنّ التعبـير «بحـبل الله ممدود بينكم وبين الله عزّ وجلّ» يدلّ على وجود مسيرة للإنسان تبدأ من هذه النشأة ومنتهاها الله تعالى.

٢ـ عن عمار بن أبي الأحوص، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ وضع الإيمان على سبعة أسهم: على البرّ والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم، ثم قسّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل، محتمل، وقسّم لبعض الناس السهم ولبعضٍ السهمين ولبعضٍ الثلاثة حتى انتهوا إلى سبعة**، ثم قال: **لا تحملوا على صاحب السهم سهمين ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتبهضوهم**. ثم قال: **كذلك حتى ينتهي إلى سبعة**»[٢].

٣ ـ عن يعقوب بن الضحاك، عن رجل من أصحابنا سرّاج وكان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام قال: بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجة وهو بالحيرة أنا وجماعة من مواليه، فانطلقنا فيها ثم رجعنا مغتمّين. قال: وكان فراشي في الحائر الذي كنّا فيه نزولاً، فجئت وأنا بحال فرميت بنفسي، فبينا أنا كذلك إذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل. قال: فقال: **قد أتيناك**، أو قال: **جئناك**. فاستويت جالساً وجلس على صدر فراشي، فسألني عمّا بعثني له فأخبرته. فحمد الله ثم جرى ذكر قوم، فقلت: جعلت فداك إنا نبرأ منهم، إنّهم لا يقولون ما نقول. قال: فقال: **يتولّونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟** قال: قلت: نعم. قال: **فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا**

(١) **الخصال**، الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، قم: ص ٦٦.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٢.

أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا ـ جُعلت فداك ـ. قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا أفتراه اطرحنا؟ قال: قلت: لا والله، جُعلت فداك، ما نفعل؟ قال: فتولّوهم ولا تبرؤوا منهم، إنّ من المسلمين من له سهم ومنهم من له سهمان ومنهم من له ثلاثة أسهم، ومنهم من له أربعة أسهم، و منهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستّة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستّة، ولا صاحب الستّة على ما عليه صاحب السبعة...» (١).

٤ ـ عن سدير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إنّ المؤمنين على منازل، منهم على واحدة ومنهم على اثنتين، ومنهم على ثلاث، ومنهم على أربع، ومنهم على خمس، ومنهم على ستّ، ومنهم على سبع، فلو ذهبتَ تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقوَ، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقوَ، وعلى صاحب الثلاث أربعاً لم يقوَ، وعلى صاحب الأربع خمساً لم يقوَ، وعلى صاحب الخمس ستّاً لم يقوَ، وعلى صاحب الستّ سبعاً لم يقوَ، وعلى هذه الدرجات» (٢).

ومن جميع ذلك يتّضح أنّ الإنسان سائر إلى الله تعالى، حيث إنّ الكمالات الإلهية لا متناهية، وعلى هذا فلا توجد درجة ونقطة يقف عندها الإنسان في مسيرته التكاملية.

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٥.

٥. المراد من الملكوت

من الحقائق الواضحة التي أشار إليها القرآن الكريم أنّ لكلّ شيء ظاهراً وباطناً، عبّر القرآن عن الظاهر بالملك أو التنزيل وعبّر عن الباطن بالملكوت والتأويل، وكلّها تعبيرات عن حقيقة واحدة وهي أنّ للأشياء ظاهراً وباطناً.

٦. الغاية من رؤية الملكوت حصول اليقين القرآني

لبيان هذه الحقيقة لابدّ من بيان الفرق بين اليقين القرآني واليقين الاصطلاحي. فإنّ اليقين هو العلم وقد عرِّف العلم بأنّه حضور المعلوم لدى العالم، وينقسم قسمة حاصرة إلى قسمين:

الأول: العلم الحصولي: وهو حضور المعلوم لدى العالم بماهيّته، أي بحضور صورة المعلوم لدى الذهن وليس حضور المعلوم بوجوده الخارجي الذي يترتّب عليه الآثار الخارجية، ويطلق على هذا النوع من العلم: الحصولي.

الثاني: العلم الحضوري: وهو حضور المعلوم لدى النفس بنفس وجوده الخارجي لا بصورته، كعلم الإنسان بنفسه.

وإلى هذا المعنى أشار عدد من العلماء والباحثين. قال المتألّه السبزواري في اللآلي: «العلم حصوليّ وحضوريّ، والحصولي هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل. والحضوري هو العلم الذي هو عين المعلوم لا صورته ونقشه، كعلم المجرّد بذاته، أو بمعلوله كعلم الحقّ تعالى بمعلولاته، وليس بتصوّر ولا بتصديق لأنّ مقسمهما العلم الحصولي»[١].

وقال الطباطبائي: «وللرواية (**من عرف نفسه عرف ربه**) معنى آخر أدقّ

(١) انظر **عيون مسائل النفس** للشيخ آية الله حسن حسن زاده آملي، انتشارات أمير كبير، طهران: ص٥١٩.

مستخرج من نتائج الأبحاث الحقيقية في علم النفس، وهو أنّ النظر في الآيات الآفاقية والمعرفة الحاصلة من ذلك نظر فكريّ وعلم حصولي، بخلاف النظر في النفس وقواها وأطوار وجودها والمعرفة المتجلّية منه، فإنّه نظر شهوديّ وعلم حضوريّ. والتصديق الفكري يحتاج في تحقّقه إلى نظم الأقيسة واستعمال البرهان، وهو باقٍ ما دام الإنسان متوجّهاً إلى مقدّماته غير ذاهل عنها ولا مشتغل بغيرها، ولذلك يزول العلم بزوال الإشراف على دليله وتكثر فيه الشبهات ويثور فيه الاختلاف. وهذا بخلاف العلم النفساني بالنفس وقواها وأطوار وجودها فإنّه من العيان، فإذا اشتغل الإنسان بالنظر إلى آيات نفسه وشاهد فقرها إلى ربّها وحاجتها في جميع أطوار وجودها، وجد أمراً عجيباً، وجد نفسه متعلّقة بالعظمة والكبرياء متّصلة في وجودها وحياتها وعلمها وقدرتها وسمعها وبصرها وإرادتها وحبّها وسائر صفاتها وأفعالها، بما لا يتناهى بهاءً وسناءً وجمالاً وجلالاً وكمالاً من الوجود والحياة والعلم والقدرة وغيرها من كلّ كمال»[1].

فتحصّل أنّ العلم نوعان أحدهما العلم الحصولي وهو حضور المعلوم بصورته الخارجية في الذهن، والآخر العلم الحضوري وهو حضور نفس المعلوم الخارجي لدى النفس.

مراتب العلم في القرآن الكريم

هنالك عدد من النصوص القرآنية تؤكّد أنّ العلم ذو مراتب منها: **مرتبة العلم الحاصل من التقوى.**

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٦، ص١٧١.

وقد دلّت على ذلك عدّة من الآيات القرآنية نشير إلى بعضها:

أ ـ قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(١) حيث أناطت الآية المباركة هذه المرتبة من العلم والبصيرة والقدرة على التمييز بين الحقّ والباطل بالتقوى، ولا ينال هذه المرتبة من العلم إلاّ المتّقون خاصّة.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾(٢). فالآية المباركة واضحة الدلالة على أنّ هناك سنخاً من العلم لا يمكن أن يتوفّر للإنسان إلاّ من خلال التقوى.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٣) حيث أشارت الآية إلى نوع آخر من الرزق ليس من سنخ الرزق المادّي، إذ إنّ الرزق المادّي لا يتوقّف على التقوى، كما يشهد لذلك الوجدان، فقد يكون الإنسان فاسقاً فاجراً ظالماً وهو غنيّ مادّياً، وقد يكون مؤمناً وهو فقير مادّياً، فلا تلازم بين التقوى والغنى المادّي. إذاً الآية المباركة ترمي إلى القول بوجود ملازمة بين التقوى والغنى المعنوي، الذي من أبرز مصاديقه واحدة من مراتب العلم الحضوري، وهو العلم الحاصل من التقوى؛ لأنّ العلم الحصولي لا يتوقف على التقوى كما هو واضح.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٤): «**مما علّمناهم يبثّون**»(٥) إذاً هذه المرتبة من العلم لا تأتي إلاّ من خلال التقوى.

---

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) الطلاق: ٢-٣.

(٤) الحج: ٣٥.

(٥) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٢، ص١٧.

اليقين في النصوص القرآنية والروائية

أضاءت النصوص القرآنية والروائية، اليقين القرآني بأروع بيان، كاشفة عن خواصّه وامتيازاته بأدقّ وجه، فهنالك عدد من هذه النصوص تتحدّث عن هذا الصنف من العلم، وما يمتاز به عن اليقين الاصطلاحي، ومن هذه النصوص:

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[(١)]. ومن الواضح أنّ هذه الآية المباركة سجّلت خصوصية مهمّة لليقين الذي حظي به إبراهيم عليه السلام وهي أنّه يقين حصل عن طريق المشاهدة القلبية لحقائق ملكوت السموات والأرض وليس من طريق العلم الحصولي وحضور صورة المعلوم لدى الذهن.

٢ـ عن أبي الحسن عليه السلام: «**الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقلّ من اليقين**»[(٢)].

٣ ـ عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**يا أبا محمد، الإسلام درجة**. قلت: نعم. قال: **والإيمان على الإسلام درجة**. قال: قلت: نعم. قال: **والتقوى على الإيمان درجة**. قال: قلت: نعم. قال: **واليقين على التقوى درجة**. قال: قلت: نعم. قال: **فما أوتي الناس أقلّ من اليقين، وإنّما تمسّكتم بأدنى الإسلام فإيّاكم أن ينفلت من أيديكم**»[(٣)].

---

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢، ص ٥١.

(٣) المصدر نفسه: ص ٥٢.

ومـن الواضـح أنّ هـذا اليقـين لـيس مـن سـنخ اليقـين المرتبط بالمفاهيم والعلـوم الحـصولية، ولـذا أعـرض الإمام عليه السلام عن تفسير هذا اللون من اليقـين بأكثـر ممـا بيّنه في الـرواية، لأجل صعوبة استيعابه وتعسّر هضمه حتى لكبار الأجلّاء كيونس بن عبد الرحمن الذي هو من خواصّ الإمام عليه السلام.

٤ ـ عـن إسـحاق بن عمّار قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ رسـول الله صلّى الله عليه وآله صـلّى الناس الصبح فنظر إلى شابّ من الأنصار وهـو في المسجد يخفق ويهوي برأسه، مصفرّ لونه، نحيف جسمه، وغارت عيـناه في رأسـه، فقـال لـه رسول الله صلّى الله عليه وآله: **كيف أصبحت يا فلان؟** فقـال: أصـبحت يـا رسـول الله موقناً. فعجب رسول الله صلّى الله عليه وآله من قوله وقال له: **إنّ لكلّ شيء حقيقة، فما حقيقة يقينك؟** قال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي و أظمأ هواجرى، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نُصب للحساب وحُشر الخلائق لـذلك وأنـا فـيهم، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون فيها ويتعارفون، على الأرائـك متّكئين، وكأنّي أنظر إلى أهل النار فيها معذَّبين يصطرخون، وكأنّي أسمع الآن زفير النار يدور في مسامعي. قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصـحابه: **هـذا عـبد نـوّر الله قلبه للإيمان**، ثم قال: **الزم ما أنت عليه**. فقال له الـشابّ: يا رسول الله ادعُ الله لي أن أُرزق الشهادة معك. فدعا له رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبيّ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر»(١).

(١) **المحاسن**، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران: ج ١، ص ٢٥٠ – ٢٥١.

قال المازندراني: في تعليقه على هذه الرواية:

«ينبغي أن يعلم أنّ السالك العارف الموقن الزاهد وإن كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة بعين بصيرة لأحوال الجنّة ودرجاتها وسعاداتها وأهلها وأحوال النار ودركاتها وشقاوتها وأهلها كالذين شاهدوا الجنّة بعين حسِّهم وتنعُّم أهلها وكالذين شاهدوا النار وعذاب أهلها، وهي مرتبة عين اليقين أو حقّ اليقين أو مرتبة علم اليقين على احتمال بعيد.

والحق أنّ الجواب بمرتبة عين اليقين أنسب (فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله) بعدما سمع منه هذه الآثار والأمارات التي هي شواهد صدق على وجود حقيقة اليقين وغاية كماله فيه: (**هذا عبد نوَّر الله قلبه بالإيمان**) أريد بالإيمان الإيمان الكامل»[1].

٥ ـ في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنّ الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة...**»[2]. وغير ذلك من الروايات التي تؤكّد المضمون ذاته.

حاصل ما تقدّم أنّ ما يلحظ من التأكيد على اليقين الوارد في هذه النصوص الشريفة، ليس من سنخ اليقين الحاصل من المفاهيم الذهنية والبراهين العقلية المسمّى بالعلم الحصولي الذي يكون عرضة للشكّ والشبهات والاختلاف.

---

(١) **شرح أصول الكافي**، المازندراني، تحقيق: مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ١٤٢١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج٨، ص١٦٦.

(٢) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢١١ – ٢١٣.

الفرق بين اليقين القرآني واليقين الاصطلاحي

عند التأمّل في النصوص القرآنية والروائية آنفة الذكر، نجد أنها تسجّل فارقاً مهمّاً بين اليقين القرآني واليقين الاصطلاحي. ومن هذه الفوارق:

١ـ إنّ اليقين الاصطلاحي يحصل من طريق المقدّمات الفكرية والاستدلالات العقلية، أمّا اليقين القرآني فإنّه لا يحصل إلاّ من خلال مشاهدة الملكوت بالرؤية القلبية.

٢ـ إنّ اليقين القرآني سنخ يقين لا مجال فيه للغفلة عن النتائج المترتّبة عليه، لأنّه لو انفكّ عن آثاره ونتائجه يلزم أنّ ما فُرض يقيناً ليس بيقين، كما هو واضح من سؤال النبيّ صلّى الله عليه وآله لذلك الذي ادّعى اليقين، حيث بادره صلّى الله عليه وآله بالسؤال عن علامة وحقيقة ذلك اليقين بقوله: «**ما حقيقة يقينك؟**»، فأجاب الشابّ بأنّ حقيقة يقينه وأثره أنّ نفسه عزفت عن الدنيا وأنّه أحزنه وأسهر ليله وأظمأ هواجره... ولو كان ذلك اليقين ينفكّ عن الآثار لما سأله النبيّ صلّى الله عليه وآله عن ذلك.

نعم لليقين القرآني مراتب ودرجات كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام حينما سأله السائل: ما بال أصحاب عيسى عليه السلام كانوا يمشون على الماء وليس ذلك في أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله؟ فقال: «**إنّ أصحاب عيسى عليه السلام كفوا المعاش، وإنّ هؤلاء ابتلوا بالمعاش**» [١]

وهكذا تتدرّج مراتب اليقين، كما نلمسه واضحاً في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٍ**﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿**تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ**

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ١٤ ، ص ٢٧٨.

(٢) الإسراء: ٥٥.

بَعۡضٖ﴾[١]. فجميع الأنبياء وصلوا إلى مقام اليقين، لكنّ درجات ومراتب اليقين لديهم متفاوتة.

أمّا اليقين الاصطلاحي فلا ملازمة بينه وبين الآثار المترتّبة عليه، وهذا ما تقرره الآية المباركة: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾[٢]. فعلى الرغم من حصولهم على مرتبة اليقين إلاّ أنّهم جحدوا؛ ممـا يكشف عن عدم ملازمة مثل هذا اليقين ـ الاصطلاحي ـ للآثار.

قال المحقّق الطوسي: «إنّ مراتب المعرفة بالله تعرف بملاحظة مراتب معرفة النار مثلاً، فإنّ لمعرفتها مراتب أدناها معرفة من سمع أنّ في الوجود شيئاً يعدم كلّ شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كلّ شيء يحاذيه، ويسمّى ذلك الموجود ناراً. ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المقلّدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة.

وأعلى منها مرتبةً معرفة من وصل إليه دخان النار، وعلم أنّه لابدّ له من مؤثّر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان، ونظير هذه المعرفة في معرفة الله معرفة أهل النظر والاستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع.

وأعلى منها مرتبة معرفة من أحسّ بالنار بسبب مجاورتها، وشاهد الموجودات بنورها، وانتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المؤمنين المخلصين الذين اطمأنّت قلوبهم بالله، وتيقّنوا أنّ الله نور السماوات والأرض، كما وصف به نفسه.

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) النمل: ١٤.

وأعلى منها مرتبةً معرفة من احترق بالنار بكلّيته، وتلاشى فيها بجملته، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى، رزقنا الله الوصول إليها، والوقوف عليها بمنّه وكرمه...»[١].

٣ـ إنّ اليقين القرآني لا مجال فيه للشكّ والريب والتزلزل، لأنّه لم يحصل من طريق الاستدلالات العقلية والفكرية وإنّما هو بالمشاهدة وحضور نفس المعلوم لدى العالم، وهذا بخلاف اليقين الاصطلاحي فإنّه بمجرّد حصول خلل في بعض المقدّمات يحصل شكّ في النتائج المترتّبة على تلك المقدّمات، ومما يشهد لذلك ما نلحظه من خطأ الكثير من النظريات العلمية بسبب التصوّر الخاطئ لدى صاحب تلك النظرية المتأثرة بمؤثّرات معيّنة أو نتيجة عدم رعاية شرائط الاستنتاج، بل نجد أنّ الخطأ لا يقف على تخوم التصوّرات الخاطئة وإنّما يتخطّاها إلى المحسوسات بواسطة أدوات الحسّ، من قبيل إحساس اليد الساخنة ببرودة الماء الدافئ أو رؤية السراب ماءً ونحوها مما يسمّى بخداع الحواسّ.

رؤية الملكوت منشأ اليقين القرآني

هنالك عدد من النصوص القرآنية تلتقي في التركيز على أنّ الطريق والسبيل الوحيد لتحقّق اليقين القرآني هو المشاهدة القلبية لملكوت وباطن الأشياء، ومن أهمّ هذه النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ** ﴾[٢] حيث ربطت

(١) نقلاً عن **اللمعة البيضاء** للتبريزي الأنصاري، تحقيق هاشم الأنصاري، ١٤١٨هـ، مؤسسة الهادي، قم: ص٤٤٢.

(٢) الأنعام: ٧٥.

الآية بين رؤية الملكوت وحصول اليقين.

فالبلوغ والوصول إلى مقام اليقين القرآني لا يمكن أن يتحقّق إلاّ بالمشاهدة القلبية للملكوت ووقوف الإنسان على حقائق الأشياء؛ ولذا نجد أنّ إبراهيم عليه السلام حين فرغ من بناء البيت الحرام دعا ربّه بقوله ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[1] حيث طلب من ربّه رؤية المناسك ومشاهدتها قلباً.

إذاً هنالك تلازم بين رؤية الملكوت وبين حصول اليقين القرآني، فمن لامس وشاهد ملكوت الأشياء فقد وصل إلى مقام اليقين.

أدوات رؤية الملكوت

من المعلوم أنّ الله تعالى زوّد الإنسان بأدوات وحواسّ يمكنه من خلالها رؤية الأشياء الظاهرة، كالعين الجارحة والأذن والسمع والشمّ يمكن من خلالها التمييز بين ظاهر الأمور المادّية.

أمّا باطن وملكوت الأشياء فهي خارجة عن دائرة وقدرة الأدوات والحواسّ الظاهرة إذ لا يمكن بهذه الحواسّ الظاهرة الاطلاع على ملكوت وباطن الأشياء. وهذه الحقيقة سجّلتها جملة وافرة من روايات أهل البيت عليهم السلام.

ولعلّ أوضح الروايات في المقام ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في الخبر الطويل في المعراج عن أبي عبد الله عليه السلام (إلى أن قال:) «**فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيّب ولحم خبيث وهم يأكلون الخبيث ويدَعون الطيّب، فسألت جبرائيل من هؤلاء؟ فقال: الذين يأكلون الحرام ويدَعون الحلال من أمّتك.** قال: **ثمّ مررت بأقوام لهم مشافر كمشافر الإبل،**

---

(١) البقرة: ١٢٨.

يقـرض اللحم من أجسامهم ويلقى في أفواههم، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقـال: هـم الهـمّازون اللـمازون، ثـم مـررت بأقوام ترضخ وجوههم ورؤوسهم بالـصخر، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: الذين يتركون صلاة العشاء، ثم مـضيت فـإذا أنا بأقوام يُقذف بالنار في أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقلت: من هـؤلاء؟ قـال: هـؤلاء الـذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، إنّما يأكلون في بطونهم نـاراً، وسيصلون سعيراً، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أنّ يقوم فلا يقدر مـن عظـم بطنه! فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: فهم الذين يأكلون الربا لا يقومـون إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ، وإنّهم لبسبيل آل فرعون، يُعرضون على النار غدواً وعشياً، يقولون: ربّنا متى تقوم الساعة؟ ولا يعلمون أنّ الـساعة أدهـى وأمـر، ثـم مـررت بنـساء معلَّقات بثديهن، فقلت: من هؤلاء يا جبرائـيل؟ فقـال: هـن اللـواتي يـورثن أمـوال أزواجهـن...»[1] ونحـوها من الـروايات لاسـيّما تلـك الـروايات الـواردة في باب معراج الرسول الأكرم الذي رأى فيه صلّى الله عليه وآله بواطن وحقائق الأشياء.

ومـن الواضـح بالوجدان أنّ حواسّ الإنسان الظاهرية لا يمكنها رؤية باطن الأشياء وحقيقتها؛ إذاً فما هي أدوات رؤية ملكوت وباطن الأشياء؟

الجـواب: إنّ الله تعـالى كـما أعطـى للإنـسان هذه الحواسّ الظاهرة من العينـين والأذنـين... كـذلك زوّده تعالى بأدوات باطنة لرؤية باطن وحقيقة الأشـياء فأعطاه تعالى عينين باطنيتين لرؤية باطن الأشياء وأعطاه قوّة يسمع بها باطن الأشياء وقوّة شمّ وهكذا.

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦، ص ٢٣٩.

الوجدان خير شاهد على وجود أدوات الرؤية الباطنية

وهـذه الحقـيقة نلمـسها بالـوجدان، فالإنسان في حالة نومه يرى أشياء ويـسمع ويشمّ ويأكل ويضحك، كلّ ذلك مع كون الحواسّ الظاهرة نائمة، وهـذا خير شاهد على أنّ للنفس قوى وحواسّ باطنة بها ترى وتسمع باطن الأشياء، وقد أشار إلى هذه الحقيقة جملة من العلماء والباحثين

وقـد دلّت عدّة من النصوص القرآنية والروائية على هذه الحقيقة. وهي وافرة ومتعدّدة لا يسع المقام لذكرها جميعاً؛ لذا نقتصر على بعض منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]

فالآيـة المـباركة وصفت أولئك الذين أعرضوا عن ذكر الله تعالى بأنّهم لهم آذان وعيون لكن لا يسمعون بها، على الرغم من وجود الأعين والآذان الظاهـرية التـي يـسمعون بهـا، وهـذا يكـشف عن وجود أدوات وحواسّ باطنـية للإنسان، ولذا عقّبت الآية بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2] فقـد نـسبت العمـى إلى القلب مما يعني اشتمال القلـوب عـلى أعـين باطنـية وإذا عميت هذه الأعين الباطنية سوف يحجب الإنسان عن رؤية الحقيقة.

إنّ للقلـب اسـتعمالات مـتعدّدة، فـتارة يطلـق القلب ويراد منه القلب الصنوبري وهو مضخّة الدم.

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) الحج: ٤٦.

وتـارة أخـرى يطلق القلب ويراد منه مركز العقل والتفكير كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾(١) وجاء في تفسير هذه الآية عن الإمام الكاظم عليه السلام قوله: «**القلب في هذه الآية بأنّه العقل**»(٢).

وتـارة يطلق القلب ويراد به مركز المعارف غير الحسّية وغير العقلية كما في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾(٣) فالقرآن الكريم نزل على قلـب النبـيّ صلّى الله عليه وآله لا بقوّة العقل والاستدلال العقلي، وإنّما حصلت المعـارف القرآنية للنبيّ صلّى الله عليه وآله بمشاهدته القلبية لتلك الحقائق، وهذا المعنـى مـن القلـب هـو حقـيقة الإنـسان وروحـه وهو الذي يرى الحقائق الباطنية الملكوتية.

إذاً المـراد مـن القلـب الـذي لـه أدوات الـرؤية والـسمع، ليس القلب الصنوبري ولا مركز التعقل، وإنّما هو حقيقة الإنسان وجوهره.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾(٤). وهذه الآية واضحة الدلالة في نسبة الذكر إلى القلب لا إلى العين الظاهرية؛ لأنّ الذكر والغفلة ليس من وظائف هذه العين الظاهرية، وإنّما وظيفتها الرؤية البصرية.

عـلى هذا فالآية تشير إلى أنّ القلب الذاكر هو القلب البصير، أمّا القلب الغافل فهو قلب أعمى.

---

(١) ق: ٣٧.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج١، ص١٦.

(٣) الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٤) طه: ١٢٤.

ومما يشهد لذلك قوله تعالى يحكي قول أهل النار: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾[(١)]. فلو كان المراد بالعمى هو عمى العين الظاهرية لكان من المناسب أن يكون التعبير في الجواب: «أتتك آياتنا ولم ترها» وليس التعبير بـ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾؛ لأنّ النسيان ليس من وظيفة العين الظاهرية.

لذا في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام حين سأله المأمون عن قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[(٢)] أنّه قال عليه السلام: «**إنّ غطاء العين لا يمنع من الذكر، والذكر لا يرى بالعيون، ولكنّ الله عزّ وجلّ شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالعميان لأنّهم كانوا يستثقلون قول النبيّ صلّى الله عليه وآله فيه ولا يستطيعون سمعاً.** فقال المأمون: فرّجت عني فرّج الله عنك»[(٣)].

إذاً فالآية تدلّ بوضوح على وجود حواسّ باطنية لرؤية ملكوت الأشياء.

إذاً هناك رؤية أخرى غير الرؤية المادّية التي يشترك فيها جميع البشر بما فيهم الكافر والفاسق، وتلك الرؤية هي الميزان الحقيقي لتميّز الناس، ولذا نجد أنّ الله تعالى يمدح إبراهيم وذرّيته الذين اصطفاهم؛ لحيازتهم هذه الرؤية الباطنية، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾[(٤)].

---

(١) طه: ١٢٥.

(٢) مريم: ١٠١.

(٣) **التوحيد**، الصدوق، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، جامعة المدرسين قم: ص٥٣٥.

(٤) ص: ٤٥.

وهـذا المعنـى يلتقـي مـع ما ذهب إليه اللغويون من إطلاق البصر على الرؤية الظاهرية، التي تختلف عن البصيرة التي تطلق على الرؤية القلبية.

قـال الراغب: «البصر يقال للجارحة الباصرة، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾، و﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ والقوّة التي فيها»[1].

ولهذا نجد بعض الناس مع فقده للعين الظاهرية، إلاّ أنّه على الرغم من ذلـك فقـد يكـون ذا بـصيرة، بل لعلّ بعض الفاقدين للبصر الظاهري أكثر وعياً وبصيرة لمن عنده قوّة بصر ونظر مادّي.

قـال الطباطبائـي: الـرؤية الباطنـية «هـي نوع شعور في الإنسان يشعر بالـشيء بنفـسه مـن غـير استعمال آله حسّية أو فكرية، وإنّ للإنسان شعوراً بـربّه غـير مـا يعـتقد بوجـوده مـن طريق الفكر واستخدام الدليل بل يجده وجـداناً مـن غـير أن يحجبه عنه حاجب ولا يجرّه إلى الغفلة عنه إلاّ اشتغاله بنفسه وبمعاصيه التي اكتسبها، وهي مع ذلك غفلة عن أمر موجود مشهود لا زوال علم بالكليّة ومن أصله..»[2].

٣ـ قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[3].

الآيـة صريحـة في أنّ الختم على السمع والبصر الباطني لا الظاهري لأنّ الحواسّ الظاهرية من البصر والسمع لا توجد فيها غشاوة وختم.

---

(١) **المفردات**، مصدر سابق: ج١، ص٣٢٧.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٨، ص ٢٤٠.

(٣) البقرة: ٧ـ ٨.

وهـذا يـدلّ عـلى وجـود أدوات رؤيـة وسـمع باطنـي غـير الأدوات الظاهرة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1] حيث تشير الآية إلى وجود نوعين من النور.

الـنوع الأول: الـنور الظاهـري المادّي الذي بواسطته يمكن من خلاله رؤية الأشياء المادّية.

الـنوع الـثاني: الـنور الباطنـي الـذي يكـون سبباً لإخراج الإنسان من الظلمات.

عـلى هـذا فالآيـة ترمـي إلى القول بأنّ الإنسان الكافر يعيش في ظلمات لكـن لـيس الظلـمات المادّيـة الظاهـرية، لأنّ الكافـر في هـذه الدنيا يستفيد وينتفع من هذه الأنوار المادّية كما هو واضح.

إذاً المراد بالظلمات التي يعيش فيها الإنسان الكافر هي ظلمات الباطن، أمّا الإنسان المؤمن الذي فتح الله بصيرته وقلبه، فهو يتمتّع بالنور الباطني المعنوي، وهي الحياة التي يريدها القرآن الكريم للإنسان في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[2] أي الحياة المعنوية الباطنية لا الحياة الحيوانية التي يشترك

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) الأنفال: ٢٤.

فيها مع الأنعام.

وعلى هذا فقد يكون الإنسان حيّاً بالحياة الحيوانية إلاّ أنّه ميّت من جهة الحياة المعنوية الباطنية، وهذا ما يسجّله أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«**وآخر قد تسمّى عالماً وليس به. فاقتبسَ جهائل من جهّال، وأضاليل من ضلّال. ونصب للناس شركاً من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه... فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتّبعه، ولا باب العمى فيصدّ عنه. فذلك ميّت الأحياء**»[١].

وغير ذلك من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤].

ونحوها من الآيات التي تؤكّد حقيقة أنّه كما يوجد للإنسان بصر وسمع وشمّ ظاهري كذلك توجد عند الإنسان بصر وسمع وشمّ باطني.

أدوات الرؤية الباطنية في النصوص الروائية

في ما يلي نمرّ على إضمامة من الروايات التي أثبتت بصراحة وجود أدوات وحواسّ باطنية للإنسان لرؤية ملكوت وباطن الأشياء:

١ــ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما من قلب إلاّ وله أذنان، على إحداهما**

(١) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: ج ١، ص ١٥٣.
(٢) الرعد: ١٦.
(٣) الرعد: ١٩.
(٤) هود: ٢٤.

ملك مرشد وعلى الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1].

٢ ــ عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما من مؤمن إلاّ ولقلبه أذنان في جوفه: أذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأذن ينفث...**» [2]

٣ــ عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال في حديث طويل: «**ألا إنّ للعبد أربع أعين: عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه، وعينان يبصر بهما أمر آخرته، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب في أمر آخرته، وإذا أراد به غير ذلك ترك القلب بما فيه**» [3].

٤ــ عن إسحاق بن عمار قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا إسحاق خف الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنّه يراك، فإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك**» [4].

قال المجلسي في توضيح الحديث: «اعلم أنّ الرؤية تطلق على الرؤية بالبصر وعلى الرؤية القلبية وهي كناية عن غاية الانكشاف والظهور، والمعنى الأوّل هنا أنسب، أي خف الله خوف من يشاهده بعينه وإن كان محالاً، ويحتمل الثاني أيضاً فإنّ المخاطب لما لم يكن من أهل الرؤية القلبية ولم

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢، ص ٢٦٦ .
(٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢٦٧.
(٣) **الخصال**: مصدر سابق: ص ٢٤٠.
(٤) **الكافي**، مصدر سابق: ج٢ص٦٧.

يرتق إلى تلك الدرجة العلّية، فإنها مخصوصة بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام قال له: كأنّك تراه، وهذه مرتبة عين اليقين وأعلى مراتب السالكين»[١].

٥ــ عن ثابت بن دينار قال: «سألت زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: **تعالى عن ذلك**. قلت: فلما أسرى بنبيّه محمد صلّى الله عليه وآله إلى السماء؟ قال: **ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه وبدايع خلقه**. قلت: فقول الله عزّ وجلّ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾؟ قال: **ذاك رسول الله صلّى الله عليه وآله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات ثم تدلّى صلّى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى**»[٢].

وغير ذلك من الروايات المتضافرة التي تؤكّد هذه الحقيقة التي انتهينا إليها في البحث القرآني وهي امتلاك الإنسان لأدوات وحواسّ باطنية لرؤية باطن وملكوت الأشياء.

المقدّمة الرابعة: شرائط رؤية الملكوت

أشار القرآن الكريم إلى عدد من الشرائط والموانع لرؤية الملكوت. فمن الشرائط: الطهارة والتقوى، وأما الموانع فمن قبيل: الظلم والفسق والكفر ونحوها. إلاّ أننا سوف نقتصر الكلام في هذه الشرائط بالقدر الذي يلامس بحثنا، وما نتوخّاه من هذه المقدّمة هو شرطية الطهارة في رؤية الملكوت، وأنّ المتطهر هو الذي يمكنه مشاهدة باطن وملكوت الأشياء، أمّا بقية

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦٧، ص ٣٥٦.

(٢) **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف: ج ١، ص ١٣١.

الشرائط والموانع فنرجئها إلى موضع آخر.

وقبل الولوج في الاستدلال على شرطية الطهارة لرؤية الملكوت ينبغي أن نمكث قليلاً لمعرفة ما هو المراد من الطهارة المقصودة والتي تكون شرطاً لرؤية الملكوت.

المراد من الطهارة

لقد بيّن القرآن الكريم معنى الطهارة بشكل واضح، منطلقاً من خلال مقابلتها للرجس كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] وفي الوقت ذاته سلّط القرآن الكريم الضوء على معنى الرجس ومراتبه الشاملة للرجس المادّي والمعنوي، وعلى هذا الأساس فإنّ المقصود من الطهارة التي تكون شرطاً لرؤية الملكوت هي الطهارة الشاملة للطهارة المادّية والمعنوية.

ولكي يتّضح المطلوب سوف نلج في البحث عن معنى الرجس لغة ومراتبه في القرآن الكريم.

قال الراغب: «الرجس بالكسر: القذر ـ ويحرَّك وتفتح الراء وتكسر الجيم ـ والمأثم وكلّ ما استقذر من العمل، والعمل المؤدّي إلى العذاب والشكّ والعقاب والغضب...»[2] ونفس المضمون في لسان العرب[3] والقاموس المحيط[4].

وقال الطباطبائي: «الرجس: الشيء القذر ـ على ما ذكره الراغب في

---

(١) الأحزاب ٣٣.

(٢) **المفردات في غريب القرآن**، مصدر سابق: ص٢٤.

(٣) **لسان العرب**، مصدر سابق: مادة رجس.

(٤) **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، مصدر سابق: ج٢ ص٣١٨.

مفـرداته ـ فالرجاسـة بالفـتح كالنجاسة، والقذارة هو الوصف الذي يبتعد وينتزّه عن الشيء بسببه، لتنفّر الطبع عنه»[١].

وقال الفخر الرازي: «الرجس عبارة عن المفاسد المستقذرة المستكرهة»[٢].

وقـال الآلـوسي: «الـرجس في الأصـل: الشيء القذر... وقيل يقع على الإثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص، والمراد هنا ما يعمّ ذلك»[٣].

ومـن جميع ما تقدّم يتّضح أنّ الرجس لا ينحصر في الأمور المادّية، وإنّما يـشمل جمـيع الأمـور المادّيـة والمعـنوية كـالأعمال والـسلوك والأخـلاق والملكات والعقائد الباطلة.

مراتب الرجس في القرآن الكريم

هنالك عدد من النصوص القرآنية كشفت النقاب عن الرجس ومراتبه المتعدّدة وانقسام المـرتبة المعـنوية مـنه إلى مـراتب. فعـن المرتبة المادّية من الرجس قال تعالى: ﴿أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾[٤]. فالآيـة واضـحة الدلالـة في الإشـارة إلى المـرتبة المادّيـة مـن الرجس. أمّا المراتب المعنوية من الرجس فمنها:

١. **الضلال**؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٦ ص١٢٠.

(٢) **التفسير الكبير**، مصدر سابق: ص١٨٨.

(٣) **روح المعـاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج٢٢ ص١٢.

(٤) الأنعام: ١٤٥.

يُؤْمِنُونَ ﴾[١]. فالآية المباركة تشير بوضوح إلى المرتبة الباطنية من الرجس لأنّ الضلال من الأمور الباطنية.

٢. **عبادةالأوثان**؛ قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾[٢].

٣. **النفاق**؛ قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾[٣].

٤. **الريب والشك المؤدّي إلى الضلال**؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[٤].

٥. **نفس المنافق**؛ قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾[٥].

وغير ذلك من النصوص القرآنية التي تشاركها في المضمون ذاته والتي تؤكّد أنّ الرجس شامل للأمور المادّية والمعنوية من الملكات والاعتقادات الباطلة والأخلاق ونحوها والتي هي على مراتب أيضاً.

مراتب الطهارة في القرآن الكريم

بعد هذه الجولة السريعة التي استعرضنا فيها مراتب الرجس من خلال النصوص القرآنية، نعطف الكلام للوقوف على مراتب الطهارة وحقيقتها من خلال مقابلتها للرجس. وعلى هذا نجد أنّ مراتب الطهارة هي نفسها مراتب الرجس بحكم قانون المقابلة والضدّية، فتتعلّق الطهارة أيضاً

---

(١) الأنعام: ١٢٥.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) التوبة: ١٢٥.

(٤) يونس: ١٠٠.

(٥) التوبة: ٩٥.

بالأمـور المادّيـة والمعـنوية مـن الملكـات والمعـتقدات والأخـلاق والأعمال ونحوها، وأشارت إلى ذلك عدد من النصوص القرآنية:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[1]. ومن الواضح أنّ المراد بالطهارة من خلال المسح بالتراب هي الطهارة المعنوية، لأنّ الطهارة الظاهرية لا تتحقّق بالمسح بالتراب.

٢ـ قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾[2] وهي مرتبة من الطهارة المعنوية، لأنّ التعلّق بالأموال والانجذاب إليها رجس، فتكون الصدقة سبباً لطهارة القلب من التعلّق بالأموال، الذي هو من مراتب الرجس، لذا قال تعالى: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾[3] وغير ذلك من الآيات التي تشاركها في بيان مراتب الطهارة.

الطهارة القلبية أعلى مراتب الطهارة

المقـصود مـن الطهـارة القلبية، هو طهارة القلب من التوجّه عن كلّ ما سوى الله تعالى، وقد وصف الله تعالى قلب إبراهيم عليه السلام بهذه المرتبة من الطهارة حيث قال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ * إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[4]. والقلب السليم هو القلب السالم من جميع آفات القلوب[5].

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) المجادلة: ١٢.

(٤) الصافات: ٨٣-٨٤.

(٥) انظر **الكشاف**، مصدر سابق: ج٣ ص٣٢٠.

قال الفخر الرازي في تفسير القلب السليم: «أمّا السليم ففيه ثلاثة أوجه: الأوّل، وهو الأصحّ: أنّ المراد منه سلامة القلب عن الجهل والأخلاق الرذيلة، وذلك لأنّه كما أنّ صحّة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتصال، ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور، فكذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق الفاضل، ومرضه عبارة عن زوال أحدهما. فقوله: ﴿ **إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ أن يكون خالياً من العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذّاتها.

فإن قيل: فظاهر هذه الآية يقتضي أنّ من سلم قلبه كان ناجياً، وأنّه لا حاجة فيه إلى سلامة اللسان واليد.

فجوابه: إنّ القلب مؤثّر واللسان والجوارح تبع، فلو كان القلب سليماً لكانا سليمين لا محالة، وحيث لم يسلما ثبت عدم سلامة القلب»[1].

فالقلب السليم هو القلب الطاهر الذي أخلص لله تعالى وانقاد له تمام الانقياد والتسليم.

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾، قال: «**السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه**»[2].

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا**﴾[3] إلى هذه المرتبة من الطهارة القلبية التي تعني التحرّر

(١) **التفسير الكبير**، مصدر سابق: ج٤ ص١٥١.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج٢ص١٥.

(٣) الإنسان: ٢١.

مـن كـلّ ما سوى الله تعالى؛ قال: «**شراباً يشربه أهل الجنّة فيطهّرهم عن كلّ ما سوى الله**»[١].

وهـذه المـرتبة من الطهارة القلبية تنطبق على الصنف الثالث من الناس الذين يعبدون الله تعالى لا خوفاً ولا طمعاً وإنّما لأجل كونه أهلاً للعبادة كما في الحديث المشهور عن أمير المؤمنين عليه السلام «**ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**»[٢].

قال الطباطبائي: «إنّ المطهّرين من عباد الله هم يمسّون القرآن الكريم الذي في الكتاب المكنون والمحفوظ من التغيّر، ومن التغيّر تصرّف الأذهان بالورود عليه والصدور منه، وليس هذا المسّ إلاّ نيل الفهم والعلم. ومن المعلوم أيضا أنّ الكتاب المكنون هذا هو أمّ الكتاب المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو المذكور في قوله ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾. وهؤلاء قوم نزلت الطهارة في قلوبهم وليس ينزلها إلاّ الله سبحانه، فإنّه تعالى لم يذكرها إلاّ كذلك، أي منسوبة إلى نفسه كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾. وما في القرآن شيء من الطهارة المعنوية إلاّ منسوبة إلى الله أو بإذنه، وليست الطهارة إلاّ زوال الرجس من القلب، وليس القلب من الإنسان إلاّ ما يدرك به ويريد به. فطهارة القلب طهارة نفس الإنسان في اعتقادها وإرادتها، وزوال الرجس عن هاتين الجهتين، ويرجع إلى ثبات القلب في ما

---

(١) **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني: ج٥ ص٢٦٥.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٦٧،ص١٨٦.

اعتقده من المعارف الحقّة من غير ميلان إلى الشكّ ونوسان بين الحقّ والباطل، وثباته على لوازم ما علمه من الحقّ من غير تمايل إلى اتباع الهوى ونقض ميثاق العلم»[(١)].

الاستدلال على أنّ الطهارة القلبية شرط في رؤية الملكوت

بعد الوقوف على معنى الطهارة وأنّها ممتدة لتشمل ضروب الطهارة المادّية والمعنوية والقلبية، نتساءل عن الدليل الذي يشترط تحقّق الطهارة القلبية برؤية الملكوت وباطن الأشياء.

لعلّ أوضح الأدلّة التي تحتشد فيها الدلالة على شرطية الطهارة في الرؤية والمشاهدة القلبية لملكوت وباطن الأشياء هو قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[(٢)].

تقريب الاستدلال: إنّ معنى الكتاب المكنون والمحفوظ الذي هو باطن وملكوت القرآن الكريم، وهو تبيان لكلّ شيء، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[(٣)]: أنّ من خصائص هذا الكتاب أنّه لا يمكن أن يُنال ويُتوصَّل إليه من خلال العقل والفكر والمفاهيم وإنّما تنحصر المعرفة به من خلال المشاهدة القلبية.

أمّا قوله لا يمسّه: ففيه احتمالان:

الأوّل: أن يرجع الضمير في (لا يمسّه) إلى القرآن.

الثاني: عود الضمير إلى الكتاب المكنون.

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٣، ص٥٤.

(٢) الواقعة: ٧٨-٧٩.

(٣) يس: ١٢.

وبـناءً على قواعد اللغة العربية ينبغي عود الضمير إلى أقرب المراجع إلاّ إذا دلّت قرينة على خلاف ذلك أو وجد مانع عقليّ يمنع من إرجاع الضمير إلى الأقـرب. وفي هـذا الضوء وبمقتضى هذه القاعدة اللغوية لابدّ أن يرجع الضمير في (لا يمسّه) إلى الكتاب المكنون.

أمّا معنى المسّ فهو العلم به.

وعـلى هـذا فـتدلّ الآيـة عـلى أنّ الكـتاب المكـنون لا يعلمـه أحـد إلاّ المطهّـرون، أي لا يعلمـه علـماً حـضورياً إلاّ المطهّـرون، ولعلـنا لا نجانب الـصواب إذا مـا قلـنا أنّ السبب في تعبير القرآن (لا يمسّه) بدلاً من التعبير بــ(لا يعلمـه) لأجل أن لا ينصرف الذهن إلى العلم المتعارف الذي ينسجم مع قوانين المفاهيم والألفاظ. وقد تقدّم الكلام في حقيقة اليقين القرآني وأنّه عملـية مـسّ ومـشاهدة للحقائـق، كالذي يقع في النار ويحترق فيها، فعلمه بالنار من خلال مسّه لحقيقة النار.

ومن هنا لا يكون مفاد «لا» في لا يمسّه النهي عن مسّ الكتاب إلاّ عن طهـارة؛ لأنّـه يلزم أن تكون الطهارة منحصرة بالطهارة المادّية فقط؛ بمعنى أنّ الإنـسان غير المتطهّر مادّياً لا يجوز له مسّ القرآن، وهذا المعنى لا يتلاءم مـع إطـلاق الطهارة الشاملة لجميع مراتبها المادّية والمعنوية بما فيها الطهارة القلبية. وعلى هذا يكون مفاد «لا»: النفي أي أنّها نافية، وليست ناهية، ومن ثـمّ تكـون الآيـة في صـدد الإخـبار عـن هذه الحقيقة، وهي أنّ الذي يقف ويـشاهد ملكـوت وبـاطن الأشـياء بالمـشاهدة القلبـية هم المطهّرون فقط، الـواجدون لجميع مراتب الطهارة، وهم أصحاب القلب السليم من التعلّق عمّا سوى الله تعالى.

إذاً الآيـة صريحة في أنّ الذي يشاهد حقيقة الملكوت هو الإنسان المطهّر بالطهارة القلبية فقط.

وبهـذا يتّـضح أنّ الطهـارة القلبـية شرط في تحقّق رؤية باطن وملكوت الأشـياء. وهـذه الحقـيقة يقرّرها صدر الدين الشيرازي بقوله: «وللقرآن في كـلّ مـرتبه ومقـام حملـة يحفظونه ويكتبونه ولا يمسّونه إلاّ بشرط طهارتهم عـن حـدثهم أو عـن حـدوثهم، ونزاهتهم وانسلاخهم عن مكانهم أو عن إمكـانهم، والقـشر مـن الإنـسان لا يدرك إلاّ القشور من القرآن، والإنسان القـشري مـن الظاهـرية لا يـدرك إلاّ المفهـومات القشرية والنكات البيانية والأحكـام العملـية والسياسات الشرعية، وأمّا روح القرآن وسرّه ولبّه فلا يدركه إلا أولو الألباب وذوو البصائر؛ إذ حقيقة الحكمة لا تنال إلاّ بموهبة الله، ولا يـبلغ الإنـسان إلى مـرتبة يـسمّى حكيماً إلاّ بأن يفيض الله عليه من حكمـته حكمـة ومـن لدنـه علـماً؛ لأنّ العلم والحكمة من صفاته الكمالية، والعلـيم الحكـيم مـن أسماء الله الحسنى، ولابدّ في من له نصيب منهما أن يكون ذلـك بمجـرّد موهـبة الله إيـاه لـه؛ ولـذلك قـال سبحانه بعد قوله ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وسـمّى الحكمـة خـيراً كثـيراً وقـال: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾»[1].

وهـذا المعنى ما تحدّث به القرآن صراحة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[2] فالآية المباركة حصرت

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، مصدر سابق: ج ٣ص ٣٩.

(٢) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

مسّ الكتاب المكنون بالمطهّرين خاصّة.

النتيجة: المقربون لهم ولاية التصرف في التكوين

من رأى الملكوت ووصل إلى اليقين، له القدرة على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة؛ لأنّ الإنسان كلّما يكون أقرب إلى الله تعالى سوف يكون أكثر علماً وأكثر قدرة، ومن ثمّ يكون أثره في التصرّف بالموجودات أوسع وأكثر. فإذا وصل إلى مقام اليقين أقرب إلى الله تعالى فيكون له القدرة على التصرّف بالتكوين بشكل خارق للعادة.

ومما يعضد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] الذي يدلّ على أنّ مصدر هذا الأثر والقدرة على التصرّف في التكوين هو مقام من بيده ملكوت السماوات، فكل من وصل إلى هذا المقام يستطيع التصرّف في التكوين، بإذنه تعالى، ويقول للشيء كن فيكون.

الشواهد على أنّ المقربين لهم الولاية في التصرّف في التكوين

هنالك عدّة شواهد تساق لبيان أنّ المقربين لهم القدرة على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة.

الشاهد الأوّل: الشاهد القرآني: قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[2].

ومحلّ الشاهد في الآية المباركة قوله (الملائكة المقربون) الذي يكشف لنا أنّ وصف «المقرّبون» اختصّ به قسم من الملائكة، وحيث إنّ الملائكة

(١) يس: ٨٢.
(٢) النساء: ١٧٢.

المقـرّبين قـد أوكلـت لهم مهامّ التصرّف في نظام الوجود، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[(١)]، فهـذا يكشف عن أنّ منشأ ولايتهم في التصرّف في نظام الكـون هو كونهم من المقربين؛ وفي هذا الضوء تبيّن أنّ الإنسان إذا دخل في دائرة المقرّبين يكون له دور في نظام التكوين والتصرّف في نظام الوجود.

الـشاهد الـثاني: المقـرّبون مـؤيّدون بـروح القـدس: أشـارت جملة من الـروايات إلى أنّ المقـربين مؤيّدون بروح القدس، ومن خلالها يتمكّنون من التصرّف بالتكوين بشكل خارق للعادة، ومن هذه الروايات:

١ ـ عن جابر الجعفي قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا جابر إنّ الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً * فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ * وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصّة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيّدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيّدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عزّ وجلّ، وأيّدهم بروح القوّة فبه قدروا على طاعة الله، وأيّدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عزّ وجلّ وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون، وجعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوّة فبه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون**»[(٢)].

٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**بروح القدس علموا ما دون**

---

(١) النازعات: ٥.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٧١ – ٢٧٢.

العرش إلى ما تحت الثرى، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها. قلت: جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال: **نعم وما دون العرش**»[١] وهي واضحة الدلالة على أنّ روح القدس الذي يعطيهم العلم أو الذي يأخذون العلم بواسطته أقدرَهم على التصرّف التكويني بما في المشرق والمغرب إلى ما دون العرش.

ومما يؤيّد ذلك ما ورد قتادة عن الحسن قال حول ذي القرنين في قوله تعالى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ قال: «**أي علماً أن يطلب أسباب المنازل**»[٢].

وسيأتي أنّ ذي القرنين أعطاه الله تعالى الولاية التكوينية فبلغ المشرق والمغرب وسخّر الله له السحاب، وما ذلك إلاّ بالعلم الخاصّ الذي أعطاه الله إيّاه كما ورد عن الإمام الصادق قوله: «**بلغ ما بلغه ذو القرنين وجازه أضعافاً مضاعفة فشاهد كلّ مؤمن ومؤمنة**»[٣].

قال الحكيم السبزواري: «والإرادة في إرادته الثاقبة وقوّتها أن يكون الروح القدسي بحيث كلّ ما تعلّق تصوّره به وقع بمجرّد تصوّره، وتطيعه مادّة الكائنات فيتصرّف فيها كتصرّفه في بدنه»[٤].

٣ ـ ما رواه داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إنّ عيسى بن مريم كان من شرايعه السيح في البلاد،**

---

(١) المصدر نفسه: ص٤٧١.

(٢) **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١٩٨٨ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان: ج ٢، ص١٢٦.

(٣) **الهداية الكبرى**، الحسين بن حمدان الخصيبي، الطبعة: الرابعة سنة ١٤١١ – ١٩٩١ م، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان: ص٢٧٠.

(٤) **شرح الأسماء الحسنى**، الملا هادى السبزواري، منشورات مكتبة بصيرتي، قم - ايران: ج٢ ص٣٨.

فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى عليه السلام، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحّة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام: جازه بسم الله بصحّة يقين منه، فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله عليّ؟ قال: فرمس في الماء، فاستغاث بعيسى، فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء، فدخلني من ذلك عجب. فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت، فتُب إلى الله عزّ وجلّ مما قلت. قال: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً»[1] .

وقال الطباطبائي في معرض تعليقه على الرواية: «الحديث ـ كما ترى ـ يومئ إلى أنّ الأمر يدور مدار اليقين بالله سبحانه وإمحاء الأسباب الكونية عن الاستقلال في التأثير، فإلى أيّ مبلغ بلغ ركون الإنسان إلى القدرة المطلقة الإلهية انقادت له الأشياء على قدره، فافهم ذلك. ومن أجمع القول في هذا الشأن قول الصادق عليه السلام: «**ما ضعف بدن عما قويت عليه النيّة**»، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله في الحديث المتواتر: «**إنّما الأعمال بالنيات**»[2] .

قال الحافظ رجب البرسي في «مشارق أنوار اليقين»: «الولاية التكوينية قدرة يمنحها الله لخاصّة أوليائه الذين يتقرّبون من الله تعالى تقرّباً يصبح

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ٢، ص ٤٢٣.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ٦، ص ١٨٧.

سبحانه وتعالى سمعهم وأبصارهم وأيديهم، كما في حديث التقرّب بالنوافل المستفيض: **لا يزال العبد يتقّرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي ينطق، وبي يبطش، وبي يمشي»**[(١)].

وقال الخواجة نصير الدين الطوسي: «العارف إذا انقطع عن نفسه واتّصل بالحق رأى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته المتعلّقة بجميع المقدورات، وكلّ علم مستغرق في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، وكلّ إرادة مستغرقة في إرادته التي يمتنع أن يتأتى عليها شيء من الممكنات، بل كلّ وجود فهو صادر عنه فائض عن لدنه، فصار الحقّ حينئذ بصره الذي به يبصر وسمعه الذي به يسمع وقدرته التي بها يفعل وعلمه الذي به يعلم ووجوده الذي به يوجد، فصار العارف حينئذ متخلّقاً بأخلاق الله في الحقيقة»[(٢)].

وقال الشيخ حسن زاده آملي: «إنّ هذا الشخص، ولأنّ الحقّ يكون عينه التي يرى وأذنه التي بها يسمع، وعين جوارحه وقواه الروحية والجسمية، فإنّ تصرّفه الفعلي أيضاً يكون كالحدس والجذبة الروحية، حتى يصير قوله وفعله واحداً، ولا يحتاج إلى الامتداد الزماني في حركاته وانتقالاته، بل يصير محلاًّ لمشيئة الله ومظهراً لـ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ

---

(١) **مشارق أنوار اليقين**، الحافظ رجب البرسي، تحقيق: السيد علي عاشور، ١٤١٩هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان: ص ٢٢٥.

(٢) نقلاً عن **شرح الأسماء الحسنى** للملا هادى السبزواري، منشورات مكتبة بصيرتي، قم – إيران ج٢ص١١٢.

﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ حيث يتّحد عندها القول والفعل »[١].

وبهذا يتّضح أنّ مقام القرب الإلهي موجب للتصرّف التكويني، فيتّضح إمكانية إعطاء الله تعالى الولاية التكوينية لكلّ من وصل إلى ذلك المقام، ولا يلزم من إعطاء الله تعالى الولاية التكوينية لأحد من مخلوقاته أيّ محذور.

معنى القرب الإلهي

تقدّم أنّ المقصود بالقرب من الله تعالى هو القرب المعنوي ـ لا القرب المادّي ـ وهو التخلّق بأخلاق الله تعالى والسير على هداه، وهو يرجع إلى العبودية والانقياد والتسليم لله تعالى، كما في قوله تعالى على لسان إبراهيم على ما يحكيه القرآن الكريم بقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[٢] وهو بمعنى الانقياد والتسليم لله تعالى وهو العبودية له سبحانه.

إذاً فالمقربون وصلوا إلى أعلى درجات السير إلى الله تعالى، فهم النمط الأعلى من أهل السعادة كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٣]. وبهذا يتّضح أنّ المقربين هم المخلَصين الذين أخلصوا لله في العبودية والانقياد والتسليم له تعالى.

المقربون هم المخلَصون

لكي يتّضح أنّ المقرَّبين هم المخلَصون لابدّ من بيان معنى الإخلاص والفرق بين المخلِص (بالكسر) والمخلَص (بالفتح).

قال الراغب في مفرداته «الخالص كالصافي إلاّ أنّ الخالص هو ما زال

---

(١) نقلاً عن مشارق أنوار اليقين، مصدرسابق: ص ٢٢٥.

(٢) البقرة: ١٢٨.

(٣) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه...»[١].

بمعنى: أنّ الإخلاص هو الصفاء من كلّ شوب، وهو يلتقي مع الطهارة في مرتبتها العليا، وهي الطهارة القلبية؛ لأنّ الإنسان المتطهّر هو الإنسان الذي يكون مخلصاً في أعماله وسلوكه وأخلاقه وعقائده وكلّ ما في قلبه لله تعالى، فيكون صافياً وخالصاً من غير شوب.

ولهذا نجد تأكيد القرآن الكريم للطهارة بنفس الدرجة من تأكيده الإخلاص، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[٢] حيث أمر الله تعالى النبيّ صلّى الله عليه وآله في الآية المباركة أن يكون مخلصاً للدين الشامل لكلّ المعارف الدينية من الاعتقادات والأخلاق فضلاً عن بيان أحكام الدين.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[٣] وقوله: ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾[٤].

وهذا معناه أنّ الإخلاص في الدين إنّما يتمّ على الحقيقة إذا لم يتعلّق قلب الإنسان الذي لا يريد شيئا ولا يقصد أمراً إلاّ عن حبّ نفسيّ وتعلّق قلبيّ بغيره تعالى من معبود أو مطلوب كصنم أو ندّ أو غاية دنيوية، بل ولا مطلوب أخروي كفوز بالجنّة أو خلاص من النار، وإنّما يكون متعلّق قلبه هو الله تعالى في معبوديّته، فالإخلاص لله في دينه إنّما يكون بحبّه تعالى.

إذاً فالإخلاص مرجعه إلى الطهارة، والطهارة ترجع إلى الإخلاص.

---

(١) **المفردات في غريب القرآن**، مصدر سابق: ص١٥٤.

(٢) الزمر: ٢.

(٣) الزمر: ١١.

(٤) البقرة: ١٣٩.

الحبّ طريق الإخلاص

لقد أشارت النصوص القرآنية والروائية بشكل واضح إلى أنّ الطريق والسبيل لتحقّق الإخلاص هو الحبّ والتعلّق به تعالى وحده.

من النصوص القرآنية التي كشفت عن طريق تحقّق الإخلاص قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢].

بيان ذلك: إنّ الله تعالى دعا الناس إلى عبادته كما هو واضح في الآيتين آنفتي الذكر ونحوهما من الآيات التي تدعو الناس إلى عبادة الله تعالى. هذا من جهة، ومن جهة أخرى: إنّ الله تعالى أمر أن تكون العبادة الخالصة له سبحانه وحده، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٤] وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[٥] وغير ذلك من الآيات التي تدعو المؤمن أن يعبد الله تعالى بإخلاص.

ومن الواضح أنّ الإخلاص لله تعالى لا يتحقّق إلاّ إذا تعلّق قلب الإنسان بالله وحده، فلا يتحقّق الإخلاص لله إلاّ إذا كانت العبادة لله وحده وليست لأجل غاية دنيوية أو أخروية كالفوز بالجنّة أو الخلاص من النار.

---

(١) آل عمران: ٣١ .

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) البيّنة: ٥.

(٤) المؤمن: ١٤.

(٥) الزمر: ٣.

فأساس شريعة الإسلام والإخلاص لله هو الحبّ لله كما في قوله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] أي إن كان هدفكم هو عبادة الله تعالى فلابدّ من الإخلاص له، ولا يتحقّق الإخلاص إلاّ بحبّه تعالى.

لذا ورد في الروايات أنّ أساس الإسلام هو الحب، كما سيأتي في البحث الروائي.

قال الطباطبائي: «فالعبد المخلص لله بالحبّ لا بغية له إلاّ أن يحبّه الله سبحانه كما أنّه يحبّ الله، ويكون الله له كما يكون هو لله عزّ اسمه، فهذا هو حقيقة الأمر. غير أنّ الله سبحانه لا يعدّ في كلامه كلّ حبّ له حبّاً (والحبّ في الحقيقة هو العلقة والرابطة التي تربط أحد الشيئين بالآخر) على ما يقضي به ناموس الحبّ الحاكم في الوجود، فإنّ حبّ الشيء يقتضي حبّ جميع ما يتعلّق به ويوجب الخضوع والتسليم لكلّ ما هو في جانبه، والله سبحانه هو الله الواحد الأحد الذي يعتمد عليه كلّ شيء في جميع شؤون وجوده ويبتغي إليه الوسيلة ويصير إليه كلّ ما دقّ وجلّ، فمن الواجب أن يكون حبّه والإخلاص له بالتديّن له بدين التوحيد وطريق الإسلام على قدر ما يطيقه إدراك الإنسان وشعوره، وإنّ الدين عند الله الإسلام، وهذا هو الدين الذي يندب إليه سفراءه ويدعو إليه أنبياءه ورسله، وخاصّة دين الإسلام الذي فيه من الإخلاص ما لا إخلاص فوقه، وهو الدين الفطري الذي يختم به الشرائع وطرق النبوّة كما يختم بصادعه الأنبياء عليهم السلام وهذا الذي ذكرناه مما لا يرتاب فيه المتدبّر في كلامه تعالى، وقد عرف النبيّ صلّى الله عليه وآله سبيله الذي سلكه بسبيل التوحيد وطريقة الإخلاص على ما

(١) آل عمران: ٣١.

أمره الله سبحانه حيث قال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1] فذكر أنّ سبيله الدعوة إلى الله على بصيرة والإخلاص لله من غير شرك، فسبيله دعوة وإخلاص، وإتباعه واقتفاء أثره إنّما هو في ذلك، فهو صفة من اتبعه»[2].

التأييد في النصوص الروائية

هنالك عدد من النصوص الروائية تلتقي في الدلالة مع الآيات القرآنية في الكشف عن أنّ طريق الإخلاص لله تعالى، هو الحبّ والتعلّق به تعالى وحده، ومن أبرز هذه النصوص الروائية ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوا الله خوفاً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة...**»[3].

حيث يقسّم الإمام عليه السلام العبادة إلى ثلاثة أقسام:

١ـ الذين يعبدون الله رغبة، أي طمعاً وطلباً للجنّة والمغفرة.

٢ـ الذين يعبدون الله خوفاً من ناره وعقابه.

٣ـ الذين يعبدون الله لا رغبة ولا خوفاً.

وهذه الطائفة الثالثة قد ملأت محبّة الله تعالى قلوبهم ولم يروا سوى محبوبهم، بل لا يرون الأشياء إلاّ من خلال محبوبهم وهو الله سبحانه

روي أنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قائلاً: «**يا داود، إنّ أحبّ**

---

(١) يوسف: ١٠٨.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ٣، ص ١٥٩.

(٣) **تحف العقول**، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ، قم: ص٢٤٦.

الأحباء إليَّ من عبدني بغير نوال ولكن عبدني ليعطي الربوبية حقّها، ومن أظلم ممن عبدني لجنّة أو نار، ألم أكن أهلاً أن أطاع وأُعبد خالصةً؟»[١].

ومن المعلوم أنّ مقام العبادة لله وحده من دون رغبة ولا رهبة إنّما هو مقام لا يناله إلاّ ذو حظ عظيم، ولا يستطيع أيّ إنسان أن يصل إلى هذا المقام الذي لا يصله إلاّ الأولياء.

بيد أنّ الإخلاص التامّ معه تعالى لا يتحقّق إلاّ من خلال العبادة الخالصة وهي لا تحقّق إلاّ من خلال الإخلاص.

ومن هنا نجد تركيز الروايات على أنّ أساس الإسلام هو الحبّ، ومن هذه الروايات:

• عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر صلوات الله وسلامه عليه «أنّ قوماً أتوه من خراسان، فنظر إلى رجل منهم قد تشقّقتا رجلاه، فقال له: ما هذا؟ فقال: بعد المسافة، يا بن رسول الله، والله ما جاء بي من حيث جئت إلاّ محبّتكم أهل البيت، فقال له أبو جعفر: **أبشر، فأنت والله معنا تحشر**. قال: معكم، يا بن رسول الله؟ قال: **نعم، ما أحبّنا عبد إلاّ حشره الله معنا، وهل الدين إلاّ الحب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾**»[٢].

• وعن أبي عبيدة زياد الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث له قال: «**يا زياد ويحك وهل الدين إلاّ الحبّ، ألا ترى إلى قول الله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾. أو لا ترى قول الله لمحمد**

---

(١) نقلاً عن **شرح أصول الكافي**، للمولى محمد صالح المازندراني، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى ١٤٢١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ج ١٠، ص ٧٩.

(٢) **دعائم الإسلام**، القاضي النعمان المغربي: ج ١، ص ٧١.

صلّى الله عليه وآله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾. فقال: الدين هو الحبّ، والحبّ هو الدين»[1]. وغير ذلك من الروايات.

المراد من المخلَص والفرق بين المخلِص والمخلَص

المخلَص هو الذي يستخلصه الله تعالى ويختاره لنفسه، بعد أن أخلص لله تعالى في كلّ شيء ولم يوجد في قلبه شيء سوى الله تعالى. فالمخلَصون هم الذين أخلصوا لله فلا يشاركه فيهم أي في عبوديتهم وعبادتهم سواه ولا نصيب فيهم لغيره، ولا يذكرون إلاّ ربّهم، وقد نسوا دونه كلّ شيء حتى أنفسهم، فليس في قلوبهم إلاّ هو سبحانه، ولا موقف فيها للشيطان ولا لتزييناته.

وهم الطائفة الثالثة الذين عبدوا الله حباً له لا رغبة ورهبة، فطهّرهم الله تعالى، أمّا أولئك الذين عبدوا الله رغبة أو رهبة فليسوا من أصحاب الطهارة التامّة والإخلاص التامّ لله تعالى.

مما تقدّم يتّضح الفرق بين المخلِص (بالكسر) والمخلَص (بالفتح) فإنّ المخلِص (بالكسر) هو ذلك الإنسان الذي أخلص عمله وقلبه لله تعالى.

أمّا المخلَص (بالفتح، أي بصيغة اسم المفعول) فهو الذي وقع عليه الإخلاص، بمعنى أنّ الله تعالى استخلصه لنفسه، لأنّه وصل إلى أعلى درجات الطهارة ولم يتلوّث بألوان الموانع والمزاحمات، وهؤلاء هم الأنبياء والأئمة، وقال القرآن بأنّ الله اجتباهم أي جمعهم لنفسه وأخلصهم

---

(١) **المحاسن**، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

لحضرته؛ قال تعالى: ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(١)] وقال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[(٢)].

متى يكون الإنسان مخلَصاً

اتّضح مما تقدّم أنّ طريق الإخلاص لله تعالى هو الحبّ لله خالصاً والاتباع للرسول صلّى الله عليه وآله كما في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾.

فإذا وصل الإنسان إلى الإخلاص والحبّ لله تعالى، يبادله الله تعالى الحبّ، فإذا أحبه الله تعالى استخلصه لنفسه ويكون مخلَصاً من قبله سبحانه، فيوليه تعالى عنايته الخاصّة ويصطفيه ويجتبيه لنفسه.

امتيازات المخلَصين

ذكر القرآن الكريم ثلاثاً من امتيازات المخلَصين، وهي:

١: عدم تمكّن الشيطان من إغوائهم

وهذا ما نصّت عليه الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[(٣)]. ومن الواضح أنّ عدم إغواء الشيطان لِلْمُخْلَصِينَ هو لعدم تمكّنه وقدرته على إغوائهم؛ إذ إنّ الشيطان أقسم بالله العظيم أن لن يستثني أحداً من البشر في إغوائهم حيث قال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، فلا نصيب له فيهم لأنّهم وصلوا إلى درجة من العلم واليقين بنحو لا يمكن للشيطان من إغوائهم والوسوسة لهم، وهذا هو معنى العصمة. وقد تقدّم

---

(١) الأنعام: ٨٧.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) ص: ٨٢ ـ ٨٣.

في بحث العصمة أنّ منشأ المعصية هو إغواء الشيطان للإنسان.

وهذا معناه: أنّ الله سبحانه خلق بعض عباده هؤلاء على استقامة الفطرة واعتدال الخلقة، فنشأوا من بادئ الأمر بأذهان وقّادة وإدراكات صحيحة ونفوس طاهرة وقلوب سليمة، فنالوا بمجرّد صفاء الفطرة وسلامة النفس من نعمة الإخلاص ما ناله غيرهم بالاجتهاد والكسب بل أعلى وأرقى؛ لطهارة داخلهم من التلوّث بألوات الموانع والمزاحمات.

فهم وصلوا إلى مرتبة ودرجة وجودية بحيث أقرّ الشيطان بالعجز عن إغوائهم.

٢: المخلَصون لا يحضرون الحساب

هذه الحقيقة يكشف عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[1]، وهي واضحة الدلالة في أنّ المخلَصين لا يحضرون للحساب.

والسبب في عدم حضورهم للحساب ليس لأنّهم لا حساب لهم، وإنّما لأجل أنّهم قد حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ووزنوها قبل أن يوزنوا.

٣: المخلَصون لهم الحقّ في وصف الله تعالى

وهذه الحقيقة يشير إليها قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2] الدالّ بوضوح على تنزّه الحقّ تعالى من وصف غير المخلَصين، فيكشف عن أنّ غير المخلَصين لا يتمكّنون أن يصفوا الله تعالى، ولعلّ سبب عدم قدرة غير المخلصين على وصف الله تعالى يبدو واضحاً،

(١) الصافات: ١٢٧ – ١٢٨.

(٢) الصافات: ١٥٩ ـ ١٦٠.

إذ إنّ غير المخلَصين لم يعرفوا الله تعالى بما يمكّنهم من وصفه سبحانه بصورة صحيحة خالية من النقص؛ لأنّ الوصف الصحيح السليم فرع المعرفة الصحيحة، أمّا المخلَصون فقد وصلوا إلى درجة من العلم واليقين والمعرفة بالله تعالى تمكّنهم من وصف الله بالوصف والنعت السليم لله تعالى.

قال الطباطبائي: «إنّ هؤلاء المخلَصين من الأنبياء والأئمة عليهم السلام قد بيّنوا لنا جمل المعارف المتعلّقة بأسمائه تعالى وصفاته من طريق السمع وقد حصلنا العلم به من طريق البرهان أيضاً، والآية مع ذلك تنزّهه تعالى عمّا نصفه به دون ما يصفه به أولئك المخلَصون، فليس إلاّ أنّ العلم غير العلم وان كان متعلّق العلمين واحداً من وجه»[1].

بمعنى: أنّ الله تعالى منزّه عن كلّ وصف يصفه به الناس إلاّ عباد الله المخلَصين؛ لعدم قدرة غير المخلصين من بيان حقيقة الموصوف وهو الله تعالى بصورة سليمة.

لذا يقول الإمام الرضا عليه السلام في بيان وصف غير المخلَصين: «**كلّما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم. ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله تعالى زبانيتين فإنّ ذلك كمالها، ويتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما، وهذا حال العقلاء في ما يصفون الله تعالى به**»[2]؛ لأنّهم يصفونه بمفاهيم محدودة مع أنّ الله تعالى غير محدود بحدّ ولا يحيط به حدّ، فكل وصف يصفه به غير المخلصين فهو غيره تعالى، لأنّ ما توهّمتوه محدود فقير، ولا ينسجم مع الحقّ تعالى الغني الحميد اللامتناهي، وبتعبير

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١١، ص ١٦٣ .

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٦٦، ص ٢٩٣.

القرآن الكريم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١].

وبهذا يتضح السبب وراء أنه تعالى وإن حكى الحمد عن كثير من خلقه بل عن جميعهم، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[٢]. وقوله ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾[٣]. وقوله ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[٤]. إلاّ أنّه سبحانه شفع الحمد في جميعها بالتسبيح، بل جعل التسبيح هو الأصل في الحكاية وجعل الحمد معه، وذلك أنّ غيره تعالى لا يحيط بجمال أفعاله وكمالها كما لا يحيطون بجمال صفاته وأسمائه التي منها جمال الأفعال، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[٥] فما وصفوه به فقد أحاطوا به وصار محدوداً بحدودهم مقدّراً بقدر نيلهم منه، فلا يستقيم ما أثنوا به من ثناء إلاّ من بعد أن ينزّهوه ويسبّحوه عمّا حدّوه وقدّروه بأفهامهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦].

وأما المخلَصون من عباده تعالى فقد جعل حمدهم حمده ووصفهم وصفه حيث جعلهم مخلصين له، فقد بان أنّ الذي يقتضيه أدب العبودية أن يحمد العبد ربّه بما حمد به نفسه ولا يتعدّى عنه، كما في الحديث الذي رواه الفريقان عن النبيّ صلّى الله عليه وآله **(لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)**.

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) الشورى: ٥.

(٣) الرعد:١٣.

(٤) الإسراء:٤٤.

(٥) طه:١١٠.

(٦) النحل:٧٤.

خلاصة الفصل الأول

١ ـ الـولاية التكوينـية هي القدرة على التصرّف في الأمور الكونية التي تتجاوز القدرة العادية في التعامل مع النواميس الطبيعية، مثل إحياء الموتى، أو طـيّ الأرض، أو الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداد الطرف، أو تحريك الرياح، ونحو ذلك.

٢ ـ الاسـتدلال عـلى إمكانـية توفّر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى، من دون استلزام ذلك لأيّ محذور.

٣ ـ الدلـيل عـلى إمكانـية إعطـاء الله الـولاية التكوينية لبعض مخلوقاته يعتمد على المقدّمات التالية:

أ. المقدّمة الأولى: إنّ الله تعالى خلق هذا العالم وفق النظام الأحسن.

وقد استُدلّ على هذه المقدّمة بدليلين أحدهما عقليّ والآخر نقليّ.

ب. المقدّمة الثانية: العلاقة بين الأثر والمؤثّر علاقة جعلية من الله تعالى.

واسـتدلّ عـلى هـذه المقدّمـة بعـد إبطال النظريات الأخرى وهما نظرية الأشـاعرة القائلـة بعـدم وجـود علاقة بين الأثر والمؤثّر، والنظرية الأخرى القائلة بأن العلاقة بين الأثر والمؤثّر علاقة ذاتية.

وفي ذيـل هـذه المقدّمة تمّ الاستدلال على أنّ قانون العلّية المعلولية قانون عـامّ لكـلّ شيء بـما في ذلـك الأشياء الخارقة للعادة، وتبين كذلك أنّ السبب القريب لحصول الخارق للعادة هو نفس الآتي بالخارق، لكن بإذن الله تعالى.

٣ـ المقدّمة الثالثة: رؤية الملكوت موجبة للتصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة.

وقـد استدلّ على هذه المقدّمة بعد التمهيد لها بعدّة أمور، منها أن مصدر الكمالات العلمية والعملية هو الله تعالى، وأنّ هناك قرباً معنوياً من الله تعالى، وكلما كان الإنسان أكثر قرباً من الله تعالى يكون أكثر قدرة وأثراً في التصرّف في التكوين وبالعكس.

وعلى هذا الأساس فإذا وصل الإنسان إلى الملكوت الذي هو باطن الأشياء وحقائقها، وتحقّق له اليقين القرآني، يكون أقرب إلى الله تعالى ويكون له القدرة على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة بإذن الله تعالى.

والنتيجة توفّر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى، من دون استلزام ذلك لأيّ محذور.

وقد تعرّضنا إلى بعض الشواهد القرآنية والروائية على أنّ الإنسان القريب من الله تعالى يستطيع التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة.

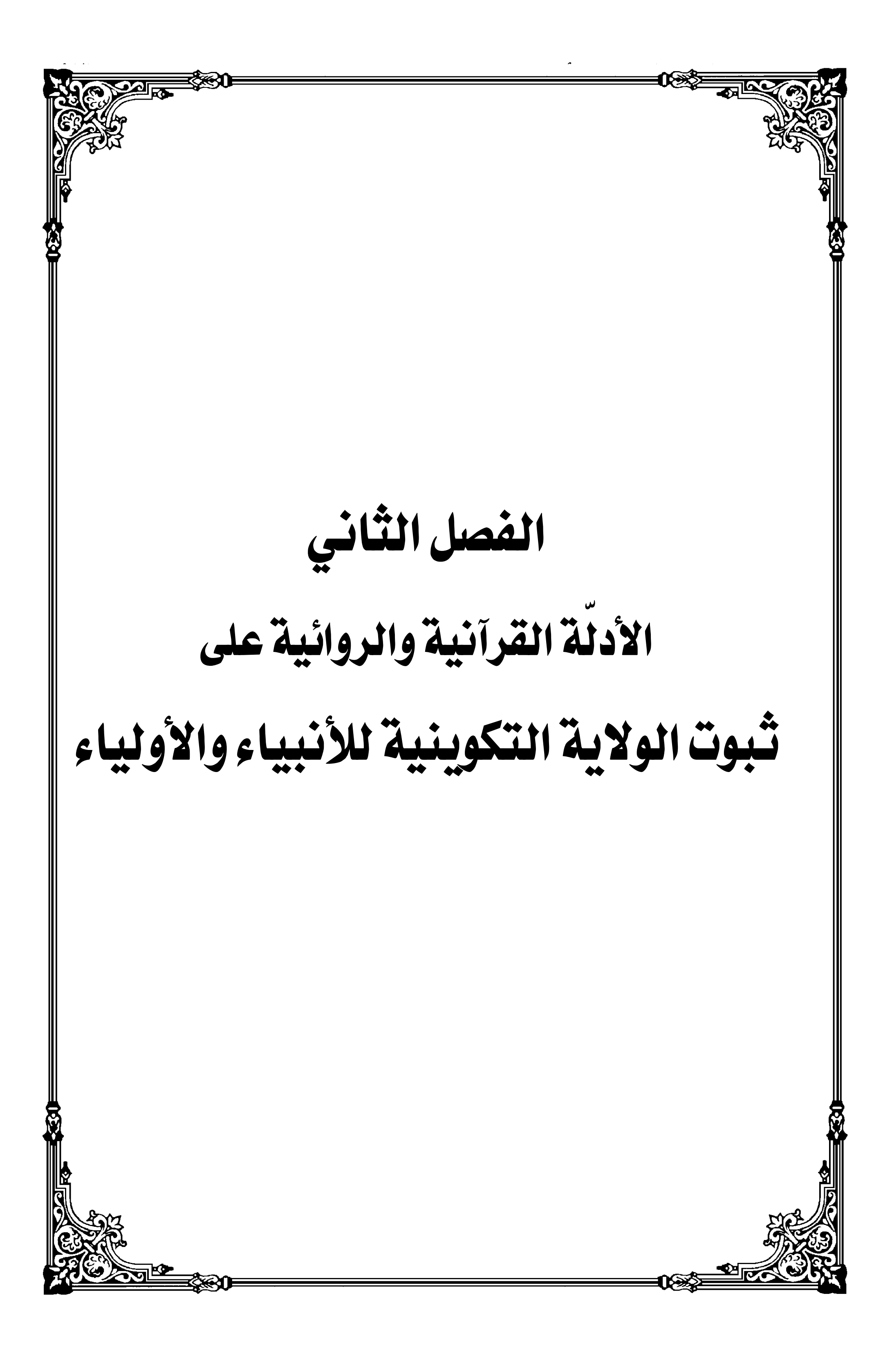
وإتماماً للبحث تعرّضنا إلى بيان حقيقة المقرَّبين من الله تعالى، وأنّ المقرَّبين هم المخلَصون (بالفتح) الذين استخلصهم الله لنفسه

وقد أشرنا إلى الفرق بين المخلَصين (بالفتح) والمخلِصين (بالكسر)، وأشرنا كذلك إلى بعض امتيازات المخلَصين، ومنها:

١ـ عدم قدرة الشيطان على إغوائهم.

٢ ـ أنّهم لايحضرون الحساب لأنّهم حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٣ ـ أنّ المخلصين وحدهم لهم الحقّ على وصف الله تعالى؛ لعدم قدرة غيرهم على ذلك.



الفصل الثاني

الأدلّة القرآنية والروائية على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأولياء

(١)

الأدلّة القرآنية على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء وغيرهم

هـنالك عدد من النصوص القرآنية والروائية تدلّ على أنّ الله تعالى منح الولاية التكوينية لبعض المخلوقات سواء كانوا أنبياء أم أولياء أم ملائكة أم جنّاً.

الصنف الأول: الولاية التكوينية المعطاة للأنبياء

١. **خليل الله إبراهيم** عليه السلام؛ كما حكى القرآن الكريم قصّته؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فـإنّ إبـراهيم الخلـيل علـيه السلام طلب من الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتـى، فأعطاه الله وبإذن منه ـ سبحانه ـ القدرة على إحياء أربعة من الطير على يده بشكل معجز خارق للعادة، لا أنّ إبراهيم عليه السلام دعا ربّه فأحيى لـه الطـيور بواسـطة الـدعاء ـ كـما تـوهّم الـبعض ـ وإنّـما أمر الله تعالى نبيّه إبـراهيم علـيه الـسلام بأخـذ أربعة من الطير وقال له ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

﴿عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي اذبحهن وبدّد أجزاءهن واخلطها ثم فرّقها على الجبال الموجودة هناك لتتباعد الأجزاء ومن غير تمييز بينها، ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ أي ادعُ الطيورَ ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ أي أحياءً. ومن الواضح أنّ هذا التصرّف الخارق للعادة من إحياء تلك الطيور الميّتة دليل على تمتّع إبراهيم عليه السلام بالولاية التكوينية.

٢. **موسى** عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[1] وقال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾[2] وقال: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3].

فهذه النصوص القرآنية واضحة الدلالة على صدور المعاجز على يد موسى عليه السلام من قبيل انقلاب العصا إلى حيّة وتفجّر الماء من الصخر وتحوّل البحر إلى يبس، مما يكشف عن قدرته عليه السلام وتصرّفه بالكون بشكل خارق للعادة بإذن الله تعالى، وهو معنى الولاية التكوينية.

٣. **النبيّ داود** عليه السلام: فقد دلّت جملة من النصوص القرآنية على تصرّفه في التكوين بشكل خارق للعادة كما في قول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ

---

(١) الأعراف: ١١٧.

(٢) الدخان: ٢٣-٢٤.

(٣) البقرة: ٦٠.

(٤) الأنبياء: ٧٩.

أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾(١) وقوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾(٢). فهذه النصوص القرآنية واضحة الدلالة على إعطاء الله تعالى القدرة للنبيّ داود عليه السلام على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة؛ ما يعني انطواء النبيّ داود على الولاية التكوينية.

٤ . **النبيّ سليمان** عليه السلام: أشارت جملة من الآيات القرآنية على تمتّعه بالولاية التكوينية، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ * وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ * وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٣). فهذه الآيات واضحة الدلالة على أنّ الله تعالى أعطى لسليمان عليه السلام القدرة على تسخير الرياح متى شاء وكذلك القدرة على التكلّم مع الطير والنمل، كما في قوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾(٤). ومن الواضح أنّ التكلّم مع الجنّ والنمل أمر خارق للعادة يكشف عن الولاية التكوينية والقدرة على التصرّف في الكون.

٥ . **عيسى المسيح** عليه السلام: حيث دلّت جملة من النصوص القرآنية على تمتّعه بالقدرة التكوينية؛ من قبيل إحياء الموتى وخلق الطير من الطين بلا تناسل، ونفخ الروح في الطير المصنوع من الطين، وإبراء الأكمه والأبرص.

---

(١) سبأ: ١٠.

(٢) ص: ٣٦.

(٣) ص: ٣٦ -٣٩.

(٤) النمل: ١٦-١٧.

فهذه الأمور لا يمكن أن تصدر إلاّ ممّن تمكن من التصرّف في نظام التكوين بإذن الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1].

فالآيات الكريمة دالّة بوضوح على قدرة النبيّ عيسى عليه السلام بالتصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة مما يكشف عن اشتماله على الولاية التكوينية بإذن الله تعالى.

وظاهر قوله: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم﴾ أنّ هذه الآيات كانت تصدر عنه صدوراً خارجياً، لا أنّ الكلام مسوق لمجرّد الاحتجاج والتحدّي، ولو كان مجرّد قول لقطع العذر وإتمام الحجّة لكان من حقّ الكلام أن يقيَّد بقيد يفيد ذلك كقولنا: إن سألتم أو أردتم أو نحو ذلك. على أنّ ما يحكيه الله سبحانه من مشافهته لعيسى يوم القيامة يدلّ على أنّ وقوع هذه الآيات أتمّ الدلالة، قال: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِي ...﴾[2].

---

(١) آل عمران: ٤٩.

(٢) المائدة: ١١٠.

الصنف الثاني: الولاية التكوينية لغير الأنبياء عليهم السلام

١. الصديقة مريم عليها السلام. قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

الآية المباركة تتحدّث عن أنّ زكريا عليه السلام لما صار كفيلاً لمريم من قبل الله تعالى، وبعد أن بلغت مريم عليها السلام الرشد تحت كفالته، كان كلّما دخل زكريا عليها وجد عندها طعاماً في غير الموسم، فسألها متعجباً ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ فقالت مريم عليها السلام: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ومن الواضح أنّ المراد بقوله ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا يعني أنّ عطاء الله لا حساب له، لأنّه تعالى يقول: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[2] ويقول أيضاً: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[3]، وإنّما المراد أنّ رزق الله لا يمكن فهمه بواسطة الحساب والطرق المتعارفة، وإنّما له تعالى سبل للرزق بغير الأسباب المتعارفة، وعلى هذا فالآية دالّة على انطواء مريم عليها السلام على نحو من الولاية والتصرّف في التكوين.

٢. وصي سليمان آصف بن برخيا عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾[4].

فالآية المباركة صريحة في أنّ سليمان عليه السلام طلب ممّن خصّهم

---

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) الرعد: ٨.

(٣) القمر: ٤٩.

(٤) النمل: ٤٠.

بالخطاب الإتيان بعرش بلقيس عليه السلام في لحظات، مع علمه عليه السلام بالمسافة الشاسعة بين اليمن الذي هو مكان عرش بلقيس وبين فلسطين التي كان فيها سليمان عليه السلام، فقام إليه الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وصيّ سليمان ووزيره كما في الروايات[1].

وجاء آصف عليه السلام بذلك العرش بأقلّ من طرفة عين، ولاشكّ أنّ صدور هذا الفعل منه يكشف عن قدرته على التصرّف في التكوين.

ومن الجدير بالذكر أنّ الآية المباركة جاءت مشفوعة بذكر منشأ قدرة آصف على هذا الفعل، وهو حيازته على جزء من علم الكتاب كما يشير إليه وصفه عليه السلام بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، إذ لو لم يكن لهذا الوصف دخل في قدرته على التصرّف في التكوين، لكان الإتيان به في الآية لغواً، ولا يكون في كلام الله تعالى.

ومما يؤيّد ذلك ما أفاده اللغويون من أنّ الوصف مشعر بالعلّية، فوصف آصف عليه السلام بأنه الذي لديه علم من الكتاب يشعر بأنّ علمه بجزء من الكتاب علّة لما صدر منه من تصرّف في التكوين.

وقد وردت الروايات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّه كان آصف بن برخيا وزير سليمان وأنّه كان عنده بعض اسم الله الأعظم كما

---

(١) روى العياشي في تفسيره عن الإمام الهادي عليه السلام، قال: الذي عنده علم الكتاب آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف لكنه أحبّ أن يعرف أمّته من الإنس والجن أنّه الحجّة من بعده. وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهّمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام ليتعرف إمامته ونبوته من بعده ولتأكيد الحجة على الخلق. **بحار الأنوار**، ج١٤، باب ٩، قصة سليمان مع بلقيس، ح١٣.

سيأتي إن شاء الله تعالى.

٣. ذو القرنين عليه السلام. قال تعالى حكاية عنه: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[١]، وقد أجاب أمير المؤمنين عليه السلام من سأله عن كيفية بلوغ ذي القرنين المشرق والمغرب بقوله: «**سخّر له السحاب ومدّت له الأسباب وبسط له في النور**، وقال: **أزيدك**؟ فسكت الرجل..»[٢]. أي كان ذو القرنين يتصرّف في السحاب، وهذا يدلّ على تمتّعه بالولاية التكوينية.

٤. الجنّ. قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[٣]، والآية واضحة في أنّ الله تعالى قد أعطى لذلك العفريت من الجنّ القدرة التكوينية الخارقة.

(١) الكهف: ٨٤.

(٢) **تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، ١٤١٥دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان: ج ١٧، ص٣٣.

(٣) النمل: ٣٩.

(٢)

الأدلّة الروائية على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء وغيرهم

(كل من ملك الاسم الأعظم تثبت له الولاية التكوينية)

عـند الانـتقال إلى النصوص الروائية في كتب الحديث تواجهنا عشرات الـروايات تفـيد: أنّ كلّ من ملك الاسم الأعظم فهو قادر على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة، أي لديه الولاية التكوينية.

ولأجـل إيضاح المطلوب بشكل واضح يحول دون الوقوع في الالتباس ينبغي تقديم عدد من الأمور:

الأمر الأول: في معنى الاسم

الاسم لغة: أصله من الوسم والسمة وهي العلامة (للمسمّى)[1].

الاسـم في الاصـطلاح: هو نفس ما عليه في اللغة، إذ الاسم علامة على المسمّى، وقد أشارت جملة من الروايات إلى هذا المعنى، فعن علي بن الحسن بـن عـلي بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا علي بن موسى عليهما السلام، عن بسم الله، قال: **معنى قول القائل بسم الله أي أسم على نفسي سمة من سمات الله عزّ وجلّ وهي العبادة.** قال: فقلت له: ما السمة؟ فقال: **العلامة**»[2].

---

(١) انظر **لسان العرب** ، مصدر سابق: مادة سما.

(٢) **التوحيد**، مصدر سابق: ص٢٢٩.

وعـن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**الاسم ما أنبأ عن المسمّى**»[١]. والإنباء هو العلامة والكشف والحكاية.

وعـن الإمام الرضا عليه السلام أيضاً قال: «**الأسماء فهي واحدة، وهي دلالة عـلى المسمّى**»[٢]. وبهـذا يتّـضح أنّ الاسـم بالمعنـى الاصطلاحي يلتقي مع المعنى اللغوي في دلالته على المسمّى.

الأمر الثاني: أقسام الأسماء الإلهية

تقسم الأسماء الإلهية إلى قسمين:

القسم الأول: الأسماء الإلهية اللفظية

المقصود من الاسم اللفظي هو اللفظ الموضوع لمسمّى خارجي، فيكون هـذا اللفـظ علامـة وحاكـياً عـن الواقع الخارجي، كما هو الحال في الأسماء المتعارفة عـندنا حـيث وضـعت للحكايـة عـن مـسمّيات خارجـية وتمييز الذوات الخارجية عن بعضها.

ومـن الواضـح أنّ الاسـم اللفظي لا يكون عين المسمّى الخارجي، لأنّ الاسـم اللفظـي مـن مقـولة الكـيف المـسموع، فتكون حكايته عن الخارج بواسـطة الـصور والمفاهـيم الذهنـية، أمّا الأعيان الخارجية فهي ليست من مقولة الكيف المسموع وإنّما هي إمّا جواهر أو أعراض.

إذاً الاسـم اللفظـي يستحيل أن يكون عين الواقع الخارجي، و بناءً على هـذا فـإنّ الذات الإلهية لها أسماء لفظية مجعولة وهي عبارة عن الألفاظ التي

---

(١) **مـناقب آل أبي طالـب**، ابـن شـهر آشـوب، تحقـيق وتـصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف: ج ١، ص ٣٢٥.

(٢) **التوحيد**، مصدر سابق: ص٦٢.

وضعت للدلالة على الذات المقدسة، أو على صفة من صفاتها الجمالية والجلالية كلفظ العالم والقادر والحي ونحوها، ويستحيل أن تكون هذه الأسماء اللفظية متّحدة مع الذات الإلهية ـ كما تقدّم ـ.

وإلى هذا المعنى أشارت جملة من الروايات منها:

١ــ عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام قلت له: جعلني الله فداك نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد الصمد؟ قال: فقال: **إنّ من عبد الاسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر و جحد ولم يعبد شيئاً، بل اعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء دون الأسماء، إنّ الأسماء صفات وصف بها نفسه...»**[1].

٢ــ ما رواه الكليني عن هشام بن الحكم أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟ قال: فقال لي: **يا هشام الله مشتقّ من إله والإله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟**

قال: فقلت: زدني. قال: **إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إلهاً، ولكن الله معنى يدلّ عليه بهذه الأسماء وكلّها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكول والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتّخذين مع الله عزّ وجلّ غيره؟**

قال: قلت: نعم، فقال: **نفعك الله به وثبّتك يا هشام.** قال هشام: فوالله ما

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١، ص ٨٧ – ٨٨.

قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا»[١]. وغير ذلك من الروايات التي تشير إلى المعنى ذاته.

القسم الثاني: الأسماء الإلهية التكوينية

الفرق بين الاسم والصفة: لأجل بيان المطلوب بشكل واضح ينبغي الإشارة إلى الفرق بين الاسم والصفة.

إنّ الصفة تدلّ على معنى متلبّس بالذات سواء كان هذا المعنى من المعاني المتّحدة مع الذات أم لا، من قبيل صفة الحياة التي هي من الصفات الذاتية المتحدة مع الذات، والرازقية التي هي من الصفات الفعلية الخارجة عن الذات، ونحوها من الصفات الأخرى.

أمّا الاسم: فهو الذات مأخوذة بوصف صفة معيّنة أو أكثر.

فمثلاً حين يوصف زيد بالعلم، فيقال له عالم، فقد أخذت الذات (زيد) مع صفة العلم. وقد أشار إلى هذا المعنى الطباطبائي بقوله: «لا فرق بين الصفة والاسم غير أنّ الصفة تدلّ على معنى من المعاني يتلبّس به الذات أعمّ من العينية والغيرية، والاسم هو الدالّ على الذات مأخوذة بوصف. فالحياة والعلم صفتان، والحيّ والعالم اسمان. وإذ كان اللفظ لا شأن له إلاّ الدلالة على المعنى وانكشافه به، فحقيقة الصفة والاسم هو الذي يكشف عنه لفظ الصفة والاسم، فحقيقة الحياة المدلول عليها بلفظ الحياة هي الصفة الإلهية وهي عين الذات، وحقيقة الذات بحياتها التي هي عينها هو الاسم الإلهي، وبهذا النظر يعود الحي والحياة اسمين للاسم والصفة وإن كانا بالنظر المتقدّم نفس الاسم ونفس الصفة»[٢]

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١، ص ٨٧.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٨، ص٣٥٢.

وفي هـذا الـضوء فلـو فرضنا أنّ زيداً مثلاً متّصف بعدّة صفات كالعلم والعدالـة والإحـسان والفقاهـة والطـبابة... وأخـذنا زيداً بقيد صفة العلم سُـمّي عالماً، أمّا إذا أخذناه من حيثية الإحسان فيقال محسن، وهكذا بالنسبة لبقية الصفات. فزيد حقيقته الخارجية واحدة، لكن صفاته متعدّدة.

ومـن هنا يتّضح أنّ اختلاف الصفات لا يلزم منه تعدّد الذوات، بل قد يلزم من اختلاف الصفات والحيثيات تعدّد الذوات وقد لا يلزم.

إذاً الفـرق بـين الـصفة والاسم هو أنّ الصفة الخارجية تدلّ على تلبّس الـذات بمعنـى مـن المعـاني، أمّـا الاسـم فهو الذات الخارجية مع صفة من الـصفات. وبعـد بـيان هـذه المقدّمـة يتّضح: أنّ الاسم التكويني يطلق على الذات الخارجية مأخوذة مع صفة معيّنة.

الاسم التكويني عين المسمّى الخارجي

انطلاقـاً ممـا انتهيـنا إلـيه في المقدّمة السابقة وهو أنّ الاسم التكويني هو الـذات الخارجـية متحيّـثة بـصفة معيّنة، يتّضح أنّ الاسم التكويني هو عين الـذات الخارجـية أي عـين المـسمّى، إلاّ أنّـه يحكـي عن حيثية من حيثيات المسمّى (الـذات الخارجـية). فاسـم العالم مثلاً يحكي عن الذات مع حيثية العلـم، واسـم المحـسن يحكي عن الذات بوصفها بصفة الإحسان وهكذا، وبهذا يتّضح أنّ الاسم التكويني هو عين المسمّى خارجاً.

الفرق بين الاسم اللفظي والاسم التكويني

في ضـوء مـا تقـدّم من بيان المراد من الاسم اللفظي والتكويني، يتّضح الفـرق بيـنهما، وهـو أنّ الاسـم اللفظـي مـن مقـولة الكـيف المـسموع، ومن المـستحيل أن يتّحد مع الذات الخارجية، التي هي من مقولة الأعيان الخارجية،

أمّا الاسم التكويني ـ الذي هو الذات الإلهية مأخوذة مع صفة معيّنة ـ فهو عين المسمّى، وليس من مقولة الألفاظ وإنّما من مقولة الأعيان الخارجية.

ولعلّ أفضل مؤشر يشير إلى هذا المعنى هو ما حفلت به النصوص الروائية على نحو ما في الحديث المتقدّم الذي أشار فيه الإمام عليه السلام بقوله: «**إنّ من عبد الاسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر و جحد ولم يعبد شيئاً، بل اعبُدِ الله الواحد الأحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء دون الأسماء. إنّ الأسماء صفات وصف بها نفسه...**»[(١)].

ومن هنا يتّضح سبب وصف من يعبد الاسم بكونه كافراً؛ وهو لأنّ الاسم اللفظي شيء اعتباري، فلا تكون عبادته عبادة لله تعالى.

وإلى هذا المعنى يشير السيّد الخوئي بقوله: «في كلّ شيء دلالة على وجود خالقه وتوحيده، وكما تختلف الأسماء الإلهية اللفظية من حيث دلالتها، فيدلّ بعضها على نفس الذات بما لها من صفات الكمال، ويدلّ بعضها على جهة خاصّة من كمالاتها على اختلاف في العظمة والرفعة، فكذلك تختلف الأسماء التكوينية من هذه الجهة، وإن اشترك جميعها في الكشف عن الوجود والتوحيد، وعن العلم والقدرة وعن سائر الصفات الكمالية. ومنشأ اختلافها: أنّ الموجود إذا كان أتمّ كانت دلالته أقوى، ومن هنا صحّ إطلاق الأسماء الحسنى على الأئمّة الهداة، كما في بعض الروايات»[(٢)].

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١، ص ٨٧ – ٨٨.

(٢) **البيان في تفسير القرآن**، السيد الخوئي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان: ص ٤٣٣.

المراد من الأسماء وأسماء الأسماء

تطلـق كلمة الأسماء على الأسماء التكوينية، أمّا أسماء الأسماء فيراد منها الأسـماء اللفظـية، والـوجه في ذلـك هـو أنّ دلالـة الأسـماء التكوينـية على الـذوات الخارجية دلالة حقيقية، لأنّ الاسم التكويني هو عين المسمّى ـ كما تقـدّم ـ ومـن هنا كانت الأسماء التكوينية أحقّ أن تسمّى بالأسماء، بخلاف الأسـماء اللفظـية فـإنّ دلالـتها على الذوات الخارجية دلالة اعتبارية ؛ ولذا استحقّت أن يطلق عليها أسماء الأسماء.

أقسام الأسماء الإلهية التكوينية

كـما أنّ الـصفات الإلهـية تنقسم إلى صفات ذاتية وأخرى فعلية، كذلك الأسـماء الإلهـية التكوينية، تنقسم هي الأخرى إلى أسماء ذاتية وأسماء فعلية، والـوجه في ذلـك أنّ الأسـماء الإلهية التكوينية هي الذات مأخوذة مع صفة معيّـنة، وحـيث إنّ الـصفات الإلهية تنقسم إلى صفات ذاتية وأخرى فعلية، فتكون الأسماء الإلهية منقسمة بتبعها، فالأسماء التكوينية تنقسم إلى:

١ـ **الأسماء الذاتية**: وهي الأسماء التي تطلق على الذات الإلهية المأخوذة مع صفة من الصفات الذاتية، كاسم الحي والعليم والقدير.

٢ـ **الأسماء الفعلية**: وهي الأسماء التي تطلق على الذات الإلهية المأخوذة مع صفة من الصفات الفعلية كاسم الخالق والرازق ونحوها.

وإلى هـذا المعنى يشير الطباطبائي بقوله: «إنّ هذه الألفاظ المسمّاة بأسماء الله إنّـما هي أسماء الأسماء، وإنّ ما تدلّ عليه وتشير إليه من المصداق ـ أعني الـذات مأخـوذة بوصف ما ـ هو الاسم بحسب الحقيقة. وعلى هذا فبعض الأسـماء الحـسنى عـين الـذات وهـو المشتمل على صفة ثبوتية كمالية كالحي

والعليم والقدير. وبعضها زائد على الذات خارج منها وهو المشتمل على صفة سلبية أو فعلية كالخالق والرازق لا تأخذه سنة ولا نوم، هذا في الأسماء وأما أسماء الأسماء وهي الألفاظ الدالّة على الذات المأخوذة مع وصف من أوصافها فلا ريب في كونها غير الذات، وأنّها ألفاظ حادثة قائمة بمن يتلفّظ بها»[١].

وبهذا يتضح ما توهّمه البعض من أنّ الاسم هو عين المسمّى ومن ثمّ تكون عبادة الاسم هي عبادة للمسمّى.

والجواب على هذا التوهم هو أنّ المشكلة التي أوقعتهم في هذا الوهم هو أنّهم خلطوا بين الأسماء وهي الأسماء التكوينية، وبين أسماء الأسماء التي هي الأسماء اللفظية، فحسبوا أنّ المراد من عينية الأسماء مع الذات عينية أسماء الأسماء؛ لذا قالوا إنّ الاسم عين المسمّى وإن عبادة الاسم هي عبادة المسمّى.

وقد تقدّمت الروايات التي تشير إلى أنّ الاسم اللفظي غير الذات الإلهية من قبيل الرواية التي نقلناها عن هشام بن الحكم أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها...»[٢] وغيرها مما يكشف عن الفرق بين الاسم اللفظي والاسم التكويني.

الأثر الخارجي يترتّب على الاسم التكويني لا اللفظي

من الواضح أنّ الأثر الخارجي للأسماء الإلهية لا يترتّب على الأسماء اللفظية التي هي أسماء الأسماء؛ لأنّ الاسم اللفظي هو مفهوم ذهنيّ،

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج١٣، ص٢٢٩.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١، ص ٨٧.

اعتـباري يـتحقّق مـن خـروج صوت من طريق الحنجرة.. ومثل هذا الأمر الاعتـباري يـستحيل أن يتـصرّف ويؤثّـر في نظـام الـتكوين، وأن تكون له القدرة على الخلق والرزق و...

فالمـريض مثلاً حينما يدعو بالشفاء بقوله «يا شافي» فالمؤثّر بالشفاء ليس هـو لفظ الشافي، وإنّما هو الاسم التكويني، أي الذات الإلهية مع صفة كونه قـادراً عـلى الـشفاء. وممّـا يـشهد لـذلك هـو عدم تأثير الدعاء لو صدر من حجـر، بخـلاف مـا لو صدر من نبيّ أو وصيّ مثلاً. فلو كان التأثير بمجرّد الـتلفظ بألفاظ الدعاء، لكان الدعاء مؤثّراً وإن صدر من أيّ إنسان كان، بل ولو صدر من حجر.

فالآثـار الخارجـية من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والحشر والنشر و... غـير مترتّبة على اسم لفظيّ وهو صوت مسموع عرضيّ قائم بمخارج الفـم، فـانٍ، بـل صادرة من ناحية المعنى، وهذا المعنى أيضاً غير مؤثّر بما أنّه صـورة خيالـية مـثلاً بالـضرورة، فإنّهـا مـثل اللفظ، وهي فانية في المصداق الخارجي، على أنّ هذا المؤثّر ـ كائناً ما كان ـ فهو مؤثّر بوجوده العيني، ومن المستحيل دخول مثل هذا الوجود في الذهن.

فالـذي لـه الآثـار الخارجـية مـن الإحـياء والخلـق و... هـو الاسـم التكويني، وهو الذات مأخوذاً بوصف من الأوصاف.

الأمر الثالث: المراد من الاسم الأعظم

لكـي يتّـضح المـراد مـن الاسـم الأعظم بوضوح، ينبغي تقديم مقدّمة تـساهم في تحقـيق المطلـوب، وحاصلها أنّ للأسماء الإلهية التكوينية مراتب متعدّدة تختلف سعة وضيقاً، كما سيتّضح من المبحث الآتي:

الأسماء الإلهية عامّة وخاصّة

المقـصود من عمومية وخصوصية الأسماء الإلهية التكوينية، هو أنّ لكلّ اسـم إلهـي تكوينـيّ أثـراً خاصّاً يختلف سعة وضيقاً وعموماً وخصوصاً في ضـوء الآثـار الصادرة منها، فهناك أسماء تكوينية عامّة نتيجة عمومية آثارها الكاشـفة عـنها، وكـذلك تـوجد أسـماء تكوينـية خاصّة تبعاً للآثار المترتّبة علـيها. فمثلاً اسم العالم فهو خاصّ بالنسبة إلى اسم الحي، وعامّ بالنسبة إلى اسـم الـسميع والبـصير والـشهيد واللطـيف، واسم الرازق خاصّ بالنسبة لاسم الرحمن وعامّ بالنسبة إلى اسم الشافي والهادي وهكذا..

إذا اتّـضحت هـذه المقدّمـة نقول: إنّ الاسم الأعظم هو أوسع الأسماء وأكثـرها أثـراً، بمعنـى أنّ الاسـم الأعظـم هـو الاسم الذي لا يوجد اسم أوسع وأعمّ منه أثراً.

وعـلى هـذا فللأسماء الحسنى عرض عريض تنتهي من تحت إلى اسم أو أسـماء خاصّـة لا يـدخل تحتها اسم آخر ثم تأخذ في السعة والعموم. ففوق كـلّ اسـم مـا هو أوسع منه وأعمّ حتّى تنتهي إلى اسم الله الأكبر الذي يسع وحـده جمـيع حقائق الأسماء وتدخل تحته شتات الحقائق برمّتها، وهو الذي نسمّيه غالباً بالاسم الأعظم.

ومـن هـنا يتّـضح أنّ الاسم الأعظم هو أوسع الأسماء الإلهية أثراً، وأن الـبركات الـنازلة مـنه هي أكبر البركات وأتمّها، وله يخضع كلّ شيء. وهذا المعنـى يـتلاءم مـع كـون المـراد مـن الاسم الأعظم الذات الإلهية مأخوذة بجميع كمالاتها.

وبهـذا يتبين أنّ الاسم الأعظم ليس هو المعنى الشائع بين الناس من أنّه

اسـم لفظـي مـن أسـماء الله تعالى متى ما دعي به استجيب، وأنّه مؤلّف من حروف مجهولة لنا.

الاسم اللفظي للاسم الأعظم

في ضـوء التمييـز بـين الاسم اللفظي والاسم التكويني، وأن لكلّ اسم تكوينـي اسـماً لفظياً يطلق عليه اسم الاسم، يتبين أنّ أعظم وأوسع الأسماء التكوينية، الذي هو الاسم الأعظم له اسم لفظي وهو لفظ الجلالة «الله».

وممـا يـشهد عـلى هـذه الحقـيقة أنّ لفـظ الجلالـة «الله» يوصف به جميع الأسـماء الإلهـية الحسنى وسائر أفعاله، فيقال الله الرحمن الرحيم، ورحم الله وعلم الله ورزق الله، ولا يقع لفظ الجلالة صفة لباقي الأسماء الإلهية.

ارتباط الإنسان بالله تعالى بواسطة أسمائه تعالى

إنّ الإنـسان يـرتبط بالله تعالى بواسطة أسماء الله التكوينية، لا من طريق الـذات الإلهـية، لأنّ ذاتـه تعـالى لا متناهـية، فـلا يمكن معرفتها والاطلاع علـيها؛ لعـدم إمكـان إحاطة المتناهي باللامتناهي، ولكي يتّضح هذا المعنى بشكل واضح، لابدّ من تقديم عدد من المقدّمات.

المقدّمـة الأولى: إنّ الله تعالى خلق الخلق لأجل معرفته. وهذا المعنى هو صريـح جملـة مـن النصوص القرآنية والروائية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وقـد فُسّرت العبادة بالمعرفة، إذ لا يمكن أن تـتحقّق العـبادة إلاّ مـن خلال معرفة من سنخها؛ فإنّ الإنسان الجاهل بالله تعالى قد يعبد غير الله تعالى.

وفي الحـديث القدسيّ «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق**

(١) الذاريات: ٥٦.

لكــي أُعــرف»[١]، ولــذا ورد عــن أمــير المؤمنــين علـيه الـسلام: «**أوّل الــدين معــرفته**»[٢]. إذاً غايــة المعــرفة هــو الوصــول إلى الله تعالى ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[٣]. ومــن الواضــح أنّ فائـدة وثمرة معرفة الله تعـالى إنّـما تـرجع إلى نفـس الفعـل وهو الإنسان، لأجل أن يتكامل من خلالهـا، لأنّ الله تعالى غنيّ عن العالمين، لذا ورد في الحديث القدسي: «**يا بن آدم خلقــت كــلّ شيء لأجلك**»[٤] إذاً غاية خلق الله تعالى للإنسان هو معرفة الله تعالى.

المقدّمــة الثانــية: اسـتحالة معـرفة الذات الإلهية. بما أنّ الذات الإلهية لا متناهـية وغـير محدودة بحدّ؛ فيستحيل معرفتها والاطلاع عليها، لاستحالة إحاطة المتناهي ـ وهو الإنسان ـ باللامتناهي.

إن قــيل: لـو سـلمنا أنّ الـذات الإلهـية لا يمكن التعرّف عليها لأنها لا متناهية إلاّ أنّه يمكن التعرف عليها من خلال صفاته تعالى.

فالجــواب: ثـبت في محلّــه أنّ جملـة مــن صفات الله تعالى من قبيل العلم والقـدرة والحـياة ونحـوها مـن الـصفات الذاتـية هي عين الذات، فكما لا يمكــن معــرفة الــذات الإلهـية لعدم القدرة على الإحاطة بها لعدم تناهيها، فكذلك لا يمكن التعرّف على صفاته تعالى.

النتـيجة: في ضـوء هاتـين المقدّمتـين ـ من أنّ غاية الخلق هو المعرفة الإلهية

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٨٤، ص ١٩٩.

(٢) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: ج ١، ص ١٤.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) **فـيض القدير شرح الجامع الصغير**، تحقيق وتصحيح أحمد عبد السلام الطبعة الأولى١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت: ج٥، ص٤٤٦.

وأنّ معرفة الله تعالى مستحيلة وغير ممكنة ـ اقتضت حكمة الله تعالى أن يوجِد للإنسان في عالم الإمكان نماذج من مخلوقاته تكون مظاهر لأسمائه المباركة، فيوجِدُ الله تعالى نماذج لكي تكون مظهرا وتجلّياً لقدرته وعلمه ونحوها من أسمائه وصفاته المباركة؛ لأجل أن يتمكّن الإنسان من الارتباط بالله تعالى من خلالها هذه النماذج المخلوقة، وقد اصطلح عليها القرآن الكريم بـ «الآيات».

فأينما وجدت صفة من صفات الكمال سواء على مستوى الموجودات المجرّدة أم على مستوى الموجودات المادّية، فإنّ خالقها ومبدعها يكون واجداً لتلك الكمالات بنحو أعلى وأشرف، لذا قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[١]، إذ لو لم يكن معطي هذه الكمالات بنحو أعلى وأشرف لا يكون معطياً، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه. وكذلك لو فرض معطي الكمالات مساوياً لكمالات المعطى، فلا يعدّ المعطي معطياً، إذ لا مرجّح لكونه هو المعطي دون الآخر المساوي له، لأنّه ترجيح بلا مرجّح.

ومن هنا يتّضح أنّ طريق معرفة الله تعالى والارتباط به تنحصر بالآيات والعلامات، وبتعبير القرآن: بالتجليات في مخلوقاته.

لأجل بيان مسألة التجلّي والظهور يمكن الاستعانة بمثال المرآة، فإنّ الصورة التي تظهر في المرآة هي آية وعلامة دالّة على صاحبها، وليس الصورة التي في المرآة هي عين الوجود الخارجي لصاحب الصورة.

وهذه الحقيقة قرّرها الإمام الرضا عليه السلام[٢] في حواره مع عمران

---

(١) الروم: ٢٧.

(٢) هذا الحوار كان في مجلس المأمون العباسي الذي جمع رموز الفكر من مختلف النحل من=

الصابئي الذي كان معروفاً بقوّة الجدل، ويتحدّى في ذلك؛ يقول:

«لقد دخلت إلى الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلمين، فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بالوحدانية....».

ومن جملة أسئلة عمران الصابئي في ما يتعلّق في المقام هو قوله للإمام الرضا عليه السلام: «ألا تخبرني يا سيّدي أهو «الله» في الخلق أم الخلق فيه؟

قال الرضا عليه السلام: «**جلّ يا عمران عن ذلك، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه، تعالى عن ذلك، وسأعلّمك ما تعرفه به، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله، أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأيّ شيء استدللت بها على نفسك؟** ! قال عمران: بضوء بيني وبينها.

فقال الرضا عليه السلام: هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما تراه في عينك؟ قال: نعم. قال الرضا عليه السلام: فأرناه. فلم يحر جواباً. قال الرضا عليه السلام: **فلا أرى النور إلاّ وقد دلّك ودلّ المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد الجاهل فيها مقالاً، ولله المثل الأعلى...**»[1].

وبهذا يتبيّن أنّ الأفعال من قبيل الخلق والأحياء والإماتة والتوفّي ونحوها من الأفعال التي ينسبها القرآن الكريم ويصفه به تعالى، ثم يعود

=النصارى واليهود والصابئة والزرداشتية وغيرهم من الشخصيات العلمية من الروم، يبتغي من وراء ذلك النيل من شخصية الإمام الرضا عليه السلام عند المسلمين، ظناً من المأمون بعجز الإمام عليه السلام ما يؤدّي إلى إضعاف حجّته وهيبته، إلا أنّه عليه السلام أجاب عن جميع أسئلة الحاضرين على الرغم مما استخدموه من جدل وصناعة إعلامية.

(١) **التوحيد**، الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ٤٣٤.

ينسبها تارة أخرى إلى مخلوقاته إنّما هو على نحو الصورة المرآتية. بمعنى أنّ هذه المخلوقات تنسب إليها هذا الأفعال بما هي مظهر لخالقية الله تعالى وقدرته وتجلٍّ لها، لا أنّ هذه المخلوقات تملك شيئاً قبال الله تعالى، بل كلّ ما تملكه يمثّل إراءة ومظهراً لما موجود عند الله تعالى.

ويعضد هذا المعنى ما ورد في المعاجم اللغوية التي أشارت إلى معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1] بأنّ المثل هو العلامة الظاهرة، وأن كلّ شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنّه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، فإذا أدرك الإنسان الصورة علم أنّه قد أدرك ذا الصورة[2].

يتحصّل مما تقدّم أنّ أسماءه تعالى تتجلّى وتظهر في آية من آياته وفي خلق من مخلوقاته، وكلّ مظهر من مظاهر أسمائه تعالى يُظهر أثر ذلك الاسم الإلهي. فمثلاً من أسمائه تعالى المميت، فنجد أنّ مظهره في عالم الإمكان ملك الموت، الذي يظهر منه نفس الفعل الذي يعد من ذلك الاسم، لكن بإقدار الله تعالى وإذنه. وهكذا الأمر بالنسبة لباقي الأسماء الإلهية.

نتيجة البحث في الاسم الأعظم

الغاية من عقد البحث في الاسم الأعظم الوصول إلى النتيجة التالية وهي: أنّ كلّ من مَلَكَ الاسم الأعظم تثبت له الولاية التكوينية.

وقد توصّلنا إلى هذه النتيجة بعد الوقوف على أنّ الأسماء الإلهية

---

(١) النحل: ٦٠.

(٢) انظر **المفردات في غريب القرآن**، مصدر سابق: مادة: أبي، ص٣٣.

التكوينية هي المؤثّرة في نظام الكون وأنّ الاسم الأعظم هو الجامع لجميع الأسماء الإلهية، وهو أوسع الأسماء وأكثرها أثراً في عالم الإمكان، ومن الواضح أنّ النتيجة الطبيعية التي تترتّب على هذه الحقيقة هو أنّ كلّ من مَلَكَ الاسم الأعظم يستطيع التصرّف في نظام الكون وتثبت له الولاية التكوينية.

الاسم المستأثر

لا يمكن لأيّ وجود إمكانيّ محدود أن يكون علامة وآية ومظهراً للذات الإلهية لأنّها غير محدودة ولا متناهية. نعم يمكن للوجود الإمكاني أن يكون مظهراً للذات الإلهية بقدر سعته الوجودية، وحيث إنّ السعة الوجودية للموجود الإمكاني ـ مهما بلغت ـ محدودة مقيدة، فيلزم من ذلك عدم إمكان أن يكون علامة وآية ومظهراً للامتناهي.

وعلى هذا فإنّ الاسم المستأثر هو الجانب غير المتناهي من الأسماء والذات الإلهية، أي الجانب الذي لا يمكن أن يوجد له مظهر وآية وعلامة في عالم الإمكان. فإنّ مظهرية الأسماء الإلهية إنّما تكون بقدر السعة الوجودية لذلك المظهر ولا يمكن أن يكون موجود مظهراً للأسماء الإلهية من حيثية عدم تناهيها وعدم محدوديتها، فمظهرية العالم والقادر والمحيي إنّما تكون على أساس درجة الممكن الوجودية ولا يمكن أن تكون مظهريته من حيثية عدم تناهي هذه الأسماء الإلهية.

وفي هذا الضوء يتّضح أنّ لله تعالى عدّة أسماء مستأثرة، بمعنى أنّ هذه الأسماء من حيثية عدم تناهيها وعدم محدوديتها لا يمكن أن يوجد لها في عالم الإمكان مظهر وعلامة، وهذا المعنى أشارت إليه روايات أهل البيت عليهم السلام:

فعـن إبـراهيم بـن عمـر، عـن أبي عـبد الله عليه السلام قال: «**إنّ الله تبارك وتعـالى خلـق اسماً بالحروف غير متصوّت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجـسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفيّ عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ كلّ متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة عـلى أربعـة أجـزاء معاً، ليس منها واحد قبل آخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون**»[1].

ونحـوها مـن الـروايات التـي تبـيّن أنّ الله تعـالى استأثر بحرف واحد من حـروف الاسـم الأعظم، في إشارة إلى أنّ هذا الحرف المستأثر يمثّل حيثية عدم التناهي في الكمالات الإلهية التي لا يمكن أن يكون بإزائها مظهر أو علامة.

لا مظهر للاسم الأعظم بتمامه

تقـدّم أنّ الاسـم الأعظـم هـو الـذات الإلهـية مأخوذة بجميع حيثيات الكـمال، بمعنـى أنّ الاسـم الأعظـم لا يشذّ عنه كمال من الكمالات بجميع درجاتهـا اللامتناهـية. في هـذا الـضوء يتّـضح أنّ الاسـم الأعظـم بتمامه لا يمكـن أن يكـون لـه مظهر في عالم الإمكان؛ لمحدودية الممكن وعدم إمكان مظهـريته للكـمالات اللامتناهية. نعم للاسم الأعظم مظهر في عالم الإمكان بقدر الدرجة الوجودية للممكن.

ومـن هـنا نفهـم الـروايات التـي تقـول إنّ لله ثلاثاً وسبعين حرفاً وإنّه أعطـى اثنين وسبعين حرفاً للخاتم ولأهل البيت إلاّ حرفاً واحداً، تشير إلى هـذا البرهان العقلي وهو عدم إمكان أن يكون الممكن مظهراً للذات الإلهية كلّها مع كمالاتها اللامتناهية.

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١، ص ١١٢.

خلاصة الفصل الثاني

١. المبحث الأول كرِّس لعرض الأدلّة القرآنية على تمتّع الأنبياء وغيرهم بالولاية التكوينية والتصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة، ومنهم خليل الله إبراهيم عليه السلام في قصة إحيائه للموتى، ونبيّ الله موسى عليه السلام وانقلاب العصا إلى أفعى وتحوّل البحر إلى يبس، وكذلك النبيَّين داود وسليمان عليهما السلام في تسخير الرياح لهما والنبيّ عيسى عليه السلام وإحيائه للموتى وخلق الطير من الطين من دون تناسل ونفخ الروح به، وكذلك غير الأنبياء ممن نقل القرآن تصرّفهم في التكوين بشكل خارق للعادة من قبيل مريم عليها السلام وتوفّر الطعام لها في غير الموسم وكذلك آصف وصيّ سليمان ونقله لعرش بلقيس في أقلّ من لحظة، رغم المسافة الشاسعة بين اليمن وفلسطين، وكذلك ذي القرنين وتسخير السحاب له ونحوها من التصرّفات الخارقة للعادة التي ينقلها القرآن للأنبياء وغيرهم.

٢. المبحث الثاني اعتنى بعرض الأدلّة الروائية على ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء وغيرهم، وقد تمثّلت هذه النصوص الروائية بالنصوص الدالّة على أنّ من ملك الاسم الأعظم يستطيع التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة، وكان البحث بالشكل التالي:

- بيان حقيقة الاسم في اللغة والاصطلاح.
- بيان أقسام الأسماء الإلهية وأنّها على قسمين.

الأسماء اللفظية: وهي الأسماء الموضوعة لمسمّى خارجي كما هو

الحال في الأسماء المتعارفة عندنا.

الأسماء التكوينية: والمقصود من الاسم التكويني هو الذات الخارجية مأخوذة مع صفة معيّنة أو أكثر.

٣. الفرق بين الاسم اللفظي والتكويني، هو أنّ الاسم اللفظي من مقولة الكيف المسموع ويستحيل أن يتّحد مع الذات الخارجية التي هي من مقولة الأعيان الخارجية.

أمّا الاسم التكويني فهو عين المسمّى الذي هو الذات الخارجية وليس من مقولة الألفاظ، وإنّما من مقولة الأعيان الخارجية، وقد أشارت لذلك جملة من الروايات.

٤. يطلق على الأسماء اللفظية: أسماء الأسماء، وعلى الأسماء التكوينية: الأسماء.

٥. تنقسم الأسماء الإلهية التكوينية إلى أسماء ذاتية وأخرى فعلية.

والأسماء الذاتية هي الذات الإلهية مأخوذة مع صفة من الصفات الذاتية كاسم الحي والعليم والقدير.

أمّا الأسماء الفعلية فهي الذات الإلهية مأخوذة مع صفة من الصفات الفعلية، كاسم الخالق والرازق ونحوهما.

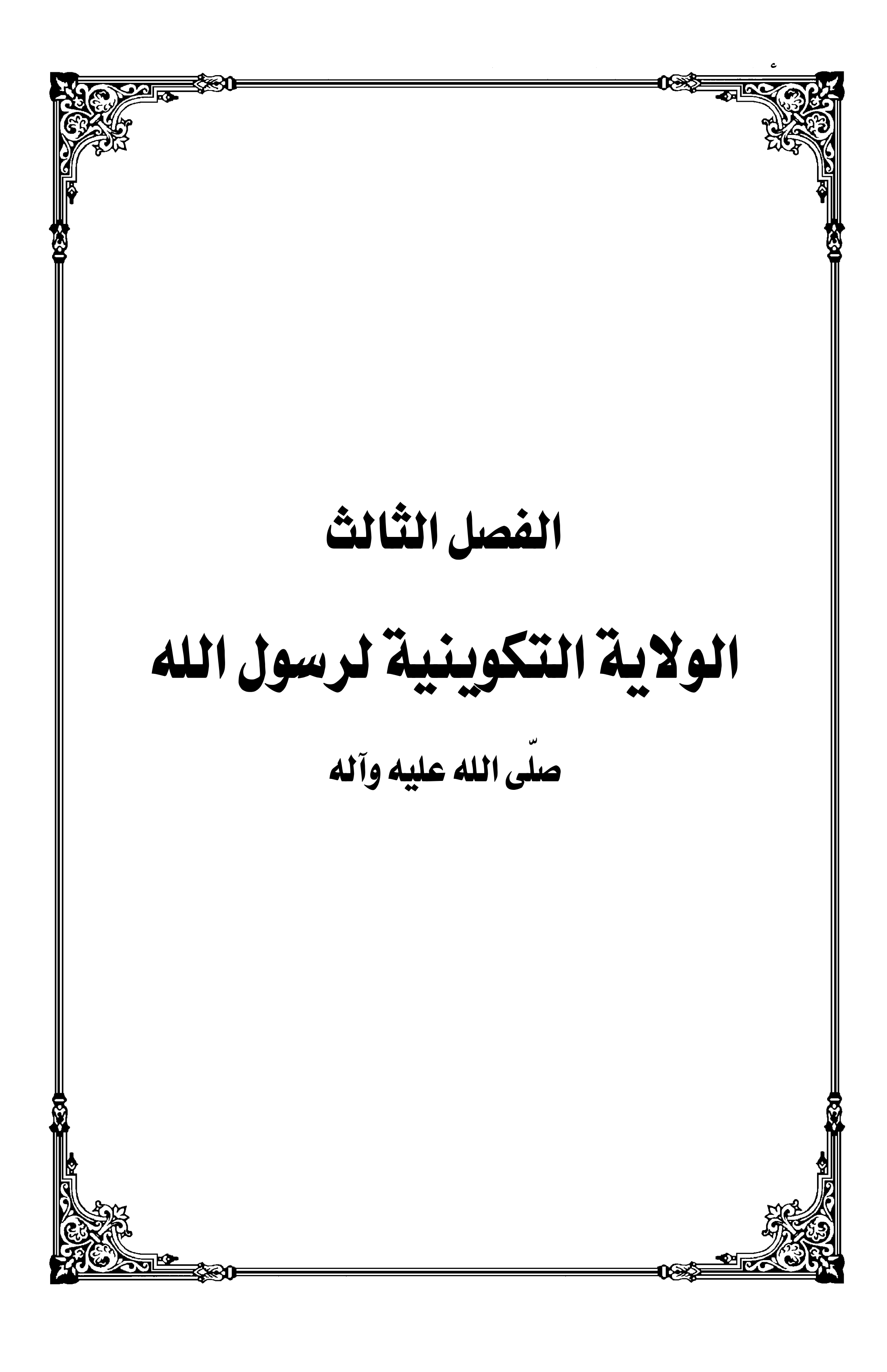
٦. تبين أنّ الأثر الخارجي يترتّب على الاسم التكويني، لا على الاسم اللفظي.

٧. الأسماء الإلهية عامّة وخاصّة، والمقصود من العامّة هي الأسماء التي لها أثر أوسع وأكثر.

٨. الاسـم الأعظـم هو أكثر وأوسع الأسماء الإلهية أثراً ولا اسم أوسع منه أثراً.

الاسم اللفظي للاسم الأعظم هو لفظ الجلالة«الله».

٩. الاسم المستأثر هو الجهة غير المتناهية للأسماء والذات الإلهية، ولايمكن أن يوجد للاسم المستأثر مظهر وآية في عالم الإمكان لكونه غير متناهٍ ولا محدود.



الفصل الثالث

الولاية التكوينية لرسول الله

صلّى الله عليه وآله

هـنالك عـدّة طرق يمكن من خلالها إثبات الولاية التكوينية للنبيّ صلّى الله عليه وآله وقدرتـه على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة ومن أهمّ هذه الطرق:

الطريق الأول:

علم النبيّ صلّى الله عليه وآله بالكتاب

تقدّم آنفا أنّ منشأ القدرة على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة هو العلم بالكتاب كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى**﴾[1] حيث نقل آصف عرش بلقيس في أقلّ من لحظة زمانية، مع أنّ آصفاً عليه السلام لم يحصل إلاّ على جزء من علم الكتاب كما هو واضح من تعبير الآية المباركة (**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ**)، وعلى هذا الأساس نقول إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد حاز علم جميع ما في الكتاب فتثبت ولايته التكوينية وقدرته على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة بدرجة موازية لعلمه بالكتاب.

---

(١) النمل: ٤٠.

لكـي يتّـضح الدلـيل عـلى علـم النبيّ بالكتاب ينبغي تقديم المقدّمات التالية:

المقدّمة الأولى: إنّ للقرآن الكريم مراتب

وقبل الولوج في هذا البحث ينبغي بيان العوالم السابقة لعالم المادّة.

فقـد أثبـتت الأبحـاث الفلـسفية أنّ الله تعالى خلق قبل عالم المادّة عوالم أخـرى أطلقوا عليها اسم المثال المنفصل وعالم العقل ونحوها، وهذا المعنى أشـار إلـيه الطباطبائـي في نهايـة الحكمـة بقـوله: «إنّ عوالم الوجود الكلية ثلاثـة: عـالم التجردّ التامّ العقلي، وعالم المثال، وعالم المادّة والمادّيات، فالعالم العقـلي مجـرّد تـامّ ذاتـاً وفعـلاً عن المادّة وآثارها، وعالم المثال مجرّد عن المادّة دون آثارهـا مـن الأشـكال والأبعاد والأوضاع وغيرها....»[1] ونحن لسنا بـصدد إحـصاء عـدد هـذه العوالم، بل البحث في هذه العوالم يدور بقدر ما يلامس بحثنا، وما نتوخّاه هو أنّ هناك عوالم أخرى غير عالم المادّة.

خصائص العوالم الوجودية

تمتاز العوالم الوجودية بخصائص متعدّدة منها:

١ـ الـسبق واللحوق، بمعنى أنّ بعضها سابق على الآخر، وفق ترتيب تكويني لا يتغيّر. فالأول عالم العقل ثم عالم المثال ثم عالم المادّة.

٢ـ الترتيب العلّي بينها، بمعنى أنّ كلًّا منها علّة في الفيض لما تحته، فعالم العقل علّة لعالم المثال، وعالم المثال علّة لعالم المادّة .

ويمكن تلخيص خصائص هذه العوالم بما يلي:

---

(١) **نهاية الحكمة**، مصدر سابق، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٥هـ: ص٣٧٦.

أوّلاً: أنّ العـوالم الـثلاثة مترتّـبة وجـوداً بالسبق واللحوق، فعالم العقل قـبل عـالم المـثال، وعـالم المـثال قـبل عـالم المادّة وجوداً، وذلك لأنّ الفعلية المحضة التي لا تشوبها قوّة ولا يخالطها استعداد، أقوى وأشدّ وجوداً مما هو بالقـوّة محـضاً كالهـيولى الأولى، أو تشوبه القوّة ويخالطه الاستعداد كالطبائع المادّية، فعالما العقل والمثال يسبقان عالم المادّة.

وثانـياً: إنّ الترتـيب المذكور بين العوالم الثلاثة ترتيب علّي؛ لمكان السبق والـتوقّف الـذي بيـنها، فعالم العقل علّة لعالم المثال، وعالم المثال علّة مفيضة لعالم المادّة.

وثالـثاً: إنّ العـوالم الـثلاثة مـتطابقة مـتوافقة نظامـاً، بما يليق بكلّ منها وجـوداً؛ وذلـك لمـا تقـدّم أنّ كـلّ علّة مشتملة على كمال معلولها بنحو أعلى وأشرف. ففـي عـالم المـثال نظـام مـثالي يضاهي نظام عالم المادّة وهو أشرف منه، وفي عالم العقل ما يطابق نظام المثال، لكنه موجود بنحو أبسط وأشرف وأجمل منه.

ورابعـاً: إنّـه ما من موجود ممكن مادّي أو مجرّد علويّ أو سفليّ إلاّ هو آيـة للـواجب (تعالى) من جميع الوجوه يحكي بما عنده من الكمال الوجودي كمال الواجب تعالى.

ولعلّ أوضح نصّ قرآني يدلّ على وجود تلك العوالم هو قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[1]، ومعنـى الخـزائن ـ كـما جـاء في مجمـع البحـرين ـ : «خزائن الله: غيوب الله، سمّيت

---

(١) الحجر: ٢١.

(خزائن) لغيوبها واستتارها. وخَزن المال: غيّبه، يقال خزنت المال واختزنته من باب قتل: كتمته، وجعلته في المخزن... أي كتمته»[(١)]

وبهـذا يكون معنى الآية أنّ ما من شيء في عالمنا المادّي إلاّ وله وجود في تلك الخزائن ولم ينزل منه إلاّ بقدر محدود.

وبعد بيان هذه المقدّمة، ندخل في البحث عن مراتب القرآن الكريم.

الدليل على أنّ للقرآن مراتب

بـناء على ما نصّت عليه الآية المباركة ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ الـذي يفيد الشمول لكلّ شيء، تكون الآية شاملة للقرآن الكريم بمعنى أنّ القرآن الكريم هو تنزّل لما موجود في الخزائن الإلهية.

وقـد أوضـح هـذا المعنى ببيان وجيز الطباطبائي بقوله: «إنّ ظاهر قوله (وإن مـن شيء) عـلى مـا بـه مـن العمـوم بسبب وقوعه في سياق النفي مع تأكـيده بـ(مـن) كـلّ مـا يـصدق عليه أنّه شيء من دون أن يخرج منه إلاّ ما يخـرجه نفـس الـسياق، وهو ما تدلّ عليه لفظة (نا) و(عند) و(خزائن) وما عدا ذلك مما يرى ولا يرى مشمول للعامّ»[(٢)] .

فالقـرآن الكريم له مراتب متعدّدة، عبّر عنها باللوح المحفوظ والكتاب المبـين ونحوها من التعبيرات، وهذا المعنى أشارت إليه الروايات بالقول إنّ للقرآن ظهراً وبطناً.

وأدنـى هـذه المـراتب هو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وفي هذا السياق

---

(١) **مجمع البحرين**، الشيخ الطريحي: ج١ ص٦٤٣.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج١٢ص١٤٣.

يكتب صدر الدين الشيرازي: «إن للقرآن درجات ومنازل كما للإنسان، وأدنى مراتب القرآن وهو ما في الجلد والغلاف كأدنى مراتب الإنسان وهو ما في الإهاب والبشرة»[١].

وقد أوضح القرآن هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[٢] فإنّه ظاهر في أنّ هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جعله مقروءاً عربياً، وإنّما ألبس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس وإلاّ فإنّه ـ وهو في أمّ الكتاب ـ عند الله، عليّ لا يصعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل وفصل.

إذاً للقرآن الكريم موطن في الكتاب المكنون، لا يمكن لأحد أن يصل إليه إلاّ من طهّرهم الله تعالى.

الموقف الروائي تجاه مراتب القرآن

هنالك حشد وافر من روايات الفريقين عبّرت عن هذه المراتب بأنّ للقرآن ظهراً وبطناً؛ منها:

١ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: **ليس من القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن، وما من حرف إلاّ وله تأويل**»[٣].

٢ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**للقرآن ظاهر وباطن ومحكم ومتشابه**

---

(١) **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**، مصدر سابق: ج٣ ص ٣٩.

(٢) الزخرف: ١ ـ ٤.

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٣٣ ص١٥٥.

وناسخ ومنسوخ»[١].

٣ ـ عن الفضيل بن يسار قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية (**ما في القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن، وما فيه حرف إلاّ وله حد ولكلّ حدّ مطلع**)، ما يعنى بقوله (لها ظهر وبطن)؟ قال: **ظهره وبطنه تأويله، منه ما مضى ومنه ما لم يكن بعد، يجرى كما يجرى الشمس والقمر، كلّما جاء منه شيء وقع، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾**»[٢].

٤ ـ وفي المحاسن: «قلت: وللقرآن بطن وظهر؟ فقال: **نعم، لأن لكتاب الله ظاهراً وباطناً وناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً وسنناً وأمثالاً ووصلاً وأحرفاً وتصريفاً...**»[٣]. ونحوها من الروايات[٤].

إنّ هذه المسألة ـ كما هو معلوم ـ لا تقتصر على التراث الشيعي فقط، بل تتخطّاها إلى أحاديث الفريق الآخر. فهنالك عدّة من الروايات منها:

ما أخرجه الطبري في تفسيره: «**أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً وحدّاً ومطلعاً**»[٥].

وما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن بن مسعود أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف، لكلّ آية منها ظهر وبطن**»[٦].

---

(١) **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف: ج٢ ص ٦٠٥ – ٦٠٩.

(٢) **تفسير العياشي**، مصدر سابق: ج ١ ص١١.

(٣) **المحاسن**، مصدر سابق: ص٢٧٠ ح٣٦٠.

(٤) انظر: بحار الأنوار، مصدر سابق: ج٨٩ ص٩٣، باب: إن للقرآن ظهراً وبطناً.

(٥) **جامع البرهان**، الطبري: ج١ ص٩.

(٦) **صحيح ابن حبان**، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣م: ج١ ص٢٧٦.

قـال المـناوي: «أنـزل القرآن على سبعة أحرف»... و في رواية: **لكلّ آية مـنها ظهـر وبطن،** فظهره ما ظهر تأويله وعرف معناه وبطنه ما خفي تفسيره وأشـكل فحـواه... قـال ابـن عـربي: اغطس في بحر القرآن إن كنت واسع الـنفس وإلا فاقتصر على مطالعة كتب التفسير لظاهره ولا تغطس، فتهلك فإنّ بحـره عميق، ولولا قصد الغاطس للمواضع القريبة من الساحل ما خرج لكم أبداً، فالأنبياء والورثة هم الذين يقصدون هذه المواضع رحمة بالعالم.

وعـن ابـن مـسعود مـرفوعاً: «**أُنـزل القرآن على ثلاثة أحرف،** لا يناقض الـسبعة بجـواز أنّ الله أطلعـه أولاً عـلى القلـيل، ثم الكثير...» قال الحاكـم: «صحيح ولا علّة له»، وأقرّه الذهبي[1].

والحاصل:

١ــ إنّ للقـرآن الكـريم مـراتب متعدّدة أُطلق عليها اللوح المحفوظ أو الكـتاب المبـين أو أمّ الكـتاب ونحوها، مضافاً إلى تعبير الروايات عن ذلك بالظهر والبطن.

٢ــ إنّ التنـزيل مـن تلـك الخـزائن إنّما هو بقدر معلوم، كما نصّت على ذلك الآية المباركة: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ﴾.

المقدّمة الثانية: نزول القرآن على نحوين

إلاّ أنّ الـنقطة المهمّـة التـي تجـدر الإشارة إليها: ما المقصود من الإنزال والتنـزيل؟ فحينما يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[2] ويقول:

---

(١) **فيض القدير في شرح الجامع الصغير**، مصدر سابق: ج٣ ص٧١.

(٢) الدخان: ٣.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[1]، فهل المراد هو النزول المكاني، أي كان في مكان عال ثم أنزله الله تعالى من ذلك المكان، أم أنّ هناك حقيقة أخرى لتنزّل القرآن الكريم؟

إنّ القرآن الكريم له ضربان من النزول أحدهما النزول بنحو التجافي والآخر بنحو التجلّي.

١. **النزول بنحو التجافي**. وهذا النوع من التنزل لايمكن تصوّره إلاّ في عالم المادّة، فقط؛ لأنّ من أهمّ خصائص هذا النزول هو أنّ الشيء إذا كان في أعلى فهو غير موجود في الأسفل وبالعكس، وهذا من خصوصيات عالم المادّة، وقد استخدم القرآن الكريم هذا اللون من النزول في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾[2] أي ترتفع جنوبهم عن الفراش.

قال فخر الدين الطريحي في معنى الآية: «ترتفع وتنبو عن الفراش، يقال: تجافى جنبه عن الفراش إذا لم يستقرّ عليه من خوف أو وجع»[3].

٢. **النزول بنحو التجلي**. وهذا النوع من النزول، يتميز بخصوصية، وهي أنّ الشيء المنزل إذا تنزل فهو لا يفقد وجوده في مرتبته الأولى.

فالفكرة التي في ذهن الإنسان، مثلاً، إذا نقلها إلى الآخرين أو كتبها

---

(١) القدر: ١.

(٢) السجدة: ١٦.

(٣) **تقرير غريب القرآن**، فخر الدين الطريحي، تحقيق محمد كاظم الطريحي، طبعة زاهدي، قم- إيران: ص١٨.

على الورقة، فهذا لا يعني أنّه فقد علمه بها، بل لا تزال الفكرة محتفظاً بوجودها في الذهن، نعم تختلف الفكرة في الذهن عما هي عليه في الورق في المرتبة الوجودية.

وهذا المعنى واضح في صعود الإنسان وتسلّقه في سلّم الكمال الإلهي، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[1]. فإذا صعد الإنسان مرتبة وجودية أعلى، فلا يعني أنّه فقد مرتبته السابقة.

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[2].

النتيجة: إنّ نزول القرآن الكريم إنّما كان بنحو التجلّي على وفق القاعدة التي تحدّثت عنها الآية المباركة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾[3]. فالقرآن الكريم نزل من تلك المرتبة الغيبية التي هي أصل كلّ الأشياء، وعلى هذا فالقرآن محفوظ في مراتب عليا، عبّر عنه تارة باللوح المحفوظ كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[4] وتارة أخرى بالكتاب المكنون كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[5] أو بالكتاب الحفيظ كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[6].

---

(١) الانشقاق: ٦.

(٤) الأعراف:١٤٣.

(٣) الحجر: ٢١.

(٤) البروج: ٢١ ـ ٢٢.

(٥) الواقعة: ٧٧ ـ ٧٩.

(٦) ق: ٤.

ومن المراتب العليا التي تعدّ مرجعاً لكلّ المراتب مرتبة أمّ الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1].

المقدّمة الثالثة: من خصائص الكتاب المبين أنّه تبيان لكلّ شيء

وقد نصّت على ذلك عدّة نصوص قرآنية منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[2].

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾[3].

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[4]، فالآية دالّة على أنّ أرزاق جميع أنواع الدوابّ وفي أيّ مكان كانت، كلّها في كتاب مبين.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾[5] وهو صريح على إحاطة علمه تعالى بما في الصدور وما تخفي النفوس وما

---

(١) الزخرف: ٤.

(٢) الأنعام: ٥٩.

(٣) يونس: ٦١.

(٤) هود: ٦.

(٥) النمل: ٧٥.

يعلنون.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[1].

٦ـ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2] وغير ذلك من الآيات التي تكشف وتدلّ على أنّ الكتاب المبين يضمّ بين أحشائه كلّ شيء.

فكلّ ما في عالم الإمكان جعله تعالى في ذلك الكتاب المبين، فهو بمثابة برنامج عمل يُهيّأ لكلّ المخلوقات.

وهذا المعنى يقرّره الطباطبائي بقوله: «وقد دلّت الآية على أنّ هذه الأمور في كتاب مبين، فما هو الذي منها في كتاب مبين؟ أهو هذه الأشياء من جهة شهادتها وغيبها جميعاً أم هي من جهة غيبها فقط؟ وبعبارة أخرى: الكتاب المبين أهو هذا الكون المشتمل على أعيان هذه الأشياء لا يغيب عنه شيء منها وإن غاب بعضها عن بعض أم هو أمر وراء هذا الكون مكتوبة فيه هذه الأشياء نوعاً من الكتابة، مخزونة فيه نوعاً من الخزن، غائبة من شهادة الشهداء من أهل العالم، فيكون ما في الكتاب من الغيب المطلق. وبلفظ آخر: الأشياء الواقعة في الكون المعدودة بنحو العموم في الآية أهي واقعة بنفسها في الكتاب المبين كما تقع الخطوط بأنفسها في الكتب التي عندنا أم هي واقعة بمعانيها فيه كما تقع المطالب الخارجية بمعانيها بنوع من

---

(١) الحديد: ٢٢.

(٢) سبأ: ٣.

الوقوع في ما نكتبه من الصحائف والرسائل ثم تطابق الخارج مطابقة العلم العين؟».

ثم يجيب على هذا التساؤل بقوله: «لكن قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ يدلّ على أنّ نسبة هذا الكتاب إلى الحوادث الخارجية نسبة الكتاب الذي يكتب فيه برنامج العمل إلى العمل الخارجي، ويقرب منه قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وقوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ إلى غير ذلك من الآيات...»[1].

فالكتاب المبين يحتوي على كلّ شيء ولا يعزب عنه شيء، فيشتمل على دقائق الأشياء ويضبط حدودها، بل يضبط جميع ما هو كائن دون أن تشذّ عنه غائبة.

ومن جميع ذلك يتّضح سعة علم الله تعالى وإحاطته بكلّ الأشياء صغيرها وكبيرها كثيرها وقليلها، وأنّ كلّ الموجودات الحادثة موجودة بجميع مشخّصاتها في الكتاب المبين.

المقدّمة الرابعة: القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين

بناء على فتح باب المعرفة من قبل الله تعالى، لأجل تعرف المخلوقات

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٧ ص١٢٤.

على الخالق وصفاته الجمالية؛ لابدّ من وجود آية وعلامة وأثر يكشف عن صفاته تعالى؛ إذ من دون العلامية والأثر سوف ينسدّ باب المعرفة به تعالى وبصفاته؛ لاستحالة الوصول إلى كنه ذاته تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1]، ومن هنا نجد الأئمة عليهم السلام أرشدوا الناس إلى معرفة الله تعالى من خلال تجلّياته الظاهرة في مخلوقاته تعالى.

فالله تعالى خلق للناس علامات وآيات وتجلّيات، تدلّ على حكمته وقدرته وعلمه، ومن دون هذه الآيات والعلامات يتعذّر معرفة الخالق ومن ثمّ تتعذّر بل تستحيل عبادته، لأنّ العبادة فرع المعرفة، فمن دون معرفة الناس بخالقهم وبارئهم لا يمكن أن يعبدوه ويتوجّهوا إليه. وهذا قانون عامّ لكلّ العوالم الخارجة عن عالم المادّة، فكلّ ما موجود في تلك العوالم لابدّ أن يوجد له علامة وآية تدلّ عليه في عالمنا المادّي.

والنتيجة التي نرسو إليها ـ بناء على قانون العلامية والآيتية ـ هي أنّ القرآن الكريم الموجود بين أيدينا والذي نزل على قلب الخاتم صلّى الله عليه وآله آية وعلامة للكتاب المبين الذي فيه علم كلّ شيء والذي لا يضلّ ولا ينسى.

فالقرآن الكريم مظهر للعلم الإلهي والقدرة الإلهية والعظمة الإلهية، وحيث إنّ الحقّ تعالى لا مجال للبطلان إليه؛ لأنّه حقّ محض كذلك القرآن الكريم لا مجال للبطلان أو الضلالة إليه، وهذه الحقيقة لخّصتها الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام حينما قال: «**إنّ الله تعالى تجلّى لخلقه في**

(١) طه:١١٠.

كتابه ولكنهم لا يبصرون»[١] وفي رواية أخرى «**تجلّى لعباده في كلامه**»[٢].

إذاً القرآن الكريم تجلٍّ للحقّ تعالى على خلقه، نعم هذا التجلّي على مستوى الوجود اللفظي.

المقدّمة الخامسة: القرآن الكريم فيه تبيان كلّ شيء

من الأبحاث الحريّة بالاهتمام: اكتناز القرآن الكريم على علم وتبيان كلّ شيء، وهذه الحقيقة تبدو شاخصة للعيان إذا طالعنا الآيات المرتبطة في المقام من قبيل قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[٣].

ومن الجدير بالذكر نقول إنّ هذه الآية من أهمّ الآيات التي استقطبت اهتمام الباحثين والمتكلّمين على حدّ سواء، حيث استفيد من عبارة (كلّ شيء) الظاهرة في العموم والشمول أنّ القرآن الكريم متضمّن لكلّ المعارف والعلوم.

ومن الواضح أنّ المراد بـ «الكتاب» هو القرآن الكريم، لأنّ الألف واللام للعهد الذكري أي المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، وعلى هذا فيكون المراد من الكتاب في هذه الآية هو القرآن الكريم.

ويؤيّد ذلك ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة استدلاله بهذه الآية الكريمة على شمولية القرآن، حيث قال: «**أم أنزل الله ديناً**

---

(١) **عوالي اللآلئ**، ابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، طبعة سنة ١٤٠٣هـ: ج٣ص١٦٤.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج٨٩ ص١٠٧.

(٣) النحل: ٨٩.

ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله سبحانه ديناً تامّاً فقصّر الرسول صلّى الله عليه وآله عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[(١)] فيه تبيان كلّ شيء» فحمل عليه السلام لفظ «الكتاب» في الآية على القرآن الكريم نفسه.

وقد أشار الطباطبائي إلى هذه الحقيقة بقوله: «القرآن المجيد [الكتاب] لّما كان كتاب هداية يهدي إلى صراط مستقيم على أساس بيان حقائق المعارف التي لا غنى عن بيانها في الإرشاد إلى صريح الحقّ ومحض الحقيقة، لم يفرط فيه في بيان كلّ ما يتوقّف على معرفته سعادة الناس في دنياهم وآخرتهم، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾»[(٢)].

وقال الآلوسي: «المراد من الكتاب القرآن، واختاره البلخي وجماعة فإنّه ذكر فيه جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا، بل وغير ذلك مفصّلاً»[(٣)].

معالجة التباس

قد يقال إنّ الوارد من كون القرآن تبياناً لكلّ شيء يختصّ في ما يرتجى منه وهو هداية الإنسان، وهي الهدف والغرض من نزول القرآن الكريم.

---

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) تفسير روح المعاني، مصدر سابق: ٧ص١٤٤.

والجـواب: هـنالك عدد وافر من الروايات[١] الواردة عن الرسول صلّى الله عليه وآلـه وأهـل بيـته عليهم السلام فـسّرت المراد من قوله تعالى «تبيان لكلّ شيء» بأنّ القرآن الكريم متضمّن لعلم كلّ شيء وفيه كلّ شيء، إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّ علم كلّ شيء موجود في مرتبة القرآن الظاهرية وفي عالم الألفاظ واللغـة؛ لأنّ القـرآن الكـريم لا ينحـصر في الظاهـر فقـط وإنّـما لـه بطـون ومـراتب أخـرى لا يمكـن الوصول إليها من طريق الألفاظ ومعاني اللغة؛ لـذا ورد عـنهم عليهم السلام أنه لم يجمع القرآن إلاّ الأئمة عليهم السلام، وهذا لا يعنـي أنّ القـرآن ناقص وغير مجموع عند المسلمين، وإنّما المراد بذلك هو أنّ القـرآن بجميع مراتبه (ظاهره وباطنه، تنزيله وتأويله) عند الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآلـه وأهل البيت عليهم السلام، وهو ما أشارت إليه الآيات الكريمة كقـوله تعـالى ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ وقـوله ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ ﴾ وقوله ﴿فِي لَوۡحٖ ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي أشارت إلى هذه الحقيقة.

ومن مجموع ما تقدّم يتّضح أنّ القرآن الكريم تبيان لكلّ شيء.

النتيجة أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله حاز على علم جميع ما في الكتاب المبين.

التوضـيح: بـما أنّ القرآن الكريم نزل على قلب النبيّ صلّى الله عليه وآله وأنّ القـرآن الكـريم آيـة وعلامـة للكـتاب المبـين الـذي فـيه كـلّ شيء ـ كما تمّ توضيحه في المقدّمات السابقة ـ يتّضح أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لديه علم جميع مـا في الكـتاب المبـين، وقـد صرّحـت النـصوص القـرآنية والـروائية بهذه الحقـيقة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ * عَلَىٰ

(١) سوف يأتي عند بيان الدليل على علم أهل البيت عليهم السلام بالكتاب.

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[١].

وكـذا قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[٢]. وقـد تقـدّم في الفـصل الثاني تقريب الاستدلال بهذه الآية عـلى أنّ الكـتاب المبين لا يمسّه (أي لا يعلمه) إلاّ المطهّرون، ومن الواضح أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله من أقرب مصاديق المطهّرين.

النبي صلى الله عليه وآله له الولاية التكوينية لعلمه بما في الكتاب

وممـا تقدّم يتّضح أنّ النبيّ صـلّى الله عليه وآله لديه الولاية التكوينية والقدرة عـلى التـصرّف في الـتكوين لامـتلاكه علـم الكتاب الذي هو منشأ وسبب القـدرة عـلى التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة، كما تقدّم في الفصل الأول أنّ منـشأ القـدرة عـلى التـصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة هو العلم بالكتاب.

(١) الشعراء: ١٩٢- ١٩٥.

(٢) الواقعة: ٧٧ـ ٧٩.

الطريق الثاني:

وجود الاسم الأعظم عند النبيّ صلّى الله عليه وآله

يبتني هذا الاستدلال على مقدّمتين هما:

المقدّمة الأولى: من ملك الاسم الأعظم يتصرّف في التكوين بنحو معجز.

وهذه المقدّمة تقدّم الحديث عنها في الأبحاث السابقة.

المقدّمة الثانية: النبي صلّى الله عليه وآله مظهر الاسم الأعظم.

في ضوء ما سلف من أنّ لكلّ اسم من الأسماء الإلهية مظهراً في مخلوقاته، نعود مجدّداً لنتساءل ما هو مظهر الاسم الأعظم ـ الذي هو الذات الإلهية مأخوذة مع جميع الكمالات ـ؟

ولكي يتّضح من هو مظهر الاسم الأعظم لابدّ ـ أوّلاً ـ من بيان كيفية خلق الله تعالى لهذا العالم.

إنّ الله تعالى خلق هذا العالم على مرتبتين وجوديتين إحداهما مرتبة عينية يطلق عليها عالم الملكوت أو عالم الغيب أو عالم الأمر، وهذه المرتبة لا يمكن الوقوف عليها بواسطة أدوات الحسّ ولا تخضع لقوانين عالم المادّة من الزمان والمكان والحركة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ

مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1].

والمرتبة الأخرى يطلق عليها عالم الشهادة أو المادّة أو الملك وتمثّل نشأتنا الأرضية، وهي خاضعة لنظام عالم المادّة من الزمان والمكان والحركة والخروج من القوّة إلى الفعل، وكلا المرتبتين ـ الملك والملكوت ـ بيده تعالى، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[3].

فإذا اتّضح هذا البيان المختصر نقول: إنّ مظهر الاسم الأعظم في مرتبة الملكوت هو نور النبي الأعظم وأهل بيته عليهم السلام.

ويمكن الاستدلال على مستوى النصوص القرآنية تارة وأخرى على مستوى النصوص الروائية على أنّ مظهر الاسم الأعظم في مرتبة الملكوت هو نور النبيّ صلّى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام، وفي مرتبة الملك هو شخص النبيّ وأهل بيته عليهم السلام في جنبتهم البشرية.

الدليل القرآني على أنّ النبيّ وأهل بيته مظاهر الاسم الأعظم

لعلّ أبرز نصّ قرآني يمكن الاستدلال به على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته مظاهر الاسم الأعظم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) الملك: ١.

(٣) يس: ٨٣.

(٤) البقرة: ٣٠ـ ٣٤.

ولكي يتّضح المطلوب لابدّ من بيان المفاهيم الواردة في الآية الكريمة:

١. **مفهوم الخلافة**: الخلافة لغة: هي النيابة عن الغير. قال الراغب في المفردات: «خلف فلان فلاناً: قام بالأمر عنه، إمّا معه وإمّا بعده... والخلافة نيابة عن الغير إمّا لغيبة المنوب عنه، وإمّا لموته وإمّا لعجزه».

ومن الواضح أنّ جميع هذه الوجوه وهي الخلافة بمعنى النيابة عن الغير إمّا لغيبة المنوب عنه، وإمّا لموته أو لعجزه، بمعنى لا تجوز على الله تعالى، لأنّه سبحانه ليس بغائب، وإنّما هو شاهد على كلّ شيء كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] كذلك لا معنى أن تكون الخلافة عن الله تعالى نيابة عن الميّت، لأنّ الله تعالى هو الحي الذي لا يموت ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[2]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[3].

كذلك لا يمكن أن تكون خلافته تعالى عن عجز، لأنّه القادر على كلّ شيء؛ قال تعالى: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[5].

وبهذا يتّضح بطلان جميع المعاني المتقدّمة للخلافة، مما يكشف عن أنّ المراد بالخلافة الإلهية سنخ آخر من الخلافة وهو كون الخلافة الإلهية مظهراً لأسمائه تعالى كما سيتّضح من البحوث اللاحقة إن شاء الله تعالى.

---

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) الفرقان: ٥٨.

(٤) البقرة: ٢٥٩.

(٥) فاطر: ٤٤.

٢. المستخلِف هو الله تعالى: اختلف المفسّرون في من هو المستخلف الذي جُعل خليفة في الأرض، فذهب بعضهم إلى أنّه ربما كان في الأرض قوم آخرون كالجنّ أو غيرهم[١]، وجاء الإنسان ليكون خليفة لهم.

إلاّ أنّ الصحيح هو أنّ المستخلف هو الله تعالى وذلك لعدّة قرائن.

القرينة الأولى: لو كان المقصود بالخلافة في الآية المباركة هي خلافة إنسان لموجود أرضيّ قبله، فهذا لا يتلاءم مع تساؤل الملائكة واستفهامهم كما في قول تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ... وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فقد تساءلت الملائكة عن سبب جعل خليفة يفسد في الأرض ويسفك الدماء، ومن الواضح أنّ هذا التساؤل يكشف عن أنّ الملائكة قد فهموا أنّ المستخلف لهذا الخليفة هو الله تعالى وأنّ هذا الموجود الأرضي ـ وهو الإنسان ـ سنخ موجود يمكن أن يصدر منه الفساد وسفك الدماء، وحيث إنّ الله تعالى منزّه عن الشرّ والفساد ونحوهما، فيكون هذا الخليفة غير متلائم وغير منسجم مع فعل الله تعالى المنزَّه عن الشرِّ والفساد، ومن هنا جاء سؤال الملائكة الاستفهاميّ بأنّ هذا الخليفة يفعل الفساد ويسفك الدماء، وهو ينافي فعل الله تعالى المنزَّه عن الشرّ.

وهذه القرينة تعدّ خير دليل على أنّ هذه الخلافة عن الله تعالى، لا خلافة إنسان لمخلوق آخر.

القرينة الثانية: إنّ إطلاق لفظ الخليفة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي

---

(١) نقل هذا الوجه الفخر الرازي بقوله: «لما نفى الله سبحانه الجنّ من الأرض وخلق آدم... الوجه الآخر عليه» انظر **التفسير الكبير** للفخر الرازي، مصدر سابق: ج٢، ص١٦٥.

﴿ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾ من دون إشارة وإضافة إلى المخلوق، يؤكّد أنّ الإنسان خليفة لمن جعله وهو الله تعالى وليس خليفة عن قوم آخرين. وهذا نظير ما لو قال رئيس الدولة مثلاً: «إني جاعل في المكان الفلاني خليفة»، فإنّ المفهوم العرفي هو كون هذا الخليفة لرئيس الدولة نفسه، لا لغيره.

فحينما يقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾ فإنّ المفهوم العرفي منها هو خليفة لله تعالى لا لغيره.

٣. المراد بالعلم في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ﴾: تقدّم في مطاوي البحوث السابقة أنّ العلم ينقسم إلى قسمين أحدهما العلم الحصولي وهو العلم الحاصل من المفاهيم والصور الذهنية. فالحاضر عند العالم هو صورة المعلوم ورسمه، والآخر العلم الحضوري وهو أن يكون المعلوم ذاته حاضراً عند العالم، فمثلاً: علمي بنفسي علم حضوريّ لأنّ نفسي ذاتها حاضرة عند نفسي، أمّا بالنسبة للموجودات الأخرى فعلمي بها حصولي، لأنّ الحاضر لدى الذهن هو صورتها فقط.

وعلى هذا الأساس يطرح السؤال التالي: ما هو العلم الذي تعلّمه خليفة الله وإنبائه الملائكة؟

من الواضح أنّ المراد بالعلم الذي تعلّمه خليفة الله هو علم حضوري، والشواهد الدالّة على ذلك تكشف بوضوح أنّ المراد بالعلم الذي تعلمه خليفة الله هو العلم الحضوري دون الحصولي، ومن هذه الشواهد:

١ـ إنّ ذلك العلم الذي تعلّمه خليفة الله تعالى قد أوجد امتيازاً على الملائكة، حيث صار منشأً لسجود جميع الملائكة لذلك الخليفة.

فلو كان المراد بذلك العلم هو العلم الحصولي، لما حصل ذلك الامتياز

لخليفة الله تعالى، لأنّ العلم الحصولي لا يكون منشأً للامتياز كما تقدّم. فبالعلم الحضوري الذي حصل عليه خليفة الله تعالى أصبح مؤهّلاً لأن تسجد له الملائكة أجمعون كما في قوله تعالى ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[1]، فليس كون هذا الخليفة الإلهي من حيث مادّته التي هي صلصال من حمأ مسنون استحقّ سجود الملائكة له.

٢ـ إنّ العلم الذي حصل عليه خليفة الله تعالى لم تتمكّن الملائكة أن تتعلّمه. وممّا يشهد لذلك استبدال الباري تعالى التعبير في الآية المباركة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ من «التعليم» إلى التعبير «بالإنباء» كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[2] ومن الواضح أنّ استبدال صيغة التعبير في الآية من التعليم إلى الإنباء لم يكن لأجل التفنّن في التعبير، لأننا بإزاء كلام الله تعالى الذي لا يوجد فيه شيء من هذا القبيل، إلاّ أنّ يكون له مغزى وغاية.

فالتعبير بـ«علّم آدم الأسماء» هو للدلالة على أنّ تعليم آدم عليه السلام للأسماء لأجل كونه عليه السلام على استعداد لتحمل هذا السنخ من العلم، بخلاف الملائكة الذين لا تؤهّلهم درجتهم ومرتبتهم الوجودية من تعلّم ذلك العلم بالأسماء، لذا كان لهم الاطلاع على الواقعة فحسب.

٣ ـ إنّ الأسماء التي تعلّمها آدم عليه السلام أسماء ذو حياة وعلم وشعور وعقل، والدليل على ذلك هو مجيء التعبير في الآية بالضمير (هم) في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ والتعبير باسم الإشارة «هؤلاء» في قوله تعالى: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾.

---

(١) الحجر: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٣.

ومـن الواضح أنّ الضمير «هـم» لا يستعمل في اللغة إلاّ للجمع العاقل وأن اسم الإشارة «هؤلاء» يستعمل للحيّ العاقل الحاضر.

مـن هـذا يتبين أنّ المراد بالأسماء التي تعلّمها خليفة الله تعالى هي أسماء ذات عقل وشعور، وليست مجرّد علم بالألفاظ أو المفاهيم أو معاني الألفاظ.

ولـو كـان المـراد بـتلك الأسـماء هـي الألفـاظ أو معانـيها وهـي المنشأ للخلافـة الإلهـية، للـزم أن يكـون الملائكـة صـالحين للخلافة أيضاً بعد أن أنـبأهم آدم بالأسـماء، ومن ثمّ يكونون في درجة ورتبة واحدة مع خليفة الله تعالى، لا أن يسجدوا له بفضيلة علمه بهذه الأسماء.

وهـذه الحقـيقة يقـرّرها الطباطبائي بقوله: «إنّ العلم بأسمائهم كان غير نحـو العلـم الذي عندنا بأسماء الأشياء، وإلا كانت الملائكة بإنباء آدم إيّاهم بهـا عالمـين وصـائرين مـثل آدم مـساوين معـه، ولم يكن في ذلك إكرام لآدم ولا كـرامة حـيث علّمـه الله سـبحانه أسماء ولم يعلّمهم، ولو علّمهم إيّاها كانوا مثل آدم أو أشرف مـنه، ولم يكـن في ذلك ما يقنعهم أو يبطل حجّتهم، وأيّ حجّة تتمّ في أن يعلّـم الله تعـالى رجـلاً علم اللغة ثم يباهي به ويتمّ الحجّة على ملائكة مكـرّمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، بأنّ هذا خليفتي وقابل لكرامتي دونكـم؟ ويقـول تعالى: أنبئوني باللغات التي سوف يضعها الآدميون بينهم للأفهام والتفهيم إن كنتم صادقين في دعواكم أو مسألتكم خلافتي»[١].

ومـن ثـمّ يعطـف العلاّمـة الكـلام لبـيان البعد الوظيفي للّغة التي هي وسـيلة لإيصال المقاصد إلى القلوب حيث يقول: «إنّ كمال اللغة هو المعرفة بمقاصـد القلـوب، والملائكـة لا تحتاج فيها إلى التكلّم، وإنّما تتلقى المقاصد

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج١، ص١١٦.

من غير واسطة، فلهم كمال فوق كمال التكلّم، وبالجملة فما حصل للملائكة من العلم بواسطة إنباء آدم لهم بالأسماء هو غير ما حصل لآدم من حقيقة العلم بالأسماء بتعليم الله تعالى، فأحد الأمرين كان ممكناً في حقّ الملائكة وفي مقدرتهم دون الآخر، وآدم إنّما استحقّ الخلافة الإلهية بالعلم بالأسماء دون إنبائها؛ إذ الملائكة إنّما قالوا في مقام الجواب: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾، فنفوا العلم»[1]. وبهذه الشواهد يتبيّن أنّ العلم الذي حاز عليه خليفة الله تعالى هو سنخ علم خاصّ وليس من سنخ العلوم الحصولية.

٣. المراد بالأسماء التي تعلّمها خليفة الله تعالى: هنالك اختلاف بين المفسّرين حيال المراد من الأسماء التي تعلّمها خليفة الله تعالى، وبناء على ما تقدّم من بيان طبيعة العلم الذي تعلّمه خليفة الله تعالى وأنّه سنخ علم أوجد لآدم امتيازاً خاصّاً جعله مؤهّلاً لسجود الملائكة، يتّضح أنّ المقصود من الأسماء في الآية ليست هي الألفاظ أو معاني الألفاظ ونحو ذلك، وإنّما هي أسماء ذات حياة وشعور وعقل وعلم ـ كما تقدّم بيان ذلك آنفاً ـ وهو واضح من التعبير بالضمير (هم) في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ والتعبير باسم الإشارة (هؤلاء) في قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾.

وقد أشار الطباطبائي إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ بقوله: «جمع محلّى باللام وهو يفيد العموم على ما صرّحوا به مضافاً إلى أنّه مؤكّد بقوله: كلّها، فالمراد بها كلّ اسم يقع لمسمّى ولا تقييد ولا عهد، ثم قوله: عرضهم، دالّ على كون كلّ اسم أي مسمّاه ذا حياة وعلم، وهو مع ذلك تحت حجاب الغيب، غيب السماوات والأرض.

---

(١) المصدر نفسه: ج١، ص١١٧.

وإضافة الغيب إلى السماوات والأرض وإن أمكن أن يكون في بعض الموارد إضـافة «مـن» فيفيد التبعيض، لكن المورد وهو مقام إظهار تمام قدرته تعالى وإحاطـته وعجز الملائكة ونقصهم يوجب كون إضافة الغيب إلى السماوات والأرض إضـافة الـلام، فيفـيد أنّ الأسـماء أمـور غائبة عن العالم السماوي والأرضي، خـارج محـيط الكـون، و إذا تأمّلـت هـذه الجهـات أعني عموم الأسماء وكون مسمّياتها أولي حياة وعلم»[١].

النتيجة: الخلافة الإلهية هي المظهرية والتجلّي

مـن جمـيع هـذه المقـدّمات ـ وهـي أنّ الخلافـة ليست من سنخ الخلافة المـتعارفة، وأنّ المـستخلف هـو الله تعـالى، وأنّ المـراد بـالعلم هو سنخ علم حـضوريّ وأن الأسـماء التـي تعلّمهـا خلـيفة الله هي أسماء ذو حياة وعلم وشـعور وعقـل ـ يتّـضح أنّ المـراد بالخلافـة هـي الخلافة المظهرية والتجلّي لـيكون الخلـيفة مظهـراً للـذي اسـتخلفه وآيـة لـه وتجلـياً لأسمائه الحسنى وصفاته العليا، أي يكون حاكياً للمستخلف في شؤونه بالمقدار الممكن.

بعـبارة أخـرى: لمـا كـان الله تعـالى لـه الأسماء الحسنى كلّها كما في قوله تعـالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٢] ولـه الكـمالات العلـيا، فلابـدّ أن يكـون الخليفة حاكياً عمّن استخلفه في صفاته وكمالاته.

ولذا قالوا إنّ الخلافة وهي قيام شيء مقام آخر لا تتمّ إلاّ بكون الخليفة حاكـياً للمـستخلف في جميع شؤونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف.

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج١، ص١١٨.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

المراد من خليفة الله هو الإنسان الكامل

لقد شهد البحث اختلافاً شديداً في تحديد المقصود من الخليفة الذي جعله الله في الأرض في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، فالبعض ذهب إلى أنّ المراد بخليفة الله تعالى هو النبيّ آدم عليه السلام أبو البشر، إلّا أنّ هذا القول غير صحيح، بل المراد بالخليفة في الآية المباركة هو الإنسان الكامل الذي هو أفضل الأولين والآخرين وهو النبيّ صلّى الله عليه وآله. والشاهد على ذلك هو ما تقدّم أنّ ذلك الخليفة الذي جعله الله تعالى قد علّمه سبحانه جميع الأسماء الإلهية، ومن الواضح أنّ الذي حصل على جميع الأسماء الإلهية هو ذلك الإنسان الكامل الذي لا يوجد أفضل وأكمل منه، لأنّه مظهر أسماء الله جميعاً ومظهر الاسم الأعظم، الاسم الذي يستجمع جميع الكمالات الإلهية.

مضافاً إلى أنّ النبيّ آدم أبا البشر لا يصحّ أن يكون هو الخليفة المقصود في الآية المباركة، لأنّه عليه السلام ـ كما سيأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى ـ حصل على أربعة حروف فقط من حروف الاسم الأعظم، أمّا نبيّنا صلّى الله عليه وآله فقد وردت الروايات على أنّه حاز اثنين وسبعين حرفاً من حروف الاسم الأعظم، وهو ينسجم مع ما صرّح به القرآن الكريم بأنّ الخليفة قد علمه تعالى الأسماء الإلهية كلّها.

وقد أشار عدد من المفسّرين إلى هذه الحقيقة منهم:

الآلوسي؛ قال: «ويفهم من كلام القوم قدس الله تعالى أسرارهم أنّ المراد من الآية بيان الحكمة في الخلافة على أدقّ وجه وأكمله، فكأنّه ـ جلّ شأنه ـ

---

(١) البقرة: ٣٠.

قال: أريد الظهور بأسمائي وصفاتي ولم يكمل ذلك بخلقكم، فإني أعلم ما لا تعلمونه لقصور استعدادكم ونقصان قابليتكم، فلا تصلحون لظهور جميع الأسماء والصفات فيكم، فلا تتمّ بكم معرفتي ولا يظهر عليكم كنزي، فلابدّ من إظهار من تمّ استعداده وكملت قابليته ليكون مجلىً لي ومرآة لأسمائي وصفاتي ومظهراً للمتقابلات فيَّ، ومظهراً لما خفي عندي، وبي يسمع وبي يبصر وبي وبي»[1].

الشوكاني؛ في تفسيره قال: «الخليفة ذاتٌ قائم بما يقوم به المستخلف على حسب مرتبة ذلك الخليفة منه ... وكلّ من استخلفه الله في عمارة الأرض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم فهو خليفة لكن لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتنفيذ أمره. فإن قلت: ما حكمة إضافته إلى الله وهلّا قال: الخليفة؟ قلت: هو إشارة إلى أنّه إنسان كامل قد تجلّى عن الرذائل وتحلّى بالفضائل»[2].

إذاً اتّضح مما سبق أنّ الخليفة الإلهي هو الإنسان الكامل.

النبي صلّى الله عليه وآله هو الإنسان الكامل

من أبرز الأدلّة على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله هو الإنسان الكامل: دليل أفضليّته على جميع الأنبياء والمرسلين من الأوّلين والآخرين.

فمن الحقائق المهمّة التي يسجّلها القرآن الكريم تفاوت الرسل فيما بينهم في الفضل؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3] وقال

(١) **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، مصدر سابق: ج١، ص٢٢٣.

(٢) **فيض القدير في شرح الجامع الصغير**، الشوكاني: ج١، ص٣٦٣.

(٣) الإسراء: ٥٥.

تعـالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[١] وثمـة حقـيقة أخـرى يـسجّلها القـرآن الكريم أيضاً، نالت اتّفاق المسلمين جميعاً، وهي أنّ أفضل الأنبـياء هـم أولو العزم من الرسل، كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٢] ومـن المعلـوم أنّ القرآن الكريم لم يقتصر عـلى إطـلاق مفهـوم أولي العـزم فحسب، بـل حدّد لنا من هم أولو العزم وشخّـصهم بأسـمائهم، كـما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[٣] وهـذه الحقـيقة أيـضاً موضع إجماع واتفاق المسلمين.

لكن السؤال: من هو أفضل الأنبياء مطلقاً؟

نقـول: إنّ أفـضل الأنبياء مطلقاً هو نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله. وهذا من الحقائـق الإسلامية التي أجمع عليها المسلمون، بل لعلّنا لا نجانب الصواب إذا قلـنا إنّ أفـضلية نبيّـنا عـلى جمـيع الأنبـياء مـن البديهـيات والضرورات الإسـلامية التـي تعلـو عـلى البرهـنة والاستدلال، إلاّ أنّنا مع ذلك لم نهمل إقامة الاستدلال على هذه الحقيقة.

الأدلّة على أفضلية نبيّنا صلّى الله عليه وآله على جميع الأنبياء

هنالك عدّة من الأدلّة القرآنية لإثبات هذه الحقيقة منها:

الدلـيل الأول: قـوله تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

(٣) الأحزاب: ٧.

﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ فقد عدّ الله تعالى أولي العزم على ترتيب زمانهم، ولكن قدّم ذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو آخرهم زماناً. ومن المعلوم أنّ تقديم نبيّنا صلّى الله عليه وآله لم يأتِ جزافاً؛ إذ لا موضع للجزاف في القرآن الكريم، مما يكشف عن حقيقة مهمة وهي فضله وشرفه وتقدّمه على جميع الأنبياء.

قال الآلوسي في تفسير الآية: «تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيّين اندراجاً بيّنا للإيذان بمزيد مزيّتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع، واشتهر أنّهم هم أولو العزم من الرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين. وأخرج البزار عن أبي هريرة أنّهم خيار ولد آدم عليهم الصلاة والسلام وتقديم نبيّنا صلى الله تعالى عليه وسلم مع أنّه آخرهم بعثة للإيذان بمزيد خطره الجليل أو لتقدّمه في الخلق»[1].

ويؤيّد ذلك ما ورد في جملة من الروايات الصحيحة من الفريقين أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أوّل الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً:

• أخرج القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[2] «عن أبي هريرة: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله سئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قال: **كنت أوّلهم في الخلق، وآخرهم في البعث**»[3].

---

(١) **روح المعاني**، مصدر سابق: ج٢١ ص١٥٤.

(٢) الأحزاب: ٧.

(٣) **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق: ج١٤: ص١١٦.

قـال الـشوكاني: «**حـديث كنت أول النبيّين في الخلق وآخرهم في البعث** له شاهد، صححه الحاكم بلفظ **كنت نبيّاً**»[١].

وقـال المناوي: «بأن جعله الله حقيقة تقصر عقولنا عن معرفتها وأفاض عليها وصف النبوّة من ذلك الوقت»[٢]. وهذا يكشف أنّ نور النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله سبق وجود الأنبياء عليهم السلام.

• كـما في حـديث جابـر بن عبد الله، قال: «قلت لرسول الله صلّى الله عليه وآلـه: أوّل شيء خلـق الله تعـالى مـا هو؟ فقال: **نور نبيّك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كلّ خير**»[٣].

• وعـن جابر أيضاً قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أوّل ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقّه من جلال عظمته**»[٢].

• وأخـرج الحاكم عن ميسرة الفخر، قال: «قلت لرسول الله صلّى الله عليه وآله: متى كنت نبيّاً؟ قال: **وآدم بين الروح والجسد**».

قـال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وشاهده حديث الأوزاعي[٤]. وقال الذهبي: صحيح[٥].

وقـال الـسيّد الطباطبائـي بعـدما أورد هذه الأخبار: «والأخبار في هذه المعاني كثيرة، متضافرة. وأنت إذا أجلت نظرة التأمّل والإمعان فيها وجدتها

---

(١) **الفوائد المجموعة**، الشوكاني: ص٣٢٦.

(٢) **فيض القدير**، مصدر سابق: ج٥ ص٥٣.

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ١٥،ص ٢٤.

(٤) **المستدرك على الصحيحين**، مصدر سابق: ج٢: ص٦٦٥.

(٥) بهامش **المستدرك على الصحيحين**: ج٢، ص٦٦٥.

شـواهد عـلى مـا قدّمـناه، وسـيجيء شطر من الكلام في بعضها. وإياك أن ترمـي أمـثال هـذه الأحاديـث الـشريفة المأثـورة عـن معادن العلم ومنابع الحكمة بأنّها من اختلاقات المتصوفة وأوهامهم»[١].

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[٢]. فمن الواضـح أنّ التعبـير بالبشارة لا يصدق إلاّ على الخبر الذي يسرّ المبشَّر، ولا تكـون البـشارة إلاّ بالـشيء المفقـود عـند المبـشَّر، وبـشارة المسيح عليه السلام بظهـور الإسـلام فـيها إشارة رائعة إلى أنّ ما عند الخاتم لو كان أقلّ مما عند السابقين أو مساوياً لما صدقت البشرى.

فالرسـالة العيـسوية التـي تطـلّ عـلى الماضي والمستقبل، نراها من جهة تـصدّق التوراة ككتاب منزل من الله تعالى، ومن جهة أخرى تبشّر بالرسول محمد صلّى الله عليه وآله الذي يأتي بعدها.

قـال الطباطبائـي في تفـسير قـوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾: «إشـارة إلى الـشطر الثاني من رسالته عليه السلام. وقد أشار إلى الشطر الأول بقـوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾. ومـن المعلـوم أنّ البـشرى هـي الخـبر الذي يسرّ المبشّر ويفرحه ولا يكون إلاّ بشيء من الخير يوافيه ويعود إليه، والخير المترقّب من بعثة النبيّ ودعوته هو انفتاح باب من الـرحمة الإلهـية عـلى الـناس فـيه سعادة دنياهم وعقباهم من عقيدة حقّة أو عمـل صـالح أو كلـيهما، والبـشرى بالنبيّ بعد النبيّ وبالدعوة الجديدة بعد حلـول دعـوة سـابقة واسـتقرارها ـ والدعوة الإلهية واحدة لا تبطل بمرور

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج ١، ص ١٢١.

(٢) الصف: ٦.

الدهور وتقضّي الأزمنة واختلاف الأيام والليالي ـ إنّما تتصوّر إذا كانت الدعوة الجديدة أرقى فيما تشتمل عليه من العقائد الحقّة والشرائع المعدّلة»[١].

إذاً الرسالة العيسوية تنقسم إلى شطرين، شطر أكّدت ما قبلها ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾، والشطر الآخر أنّه بشّر بالخاتم صلّى الله عليه وآله.

فالبشرى من النبيّ عيسى عليه السلام واضحة في أنّ الرسالة الإسلامية أكمل الرسالات الإلهية السابقة وأفضلها، ليس فقط في الفروع وبيان الشريعة، بل هي الأفضل مطلقاً على مستوى الأصول والتوحيد الكامل لله سبحانه وتعالى، وإن كانت الرسالات السابقة داعية للتوحيد، ولكن الرسالة الإسلامية تميّزت بميزات جعلت من التوحيد قضيّة تعيش مع الإنسان ليس في وجدانه وقلبه فحسب، وإنّما يعيش معها في كلّ حركة من حركاته وكلّ موقف من مواقفه، وكلّ فعل من أفعاله، وكلّ ممارسة من ممارساته. وهذا التوحيد تجسّد في النبيّ صلّى الله عليه وآله، لذا كان صلّى الله عليه وآله الأفضل مطلقاً.

ومن الجدير بالذكر أنّ البشارة بالنبيّ الخاتم لم تقتصر على النبيّ عيسى عليه السلام بل إنّ الله تعالى أخذ ميثاقاً وعهداً شديداً من الأنبياء على التبشير بالنبيّ محمد صلّى الله عليه وآله والتسليم له والتأييد والتصديق له كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٢].

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج١٩ ص٢٥٢.

(٢) آل عمران: ٨١.

فارتباط الرسالات والنبوّات واتصالها بعضها ببعض يكشف عن أنّ النبوّة تسير سيراً تدريجياً نحو التكامل الذي تمثّل في أرقى مراتبه في الرسالة الخاتمة التي جاء بها نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله، فالخاتم هو الذي ختم مراتب الكمال كلّها.

وعلى هذا فنبيّنا صلّى الله عليه وآله اجتاز جميع المراحل الكمالية وأرقى مراتب العبودية التي لا مجال معها لمرتبة أخرى ونبيّ جديد، ففي خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لم يخل سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلّة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم. من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله. على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء. إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله؛ لإنجاز عدته، وتمام نبوّته. مأخوذاً على النبيّين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده...**»[1].

قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2] فالخاتم يعني الوصول إلى الحدّ النهائي في مراتب الكمال والقرب الإلهي بما لا يترك أيّ مجال لإنسان بعده أن يحظى بما حظي به، فهو صلّى الله عليه وآله قد بلغ الحدّ الأعلى من الكمال ونال الشرف الأسمى، وله درجة لم ولن يصلها أحد أبداً.

إذاً فالنبيّ محمد صلّى الله عليه وآله ليس أكمل البشرية والأنبياء السابقين فحسب، بل لا يمكن أن يأتي بعده إنسان يكون أكمل منه.

---

(١) **نهج البلاغة**، مصدر سابق: ج ١ ـ ص ٢٤.

(٢) الأنعام: ١١٥.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(١).

ومحلّ الشاهد في هذه الآية الشريفة كلمة (مهيمناً)، التي تطلق على الشيء الذي يحفظ ويرتّب ويؤتمن على شيء آخر، لذا قال الخليل الفراهيدي: الرجل يهيمن إذا كان رقيباً على الشيء وشاهداً عليه وحافظاً.

وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: «هيمنة الشيء على الشيء ـ على ما يتحصّل من معناها ـ كون الشيء ذا سلطة على الشيء في حفظه ومراقبته وأنواع التصرّف فيه، وهذا حال القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنه تبيان كلّ شيء بالنسبة إلى ما بين يديه من الكتب السماوية: يحفظ منها الأصول الثابتة غير المتغيّرة وينسخ منها ما ينبغي أن ينسخ من الفروع التي يمكن أن يتطرّق إليها التغيّر والتبدّل ليناسب حال الإنسان بحسب سلوكه صراط الترقّي والتكامل بمرور الزمان؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ وقال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾»(٢).

فالقرآن الكريم حافظ لجميع الشرائع السماوية السابقة ويشرف على صيانتها من الانحراف إشرافاً كاملاً، ويكمل تلك الكتب التي تلتقي في هدف واحد على الرغم من الفوارق الموجودة بينها، في تتبع من مقتضى التكامل التدريجي للإنسان، حيث إنّ كلّ شريعة جديدة ترتقي بالإنسان إلى مرحلة أسمى من مراحل الرقي والكمال الإنساني وتشتمل على خطط وبرامج أكثر شمولاً وتطوّراً. ومن هيمنته عليها الحفاظ على أصولها الثابتة

---

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٥ ص٣٤٨.

التي لا تتغيّر مع أيّ شريعة ومنها نسخ ما يجب نسخه إلى خير منه ليكون حكماً يناسب كلّ الأجيال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾. فالهيمنة معنوية لا مادّية، والدليل على كون القرآن مهيمناً على جميع الشرائع والكتب السماوية السابقة هو قوله تعالى: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[(١)].

لذا في الرواية عن سعد الإسكاف قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصّل ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب والتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور كذلك، قال تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾**»[(٢)].

فالقرآن الكريم يحمل في طياته روح جميع التعليمات المؤقّتة والمحدودة للكتب السماوية الأخرى، مضافاً إلى استغراقه وشموله لكلّ ما أراد الله تعالى أن يقوله إلى يوم الدين، فهو كتاب جامع لكلّ كتاب، كما أنّ رسوله يجمع في نفسه خيرات الرسل كلّها وزيادة.

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**وإنّ الله عزّ وجلّ جعل كتابي المهيمن على كتبهم، الناسخ لهم، ولقد جئت بتحليل ما حرّموا وبتحريم بعض ما حلّلوا**»[(٣)].

ويؤيّده ما ورد عن علي بن عيسى رفعه قال: «إنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: **يا موسى لا يطول في الدنيا أَمَلُك فيقسو**

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج٢ ص٦٠؛ **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج١٦ ص٣٢٧.

(٣) **نور الثقلين**، الحويزي: ج١ ص٦٣٨.

لـذلك قلـبُك... أوصيك يا موسى وصيّةَ الشفيق المشفق بابن البتول عيسى ابن مـريم صاحب الأتان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب، ومن بعده بصاحب الجمـل الأحمـر الطـيّب الطاهـر المطهّـر، فمـثله في كـتابك أنّه مؤمن مهيمن على الكـتب كلّهـا وأنّـه راكع ساجد، راغب، راهب، إخوانه المساكين وأنصاره قوم آخرون ويكون في زمانه أزل وزلزال وقتل، وقلّة من المال»[1].

فالخاتم مهيمن على من سبقه من الأنبياء؛ لأنّه صلّى الله عليه وآله بيده القرآن الذي هو مهيمن على جميع الكتب السابقة الذي فيه تبيان كلّ شيء.

وعـن عـبد الـسلام بـن صـالح الهروي، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عـلي، عـن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ما خلق الله خلقاً أفضل منيّ ولا أكرم عليه منّي**، قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرائيل؟ فقـال عليه السلام: **يا علي إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين عـلى ملائكـته المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يـا عـليّ وللأئمـة مـن بعـدك؛ فـإنّ الملائكـة لخدّامـنا وخدّام محبّينا، يا عليّ الذين يحملـون العـرش ومـن حـوله يـسبّحون بحمـد ربّهـم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتـنا، يـا عـليّ لـولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء، ولا الجنّة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد ومعـرفة ربنا عزّ وجلّ وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحـنا فأنطقـنا بتوحـيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً**

---

(1) الكافي، مصدر سابق: ج8 ص43.

واحداً استعظموا أمورنا فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون وأنّه منزّه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة لستبيحنا ونزّهته عن صفاتنا ...»[١].

قال الآلوسي: «فهو عليه الصلاة والسلام الكامل المكمل للخليقة والواسطة في الإفاضة عليهم على الحقيقة، وكلّ من تقدّمه عصراً من الأنبياء وتأخّر عنه من الأقطاب والأولياء نوّاب عنه ومستمدّون منه»[٢].

الدليل الروائي على أنّ النبيّ وأهل بيته مظاهر الاسم الأعظم

هنالك روايات متضافرة دلّت على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته هم من مظاهر الاسم الأعظم في النشأتين الملكوتية والمادّية، وتلتقي فكرة هذه الروايات مع ما تقدّم في البحث القرآني من دراسة مفهوم الخلافة القرآنية، وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله هو المظهر الأتمّ لهذه الخلافة.

فعند استقراء مضمون الروايات الواردة في المقام نجد أنّها تتمحور حول الحقيقة القائلة بأن نبيّنا صلّى الله عليه وآله هو أوّل مخلوق خلقه الله تعالى، وأنّ **الصادر الأول هو نور النبيّ** صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأنّهم المصداق الأتمّ والتجسيد الأكمل للخلافة الأسمائية. وفي ما يلي نشير إلى بعض الروايات:

١ ـ عن أبي حمزة قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «**إنّ الله خلق محمداً وعليّاً وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق، يسبّحون الله ويقدّسونه وهم الأئمة من ولد رسول الله صلّى الله عليه وآله**»[٣].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق: ص ٢٥٤ – ٢٥٦.

(٢) تفسير الآلوسي: ج ٢٢، ص ٢٠.

(٣) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٣٠ - ٥٣١.

٢ ـ عن المفضّل، عن جابر بن يزيد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «**يا جابر إنّ الله أول ما خلق خلق محمداً صلّى الله عليه وآله وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله.** قلت: وما الأشباح؟ قال: **ظلّ النور أبدان نورانية بلا أرواح وكان مؤيّداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله، وعترته، ولذلك خلقهم حلماء، علماء، بررة، أصفياء، يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ويصلّون الصلوات ويحجّون ويصومون**»[(١)].

٣ ـ عن محمد بن سنان قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: **يا محمد إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته ثم خلق محمداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أمورها إليهم، فهم يحلّون ما يشاءون ويحرّمون ما يشاءون، ولن يشاءوا إلاّ أن يشاء الله تبارك وتعالى.** ثم قال: **يا محمد هذه الديانة التي من تقدّمها مرق ومن تخلّف عنها محق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد**»[(٢)].

٤ ـ عن أبي الجارود عن محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن آبائه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه فلم يزل الله عزّ وجلّ ينقله من صلب إلى صلب حتى أقرّه في صلب عبد المطلب، ثم أخرجه من صلب عبد المطّلب فقسّمه قسمين فصيّر قسماً في صلب عبد الله، وقسماً في صلب أبي طالب. فعليّ منّي وأنا من علي، لحمه من لحمي ودمه من**

---

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ج ١، ص ٤٤١.

دمي، فمن أحبّني فبحبّي أحبّه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه. ذكر المكتوب بين كتفي: محمود الملك قبل خلق آدم باثنين وعشرين ألف عام»[1].

٥ ـ عن المفضّل، قال: «قال الصادق عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا. فقيل له: يابن رسول الله ومن الأربعة عشر؟ فقال: محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتُل الدجّال، ويطهّر الأرض من كلّ جور وظلم»[2].

٦ ـ عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال «نحن شجرة النبوّة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر ونحن عهد الله، فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بذمّة الله، ومن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، و من خفرنا فقد خفر ذمّة الله وعهده»[3].

٧ ـ عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنّ الله خلقنا من نور عظمته، ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا و أبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلاّ للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم: الناس، وصار سائر الناس همج،

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص ٦٤٠.

(٢) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ١٥، ص ٢٣.

(٣) بصائر الدرجات، مصدر سابق: ص ٧٧.

للنار وإلى النار»[١].

٨ ـ عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما بعث الله نبيّا أكرم من محمد صلّى الله عليه وآله، ولا خلق الله قبله أحداً، ولا أنذر الله خلقه بأحد من خلقه قبل محمد صلّى الله عليه وآله، فذلك قوله (تعالى): ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، فلم يكن قبله مطاع في الخلق، ولا يكون بعده إلى أن تقوم الساعة في كلّ قرن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها»[٢].

٩ ـ عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلّى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح و القلم والجنّة والنار وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق و يعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان وكلّ من قال الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ـ إلى قوله ـ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربعمائة ألف سنة وأربع وعشرين ألف سنة، وخلق عزّ وجلّ معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة، وحجاب العظمة، وحجاب المنّة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة، وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة، وحجاب الهداية، وحجاب النبوّة، وحجاب الرفعة، وحجاب الهيبة، وحجاب الشفاعة.

ثمّ حبس نور محمد صلّى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة

---

(١) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٣٨٩.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص ٦٦٩.

وهو يقول: «سبحان ربي الأعلى وبحمده».

وفي حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنه وهو يقول «سبحان عالم السر».

وفي حجاب المنّة عشرة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان من هو قائم لا يلهو».

وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان الرفيع الأعلى».

وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول: «سبحان من هو دائم لا يسهو».

وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان من هو غنيّ لا يفتقر».

وفي حجاب المنزلة ستة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان العليم الكريم».

وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان ذي العرش العظيم».

وفي حجاب النبوّة أربعة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان ربّ العزّة عمّا يصفون».

وفي حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول: «سبحان ذي الملك والملكوت».

وفي حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول: «سبحان الله وبحمده».

وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول: «سبحان ربي العظيم وبحمده».

ثم أظهر اسمه على اللوح فكان على اللوح منوّراً أربعة آلاف سنة، ثم أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عزّ وجلّ في صلب آدم عليه السلام ثم نقله من صلب آدم إلى صلب نوح عليه السلام ثم من صلب إلى صلب حتى أخرجه الله تعالى من صلب عبد الله بن عبد

المطلب فأكرمه بستّ كرامات:

ألبسه قميص الرضا، وردّاه برداء الهيبة، وتوّجه بتاج الهداية، وألبسه سراويل المعرفة، وجعل تكّته تكّة المحبة يشدّ بها سراويله، وجعل نعله نعل الخوف، وناوله عصا المنزلة، ثم قال له: يا محمد اذهب إلى الناس فقل لهم: قولوا: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله.

وكان أصل ذلك القميص من ستة أشياء: قامته من الياقوت، و كماه من اللؤلؤ، ودخريصه من البلّور الأصفر، وإبطاه من الزبرجد، وجربانه من المرجان الأحمر، وجيبه من نور الربّ ـ جلّ جلاله ـ.

فقبل الله توبة آدم عليه السلام بذلك القميص، وردّ خاتم سليمان به، وردّ يوسف إلى يعقوب به، ونجّى يونس من بطن الحوت به، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام أنجاهم من المحن به، ولم يكن ذلك القميص إلاّ قميص محمد صلّى الله عليه وآله»[1].

١٠ـ عن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً. فلم يزالا نورين أوّلين، إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرَين مطهّرَين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهم السلام»[2].

(١) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص ٣٠٦ – ٣٠٨.

(٢) الكافي، مصدر سابق: ج ١، ص ٤٤٢.

١١ــ عـن المفضّل قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنـتم في الأظلّـة؟ فقـال: يـا مفضّل كنّا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا، في ظلّة خـضراء، نـسبّحه و نقدّسـه ونهلّلـه ونمجّده، وما من ملك مقرّب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا»[١].

وعـن عـبد الـصمد بـن بـشير عـن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان مع عيـسى بـن مـريم حـرفان يعمـل بهما وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف وكـان مـع إبراهيم ستة أحرف وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً وكان مع نوح ثمانـية، وجُمـع ذلك كلّه لرسول الله صلّى الله عليه وآله. إنّ اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً وحجب عنه واحداً»[٢].

وعـن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ جعل اسمه الأعظم على ثلاثاً وسبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى إبراهيم منها ثمانية أحرف، وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى موسى منها أربعة أحـرف، وأعطـى عيـسى مـنها حرفين، وكان يحيي بهما الموتى ويبرئ بهما الأكمه والأبرص، وأعطى محمداً صلّى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً، وأحجب حرفاً لئلاّ يعلم ما في نفسه ويعلم ما في نفس العباد»[٣].

وعـن عـبد الـصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ اسم الله الأعظـم عـلى ثلاثـة وسـبعين حـرفاً كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به

---

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٤٤١.

(٢) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٢٢٩.

(٣) **مستدرك سفينة البحار**، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ج ٢، ص ٢٥٧.

فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كان أسرع من طرفة عين، وعندنا من الاسم اثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب المكتوب»[١].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم**»[٢].

وسيأتي مزيد من الروايات الدالّة على وجود الاسم الأعظم عند أهل البيت عليهم السلام والتي تدلّ بالأولوية على وجوده عند الرسول صلّى الله عليه وآله الأعظم لأفضليته عليهم.

وبهذا يتّضح أنّ مظهر الاسم الأعظم في عالم الملكوت هو نور النبيّ صلّى الله عليه وآله ونور أهل بيته عليهم السلام. أمّا في عالم الملك والمادّة فيتمثّل بالوجود البشري للنبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وسيأتي المزيد من الروايات الدالّة على أنّهم عليهم السلام هم الاسم الأعظم.

النتيجة: امتلاك النبيّ صلّى الله عليه وآله الولاية التكوينية والقدرة على التصرّف في التكوين لامتلاكهم الاسم الأعظم.

---

(١) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٢٢٩.

(٢) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١: ص ٢٣٠.

الطريق الثالث:

أفضلية النبيّ على جميع الأنبياء والمرسلين

وحاصل هذا الدليل يتبين من هاتين المقدّمتين:

المقدّمة الأولى: ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء السابقين

وقد تقدّم الكلام عن هذه المقدّمة في الأبحاث السابقة واتّضح أنّ جملة من الأنبياء عليهم السلام قد ثبتت لهم الولاية التكوينية والقدرة على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة.

المقدّمة الثانية: النبيّ صلّى الله عليه وآله أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين

وقد تقدّم الكلام عن هذه المقدّمة في البحث السابق.

النتيجة: تمتّع النبيّ صلّى الله عليه وآله بالولاية التكوينية والقدرة على التصرّف في التكوين بالأولوية، إذ من غير المعقول أن يثبت للمفضول شيء من الكمالات ما ليس للفاضل، ومن الواضح أنّ القدرة على التصرّف في التكوين من أوضح مصاديق الكمالات، بل هي من الكمالات الثابتة بالذات والاستقلال لله سبحانه وحده، أمّا ثبوتها للغير فهي بالتبع وبإذن منه تعالى.

ويؤيد ذلك ما ورد في أصول الكافي كتاب الحجة، باب أن الأئمة ورثوا علم النبي صلّى الله عليه وآله ... الحديث: ٧.

الطريق الرابع:

رؤية النبيّ صلّى الله عليه وآله للملكوت

يمكن تقريب هذا الطريق من خلال مايلي:

المقدّمة الأولى: رؤية الملكوت موجبة للتصرّف في التكوين

وقد تقدّم الكلام حول هذه المقدّمة في الفصل الأول.

المقدّمة الثانية: أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله رأى الملكوت

ويمكن إثبات هذه المقدّمة من عدّة طرق منها أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله يعلم مما في الكتاب المبين الذي هو من الملكوت، كما تقدّم بيانه آنفاً.

النتيجة: حصول الولاية التكوينية والقدرة على التصرّف في التكوين للنبيّ صلّى الله عليه وآله؛ لرؤيته للملكوت الموجب للتصرّف في التكوين.

خلاصة الفصل الثالث

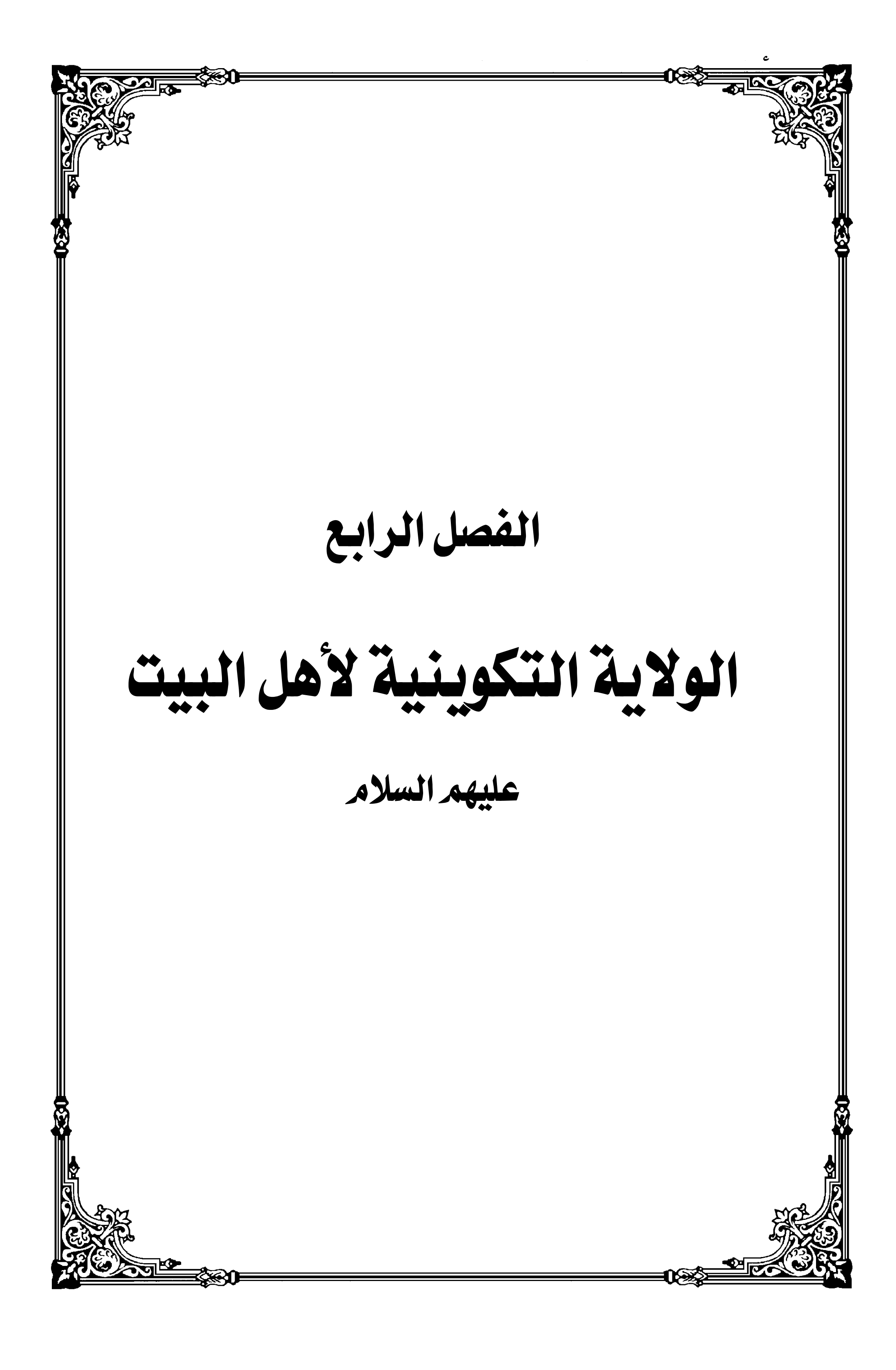
في إثبات الولاية التكوينية للرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله.

تعرّضنا لثلاثة طرق لإثبات الولاية التكوينية للرسول عليهم السلام صلّى الله عليه وآله.

الطريق الأول: علم النبيّ صلّى الله عليه وآله بالكتاب المبين الذي هو منشأ للقدرة على التصرّف في التكوين بشكل خارق للعادة.

الطريق الثاني: حصول النبيّ صلّى الله عليه وآله على الاسم الأعظم، وقد تقدّم في الفصل السابق أنّ من حصل على الاسم الأعظم تثبت له الولاية التكوينية.

الطريق الثالث: أفضلية النبيّ صلّى الله عليه وآله على جميع الأنبياء والمرسلين من الأولين والآخرين، وقد تقدّم أنّ الأنبياء السابقين وكثير من الأولياء قد ثبتت لهم الولية التكوينية، فيدلّ بالأولوية على ثبوت الولاية التكوينية للرسول صلّى الله عليه وآله لأفضليته عليهم عليهم السلام ولاشك أنّ الولاية التكوينية من أوضح مصاديق الأفضلية إذ هي من الكمالات الثابتة لله تعالى بالاستقلال.



الفصل الرابع

الولاية التكوينية لأهل البيت

عليهم السلام

هـنالك عـدّة طـرق لإثـبات الـولاية التكوينية لأهل البيت علـيهم السلام، منها:

الطريق الأول:

علمهم عليهم السلام بالكتاب

تقـدّم آنفاً أنّ منشأ القدرة على التصرّف في التكوين هو العلم بالكتاب، و قـد دلّت عدّة من الأدلّة على علمهم عليهم السلام بالكتاب، نستعرض في ما يلي بعضها:

الدليل الأول: آية التطهير

تقـدّم في الفـصل الأول تقـريب الاسـتدلال بهذه الآية على أنّ الكتاب المبـين لا يمـسّه - أي لا يعلمه- إلاّ المطهّرون، ومن الواضح أنّ أهل البيت عليهم السلام مـن المطّهـرين، بـنصّ الآيـة الكـريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] التـي نـزلت فـيهم عليهم السلام، وقد تناولنا الحديث عن آية التطهير بشكل مفصل في كتاب العصمة، وإليك بعض الروايات الدالّة على ذلك:

• أخرجه الترمذي في سننه عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ صلى الله عليه وآله قـال: «لما نـزلت هـذه الآيـة على النبيّ صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

(١) الأحزاب: ٣٣.

﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة و حسناً و حسيناً وعليّ خلف ظهره، فجلّلهم بكساء، ثم قال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**، قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: **أنت على مكانك وأنت على خير**»[١].

قال الألباني: «صحيح»، ثمّ قال: «هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب»[٢].

• ما ورد عن أمّ سلمة أيضاً، قالت: «فلما رآهم مقبلين مدّ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يده إلى كساء كان على المنامة، فمدّه وبسطه، وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمّه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنى إلى ربّه، فقال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**»[٣].

• عن أمّ سلمة أيضاً أنّها قالت: «فاجتمعوا حول النبيّ صلّى الله عليه وآله على بساط فجلّلهم نبيّ الله صلّى الله عليه وآله بكساء كان عليه، ثم قال: **هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً**، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط. قالت: فقلت: يا رسول الله، وأنا؟ قالت: فو الله ما أنعم، وقال: إنك إلى خير». رواه الترمذي وقال عنه الألباني: صحيح[٤].

---

(١) **سنن الترمذي**، مصدر سابق: ج٥ ص٣٥١.

(٢) المصدر نفسه: ج٥ ص٦٩٩.

(٣) **مسند أحمد**، مصدر سابق: ج٦ ص٢٩٨؛ **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء: ج٣ ص٤٩٢ ـ ٤٩٣.

(٤) **صحيح الترمذي**: ج٣ ص٢٤١؛ **مسند أبي يعلى**: ج١٢ ص٤٥٥؛ **جامع البيان**، الطبري: ج٢٢ ص١٢ ؛ **تفسير ابن كثير**: ج٣ ص٤٩٣.

ولم يكتف النبيّ بذلك بل رفض صلّى الله عليه وآله دخول أزواجه تحت الكساء للانضمام لأهل البيت عليهم السلام.

• فعن أمّ سلمة أيضاً، قالت: «إنّ هذه الآية نزلت في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت؟ فقال صلّى الله عليه وآله: **إنك إلى خير، أنت من أزواج النبيّ**»[1].

• وأخرج الهيثمي عن سعد، قال: «**قال رسول الله صلّى الله عليه وآله حين نزل عليه الوحي، فأخذ علياً وابنيه وفاطمة رضي الله عنهم، فأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: ربّي هؤلاء أهلي وأهل بيتي**»[2].

• وأخرج الهيثمي أيضاً عن أبي جميلة: «أن الحسن بن علي حين قُتل عليّ استخلف، فبينا هو يصلّي بالناس إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه، فتمرّض منها أشهراً، ثم قام فخطب على المنبر، فقال: يا أهل العراق، اتّقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلاّ باكياً». رواه الطبراني ورجاله ثقات[3].

وقد صرّح الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في نفس الآية التي هي محلّ

---

(١) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري: ج٢٢ ص١١؛ تفسير ابن كثير: ج٣ ص٤٩٣.

(٢) **المعجم الأوسط**، الطبراني، دار الحرمين، القاهرة: ج١ ص٢٣١.

(٣) **مجمع الزوائد**، مصدر سابق: ج٩ص٢٧٣.

البحث تصريحاً لا يبقى فيه مجال للشك والريب، حيث قال صلّى الله عليه وآله: «**نزلت الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وفاطمة وحسن وحسين**»[(١)].

ولأجل سدّ منافذ الريب والالتباس أخذ النبيّ صلّى الله عليه وآله يتلو آية التطهير على مرأى ومسمع المسلمين كلّ يوم بل كلّ وقت صلاة أمام بيت فاطمة عليها السلام، وهذا بنفسه يعدّ من أفضل السبل لدرء محاولات المغرضين لأجل خلط الأوراق والتلبيس، بإدخال ما ليس منهم فيهم وإخراج من كان منهم عنهم. وقد ورد هذا المعنى في روايات متضافرة:

• منها: أخرج الحاكم عن أبي بُرزة، قال: «صلّيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله سبعة عشر شهراً، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة عليها السلام فقال: **السلام عليكم** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾»[(٢)].

• ومنها: ما ورد عن أبي الحمراء قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: رأيت رسول الله إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة رضي الله عنهما، فقال صلّى الله عليه وآله: **الصلاة الصلاة** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[(٣)]، وفي بعض ستة أشهر.

فعن أبي داود يقول: «سمعت أبا الحمراء يقول: رأيت رسول الله صلى الله

---

(١) المصدر نفسه: ج٩ ص١٦٧.

(٢) **تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر: ج٤ ص٢٩٠؛ **تفسير ابن كثير**: ج٣ ص٤٩٢؛ **التاريخ**، البخاري: ج٩ ص٢٥ ـ ٢٦؛ ؛ **فتح القدير**، الشوكاني: ج٤ ٢٨٠؛ **شواهد التنزيل**، الحسكاني: ج٢ ص٧٤ـ٧٥.

(٣) المصدر نفسه.

عليه وسلم يأتي باب عليّ وفاطمة ستّة أشهر، فيقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[(١)].

• وعن أنس بن مالك، قال: «إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يمرّ بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول: **الصلاة يا أهل البيت** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»، ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه»[(٢)].

تأييد القرطبي: «وقراءة النبيّ صلّى الله عليه وآله هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دليل على أنّ أهل البيت المعنيين في الآية هم المغطّون بذلك المرط في ذلك الوقت»[(٣)].

الواحدي: «إنّ آية التطهير نزلت في خمسة: النبيّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين»[(٤)].

ابن تيمية: «أفضل أهل بيته علي وفاطمة وحسن وحسين الذين أدار عليهم الكساء وخصّهم بالدعاء»[(٥)].

وبهذا يتّضح أنّ أهل البيت عليهم السلام يعلمون الكتاب.

---

(١) **المعجم الكبير**: ج٢٢ ص٢٠٠.

(٢) **مسند أحمد**: ج٣ ص٢٥٩ ص٢٨٥؛ **المستدرك للحاكم**: ج٣ص١٧٢

(٣) **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، القرطبي: ج٦ ص٣٠٢.

(٤) **أسباب النزول**، الواحدي: ص٢٣٩.

(٥) **الفتاوى الكبرى**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦: ج٥ ص٣٣١.

الدليل الثاني: حديث الثقلين

وهو قول رسول الله صلّى الله عليه وآله «**إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض. ثم قال: إنّ الله مولاي وأنا ولي كلّ مؤمن. ثمّ** أخذ بيد علي فقال: **من كنت وليّه فهذا وليّه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.** فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما كان في الدوحات رجل إلاّ رآه بعينه وسمع بأذنه»[(١)].

ومن المعلوم أنّ حديث الثقلين روي متواتراً من طرق الفريقين، ونقله كبار الصحابة والتابعين، وقد أخرجه أرباب الصحاح والسنن والمسانيد والتفاسير والسير وغيرها.

فقد أخرجه مسلم في صحيحه[(٢)] والترمذي في سننه[(٣)] وصحّحه الألباني في الجامع الصغير وأحمد في مسنده[(٤)] وعلق عليه الهيثمي بقوله «إسناده جيد»[(٥)].

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير[(٦)] وعلّق عليه الهيثمي بقوله: «رواه

---

(١) **سنن النسائي الكبرى**، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١، ١٩٩١.

(٢) **صحيح مسلم**: ج٤ ص١٨٧٣.

(٣) **سنن الترمذي**: ج٥ ص٦٦٢.

(٤) **مسند أحمد**: ج٣ ص١٤.

(٥) **مجمع الزوائد**: ج٩ ص٢٥٦.

(٦) **المعجم الكبير**: ج٥ ص١٧٠.

الطبراني بإسنادين... أحدهما ورجال الصحيح»[1] وأخرجه أيضاً: النسائي في سننه[2] وأخرجه الحاكم النيسابوري في مستدركه وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله»[3] ورواه ابن كثير في البداية والنهاية معلّقاً عليه بقوله: «قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حيث صحيح»[4]. وغير ذلك من المصادر.

قال ابن حجر: «ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً»[5].

وفي موضع آخر قال: «ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه، وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنّه قال ذلك بغدير خم، وفي أخرى أنّه قال ذلك لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف».

ثم قال: «ولا تنافي إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة»[6].

وقال السمهودي: «في الباب عن زيادة على عشرين من الصحابة

---

(١) **مجمع الزوائد**: ج١٠ ص٦٥٨.
(٢) **السنن الكبرى**: ج٥ ص٤٥.
(٣) **المستدرك**: ج٣ ص١١٨.
(٤) **البداية والنهاية**: ج٥ ص٢٠٩.
(٥) **الصواعق المحرقة**، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ: ج٢ ص٤٤٠.
(٦) المصدر نفسه: ج٢ ص٤٤١.

رضوان الله عليهم»[(١)(٢)].

تقريب الاستدلال: بناء على ما تقدّم في مطاوي البحث في مراتب القرآن الكريم، وبانت حدوده، واتّضحت معالمه، وتبيّن أنّ القرآن الكريم الذي بين أيدينا، هو الذي نزل على قلب المصطفى صلّى الله عليه وآله وأنّه آية وعلامة للكتاب المبين، وأنّه يضم بين دفّتيه علم ما يكون وما كان، وأنّه تبيان لكلّ شيء، ولا يعزب عن علمه شيء، ولا سبيل للبطلان إليه، فمن جميع هذه المقدّمات نقول:

لو لم يكن لدى أهل البيت عليهم السلام علم الكتاب، للزم أحد احتمالين:

الاحتمال الأول: أن يكون إخباره صلّى الله عليه وآله بأنّهما لن يفترقا، إخباراً مخالفاً للواقع، إمّا عمداً أو سهواً أو اشتباهاً ـ والعياذ بالله ـ.

الاحتمال الثاني: أن يكون نفس القرآن الذي أخبر عن نفسه بأنّ فيه تبيان كلّ شيء وأنّه حق محض، أن يكون هذا الإخبار مخالفاً للواقع أيضاً، إمّا كذباً أو اشتباهاً. وكلا الاحتمالين باطل.

أمّا الاحتمال الأول: وهو أنّ إخبار الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله خلاف الواقع، فهو باطل عقلاً ونقلاً.

أمّا بطلانه عقلاً: فلأنّه لو لم يكن الرسول صلّى الله عليه وآله معصوماً ـ ولو في مجال التبليغ على الأقلّ ـ للزم نقض الغرض، مضافاً إلى أنّ إجماع الساحة

---

(١) **جواهر العقدين**، السمهودي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥: ص٢٣٤.

(٢) وقد تناول العلاّمة السيد كمال الحيدري الكلام حول حديث الثقلين بشكل مفصل في بحث علم الإمام فراجع.

الفكرية لجميع المسلمين على عصمة النبيّ صلّى الله عليه وآله في مقام التبليغ، وحديث الثقلين إنّما صدر في مقام التبليغ، كما هو واضح من قوله صلّى الله عليه وآله للمسلمين «**ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً**» بمعنى إبلاغ المسلمين وإخبارهم بوجوب الإرجاع إلى الكتاب والعترة.

ولقائل أن يقول: ـ كما ذهب إليه بعض علماء جمهور السنّة ـ بإمكان الاشتباه والغفلة والسهو للنبيّ في مقام التبليغ.

والجواب: نقول إنّ هذا الاحتمال ـ لو سلّمنا به جدلاً ـ فهو غير وارد في المقام إذ إنّ نصوص حديث الثقلين لم تكن في واقعة واحدة حتى يقال إمكان الاشتباه والغفلة فيها، بل نقله الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في وقائع متعدّدة قد تصل إلى عشرات المرّات ـ كما تقدّم ـ وهذا أمر بنفسه يعدّ خير شاهد على عدم ورود مثال هذا الإشكال.

أما بطلانه نقلاً: فهو ما صرّحت به جملة من النصوص القرآنية كقوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾[1].

أمّا الاحتمال الآخر القائل بحصول الاشتباه في إخبار القرآن نفسه، فهو احتمال باطل عقلاً ونقلاً.

أمّا عقلاً فلأنه يلزم الكذب والاشتباه على الله تعالى ـ والعياذ بالله ـ إذ إنّ القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى الذي أنزله على رسوله صلّى الله عليه وآله، فالله تعالى منزّه عن الكذب والاشتباه ومن كلّ نقض كما هو ثابت في محلّه.

أمّا نقلاً فإنّ القرآن الكريم قد أخبر عن نفسه بأنه لا يأتيه الباطل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا** ﴾، وغيرها من النصوص القرآنية

(١) النجم: ٣-٤.

التي عرضت هذا المعنى وأشبعته إشباعا رائعاً.

والنتيجة التي ننتهي إليها بمقتضى إخبار النبيّ صلّى الله عليه وآله في حديث الثقلين بأنّ أهل البيت عليهم السلام لن يفترقا عن الكتاب وأنّهم عليهم السلام عدل القرآن الكريم، ومما يعضد ذلك ما ورد في بعض ألفاظ الحديث «**وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا ولا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإني قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[1].

قال القارئ في المرقاة: «الأظهر هو أنّ أهل البيت عليهم السلام غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم المطّلعون على سيرته الواقفون على طريقته العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا عدلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾»[2].

وعلى هذا الأساس يتحتّم امتلاك أهل البيت عليهم السلام لعلم الكتاب الذي فيه علم كلّ شيء، كما تقدّم.

التأييد الروائي

هنالك عشرات بل مئات الروايات ذات مضامين متعدّدة، جميعها تؤكّد علم أهل البيت عليهم السلام بالكتاب، منها:

---

(١) **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣: ج٣ ص٦٦.

(٢) عن جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (ت: ١٣٨٣ هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩ هـ: ج١، ص٤٧. وكذلك: **امتاع الأسماع للمقريزي** (ت: ٨٤٥ هـ)، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٩٩٩ م: ج٦، ص١٧.

١ــ عن عبد الأعلى بن أعين قال سمعت أبا عبد الله الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**قد ولدني رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنّة وخبر النار وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، أعلم ذلك كأنّما أنظر إلى كفّي. إنّ الله يقول: فيه تبيان كلّ شيء**»[(١)].

ومن المعلوم أنّ تعبير الإمام عليه السلام «اعلم ذلك كأنّما انظر إلى كفّى» للدلالة على إحاطتهم عليهم السلام بكلّ علوم القرآن.

٢ـ عن يعقوب بن جعفر قال: «كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكّة فقال له رجل: إنّك لتفسّر من كتاب الله ما لم تسمع به؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: **علينا نزل قبل الناس، ولنا فسِّر قبل أن يفسَّر في الناس، فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه وسفريّه وحضريّه وفى أيّ ليلة نزلت كم من آية؟ وفي من نزلت وفي ما نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه وشهداؤه على خلقه، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ فالشهادة لنا والمسألة للمشهود عليه. فهذا علم ما قد أنهيته إليك وأدّيته إليك ما لزمني. فإن قبلت فاشكر، وإن تركت فإنّ الله على كلّ شيء شهيد**»[(٢)].

٣ـ عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت له قول الله ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قال: **إيّانا عنى**»[(٣)]. وفي رواية أخرى: **هم الأئمة خاصّة**[(٤)].

---

(١) **بصائر الدرجات**: ص٢١٧.

(٢) نفس المصدر: ص٢١٧.

(٣) نفس المصدر: ص٢٢٢.

(٤) نفس المصدر: ص٢٢٢.

٤ـ عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قرأ هذه الآية ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ ثم قال: **يا أبا محمد والله ما قال بين دفّتي المصحف**. قلت: من هم جُعلت فداك؟ قال: **من عسى أن يكونوا غيرنا؟**»[1].

٥ـ عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**والله إني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان، وخبر ما هو كائن، قال الله عزّ وجلّ: فيه تبيان كلّ شيء**»[2].

وغير ذلك من الروايات التي تكشف بوضوح أنّ أهل البيت عليهم السلام يعلمون كلّ ما في القرآن من علوم. وقد تقدم أن القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين.

النتيجة: ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت (عليهم السلام) لعلمهم بما في الكتاب المبين، لما تقدم في الفصل الثالث أن من علم بما في الكتاب المبين تثبت له الولاية التكوينية.

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج١ ص٢١٣.

(٢) المصدر نفسه: ج١ ص٢٢٩.

الطريق الثاني:

أفضلية أهل البيت على جميع الأنبياء السابقين

يمكن إثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام من خلال إثبات أفضليتهم على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين ـ ماعدا نبيّنا صلّى الله عليه وآله ـ .

وحاصل الاستدلال: بناء على ما تقدّم سابقاً من تمتّع الأنبياء السابقين بالولاية التكوينية والقدرة على التصرّف في التكوين؛ من قبيل إحياء الموتى وخلق الطير ونحوها من الموارد المتقدّمة الثابتة لهم، تثبت الولاية التكوينية لأهل البيت بالأولوية القطعية؛ لأفضليتهم عليهم السلام على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين، إذ من غير العقول أن يثبت للمفضول من الكمالات ما ليس للفاضل ومن الواضح أنّ القدرة على التصرّف في التكوين من الكمالات. وإليك الأدلّة على أعلمية أهل البيت من خلال عدّة مقدّمات.

الدليل الأول: أعلمية أهل البيت على جميع الأنبياء السابقين

المقدّمة الأولى: علم أهل البيت بالكتاب المبين.

وقد تقدّم الحديث عن هذه المقدّمة مفصّلاً في البحث السابق وتبين أنّ أهل البيت عليهم السلام يعلمون جميع ما في الكتاب المبين.

المقدّمة الثانية: القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين.

وهذه المقدّمة تقدّم الكلام عنها آنفاً.

المقدّمة الثالثة: هيمنة القرآن الكريم على جميع كتب الأنبياء السابقين.

تقدّم أنّ القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين، بخلاف كتب الأنبياء السابقين التي تتميّز بحكاياتها وعلاميّتها لبعض الكتاب المبين لا جميعه، على هذا الأساس يتّضح أنّ القرآن الكريم مهيمن على جميع الكتب السماوية السابقة. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[1].

ومحلّ الشاهد في هذه الآية الشريفة كلمة (مهيمناً)، التي تطلق على الشيء الذي يحفظ ويرتّب ويؤتمن على شيء آخر، لذا قال الخليل الفراهيدي: الرجل يهيمن إذا كان رقيباً علي الشيء وشاهداً عليه وحافظاً.

وقال الطباطبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: «هيمنة الشيء على الشيء ـ على ما يتحصّل من معناها ـ كون الشيء ذا سلطة على الشيء في حفظه ومراقبته وأنواع التصرّف فيه، وهذا حال القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنه تبيان كلّ شيء بالنسبة إلى ما بين يديه من الكتب السماوية: يحفظ منها الأصول الثابتة غير المتغيّرة وينسخ منها ما ينبغي أن ينسخ من الفروع التي يمكن أن يتطرّق إليها التغيّر والتبدّل حتى يناسب حال الإنسان بحسب سلوكه صراط الترقّي والتكامل بمرور الزمان؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ وقال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ

(١) المائدة: ٤٨.

أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾»[١].

والدليل على كون القرآن مهيمناً على جميع الشرائع والكتب السماوية السابقة قوله تعالى: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[٢]؛ لذا في الرواية عن سعد الإسكاف قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأُعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضّلت بالمفصّل ثمانٍ وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب، والتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور كذلك؛ قال تعالى:** ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ ﴾»[٣].

وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «**وإن الله عزّ وجلّ جعل كتابي المهيمن على كتبهم، الناسخ لهم، ولقد جئت بتحليل ما حرّموا، وبتحريم بعض ما حلّلوا**»[٤].

ويؤيّده ما ورد عن علي بن عيسى رفعه قال: «إنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: **يا موسى لا يطول في الدنيا أملك فيقسو لذلك قلبك... أوصيك يا موسى وصيّة الشفيق المشفق بابن البتول عيسى ابن مريم صاحب الأتان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب، ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيّب الطاهر المطهّر، فمثله في كتابك أنّه مؤمن مهيمن على الكتب كلّها وأنّه راكع ساجد، راغب، راهب، إخوانه المساكين وأنصاره قوم**

---

(١) **الميزان في تفسير القرآن**، مصدر سابق: ج٥ ص٣٤٨.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) **الكافي**، مصدر سابق: ج٢ ص٦٠؛ **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج١٦ ص٣٢٧.

(٤) **نور الثقلين**، الحويزي: ج١ ص٦٣٨.

آخرون، ويكون في زمانه أزل وزلزال وقتل، وقلّة من المال»[١].

النتيجة المتمخّضة من المقدّمات الثلاث (علم أهل البيت بالكتاب المبين، وأنّ القرآن الكريم آية وعلامة للكتاب المبين، وهيمنة القرآن الكريم على جميع الكتب السماوية السابقة) تبيّن أفضلية أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين، وحيث إنّ الدرجة العلمية لكلّ كتاب تمثّل المرتبة العلمية لنبيّ ذلك الكتاب، وأنّ أهل البيت عليهم السلام انطووا على علم كلّ ما في القرآن الكريم المهيمن على جميع الكتب السماوية السابقة، فهذا بدوره يدلّ ويكشف عن أعلميتهم، ومن ثمّ أفضليتهم على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين؛ لأنّ الأعلمية من أبرز مصاديق الأفضلية.

الدليل الثاني: الروايات الدالّة على أفضلية أهل البيت

هنالك حشد وافر من الروايات الدالّة أفضلية أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء السابقين، منها:

• عن عبد الله بن الوليد قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «**أيّ شيء يقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير المؤمنين عليه السلام**؟ قلت: يقولون: إنّ عيسى وموسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: **أيزعمون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد علم ما علم رسول الله**؟ قلت: نعم ولكن لا يقدّمون على أولي العزم من الرسل أحداً. قال أبو عبد الله عليه السلام: **فخاصِمْهم بكتاب الله**. قلت: وفي أيّ موضع منه أُخاصمهم؟ قال: **قال الله تعالى لموسى** ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فعلمنا أنه لم يكتب لموسى كلّ

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج٨ ص٤٣.

شيء. وقال الله تبارك وتعالى لعيسى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ﴾ وقال الله تعالى لمحمد صلّى الله عليه وآله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾»[1].

• عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ الله خلق أولى العزم من الرسل بالعلم وورّثنا علمهم، وفضَّلنا عليهم في علمِهم، وعلِمَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ما لم يعلموا، وعُلِّمنا علمَ الرسول وعلمَهم، وأمناءُ شيعتنا أفضلُ منهم. أينما كنّا فشيعتنا معنا**»[2].

• عن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **ما من نبيّ نبّئ ولا من رسول أُرسل إلاّ بولايتنا وبفضلنا عمّن سوانا**»[3].

• عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي**. قال علي عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرائيل؟ فقال صلى الله عليه وآله: **يا عليّ إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمة من بعدك**»[4].

وغير ذلك من الروايات التي لا يسع المقام لاستقصائها، وقد تقدّمت

(١) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٤.

(٤) **عيون أخبار الرضا** عليه السلام، الشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٢٣٧.

بعض الروايات الدالّة على أفضليّتهم عليهم السلام من قبيل الروايات الدالّة على أعلميّتهم على جميع الأنبياء السابقين أو الروايات الدالّة على تنزيلهم منزلة رسول الله صلّى الله عليه وآله والروايات الدالّة على توقف نبوّة الأنبياء السابقين على الإقرار بولايتهم عليهم السلام، منها:

• عن حذيفة بن أسيد الغفار قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **ما تكاملت النبوّة لنبيّ في الأظلّة حتى عُرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي، ومثلوا له فأقرّوا بطاعتهم وولايتهم**»[١].

• عن زرارة عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان فأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً فقال لأصحاب اليمين وهم فيهم كالذر يدبّون إلى الجنّة بسلام، وقال لأصحاب الشمال يدبّون إلى النار ولا أبالي. ثم قال:** ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ قال: ثمّ أخذ الميثاق على النبيّين فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ثم قال: **وإنّ هذا محمد رسول الله وإنّ هذا عليّ أمير المؤمنين. قالوا: بلى. فثبتت لهم النبوّة، وأخذ الميثاق على أولي العزم؛ ألا إنّي ربّكم ومحمد رسولي وعليّ أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري وخزّان علمي وإنّ المهديّ أنتصر به لديني وأُظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي وأُعبَد به طوعاً وكرهاً. قالوا: أقررنا وشهدنا يا ربّ. ولم يجحد آدم ولم يقرّ، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهديّ، ولم يكن لآدم عزم على الإقرار به**»[٢].

---

(١) المصدر السابق: ص ٩٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٠.

عن عبد الأعلى قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: **ما نبئ نبيّ قط إلاّ بمعرفة حقّنا وبفضلنا عمّن سوانا**»[١].

ومن جميع هذه الأدلّة يتّضح أفضلية أهل البيت عليهم السلام على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين، وحيث إنّ الولاية التكوينية ثابتة للأنبياء والمرسلين السابقين كما تقدّم ـ فتدلّ على ثبوتها لأهل البيت عليهم السلام بالأولوية، إذ ليس من المعقول أن يثبت كمال من الكمالات للمفضول ولا يثبت للفاضل، و لا ريب في كون الولاية التكوينية من الكمالات.

(١) المصدر السابق: ص ٩٤.

الطريق الثالث:

الأسماء الحسنى والاسم الأعظم عند أهل البيت

تقدّم في ما سبق أنّ من ملك الاسم الأعظم يستطيع أن يتصرّف في التكوين، وقد دلّت جملة وافرة من الروايات على أنّ عند أهل البيت الاسم الأعظم، والروايات بهذا المضمون متضافرة لا مجال لاستقصائها جميعاً، ومنها:

١ ـ عن الإمام الباقر والإمام الهادي عليهما السلام: «**إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم**»[1].

٢ ـ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنّ الله تعالى جمع ذلك كلّه لمحمد صلّى الله عليه وآله، وإنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أُعطي محمد اثنين وسبعين حرفاً، وحُجب عنه**

---

(١) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص٢٢٨.

حرف واحد»[(١)].

٣ ـ عن ابن عبّاس: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ من وراء قاف عالم لا يصل إليه أحد غيري، وأنا المحيط بما وراءه، والعلم به كعلمي بدنياكم هذه، وأنا الحفيظ الشهيد عليها، ولو أردت أن أجوب الدنيا بأسرها والسماوات السبع كالأرضين في أقلّ من طرفة عين لفعلت، لما عندي من الاسم الأعظم**»[(٢)].

وغير ذلك من الروايات الدالّة على امتلاك أهل البيت عليهم السلام للاسم الأعظم.

وبهذا يتّضح أنّ أهل البيت عليهم السلام لديهم القدرة على التصرّف في التكوين لثبوت الملازمة بين معرفة الاسم الأعظم والقدرة على التصرّف في التكوين، كما أشارت إلى ذلك الروايات المتقدّمة إلى قدرتهم على الإحياء والإماتة وطي الأرض والعروج إلى السماء وخرق السماء والأرض، وإطاعة كلّ شيء حتى السماء والجنّة والبحار والشمس والنجوم والشجر والدوابّ، وإبراء الأكمه والأبرص.

بل يستفاد من وجود الاسم الأعظم عند أهل البيت عليهم السلام أنّ قدرتهم على التصرّف في التكوين يفوق قدرة الأنبياء السابقين لحصولهم على اثنين وسبعين حرفاً من حروف الاسم الأعظم، وهذا لم يحصل عليه أيّ من الأنبياء السابقين، فإنّه كان عندهم بعض أحرف الاسم الأعظم، وكانوا يحيون الموتى ويتصرّفون بالأمور التكوينية، فكيف بهم وهم عندهم اثنان وسبعون حرفاً من حروف الاسم الأعظم، فهذا يدلّ على قدرتهم على

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج١ص٢٣٠.

(٢) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٢٧ص٣٨.

التصرّف بما هو أعظم وأكبر وأصعب من إحياء الموتى.

روايات أخرى دالّة على أنّهم الأسماء الحسنى

ومما يؤيّد ذلك ما دلّ من الروايات على أنّهم الأسماء الحسنى. وإليك طائفة منها:

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾. قال: «**نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا**»[١].

٢ ـ **نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد إلاّ بمعرفتنا.** قال عليه السلام: **فادعوه بها** »[٢].

٣ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إني لأعرف بطرق السماوات من طرق الأرض، نحن الاسم المخزون المكنون ونحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عزّ وجلّ بها أجاب، نحن الأسماء المكتوبة على العرش ولأجلنا خلق الله عزّ وجلّ السماء والأرض والعرش والكرسي، والجنّة والنار، ومنّا تعلّمت الملائكة التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير، ونحن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه**»[٣].

٤ـ عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «**إذا نزلت بكم شديدة فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ وهو قوله** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾»[٤].

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج١ص١٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ص١٣٣.

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٢٧ص٣٨.

(٤) المصدر نفسه: ج ٩١ص٥.

الطريق الرابع:

الروايات المصرّحة بتصرف أهل البيت في التكوين

هـنالك عـدد وافر من الروايات الواردة عنهم علـيهم السلام دالّة بوضوح عـلى أنّهم عليهم السلام قد تصرّفوا في التكوين بشكل خارق للعادة، وهي على طوائف:

الطائفة الأولى: قيامهم عليهم السلام بإحياء الموتى

١ ـ عن ... عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال:

«قلـت لـه: جُعلـت فـداك أخـبرني عـن النبـيّ صلّى الله عليه وآله ورث من النبيّين كلّهم؟

قال لي: **نعم**.

قلت: من لدن آدم إلى أن انتهيت إلى نفسه؟

قال: **ما بعث الله نبيّاً إلاّ وكان محمد صلّى الله عليه وآله أعلم منه**.

قلت: إنّ عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله؟

قال: **صدقت**.

قلـت: وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، هل كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل؟

قال: إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره فقال: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ وغضب عليه فقال ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[1] وإنّما غضب عليه لأنّه كان يدلّه على الماء، فهذا وهو طير فقد أُعطي ما لم يُعطَ سليمان، وقد كانت الريح والنمل والجنّ والإنس والشياطين والمردة له طائعين ولم يكن له من يعرف الماء تحت الهواء، فكان الطير يعرفه. إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[2] وقد ورثنا هذا القرآن ففيه ما يقطع به الجبال ويقطع المداين به ويحيى به الموتى»[3].

٢ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل قال:

«أنا أحيي وأميت بإذن ربّي، أنا أنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم بإذن ربّي، وأنا عالم بضمائر قلوبكم والأئمّة من أولادي (عليهم السلام) يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبّوا وأرادوا لأنّا كلّنا واحد، أوّلنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلّنا محمد، فلا تفرّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويل كلّ الويل لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربّنا؛ لأنّ من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزّ وجلّ ومشيّته فينا»[4].

٣ ـ عن أبي بصير قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وقلت له: أنتم ورثة رسول الله صلّى الله عليه وآله؟

---

(١) النمل: ١٩-٢٠.

(٢) الرعد: ٣١.

(٣) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٦٧.

(٤) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٢٦ ص٦.

قال: **نعم**.

قلت: فرسول الله وارث الأنبياء علم كلّما علموا؟

فقال لي: **نعم**.

فقلت: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟
فقال لي: **نعم بإذن الله**.

ثم قال: **ادنُ مني يا أبا محمد**.

فمسح يده على عيني ووجهي وأبصرتُ الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلّ شيء في الدار.

قال: **أتحبّ أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة، أو تعود كما كنت ولك الجنّة خالصاً؟**

قلت: أعود كما كنت.

قال: فمسح على عيني فعدت كما كنت.

قال عليّ: فحدّثت به ابن أبي عمير فقال: أشهد أن هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ»[(١)].

٤ ـ عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنّ الله تعالى أوحى إلى عمران أني واهب لك ذَكراً سويّاً، مباركاً، يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل، فحدّث عمران امرأته حنة بذلك وهي أمّ مريم، فلمّا حملت كان حملها بها عند نفسها غلام، ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ أي لا يكون البنت رسولاً**.

---

(١) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٢٨٩.

يقـول الله عزّ وجلّ ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾، فلما وهب الله تعالى لمريم عيسى كـان هـو الـذي بـشّر به عمران ووعده إيّاه، فإذا قلنا في الرجل منّا شيئاً وكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك»[١].

٥ ـ عـن حمّـاد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ من الناس من يـؤمن بـالكلام، ومنهم من لا يؤمن إلاّ بالنظر. إنّ رجلا أتى النبيّ صلّى الله عليه وآلـه فقـال لـه: أرني آية. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لشجرتين: اجتمعا. فاجتمعـتا، ثـم قـال: تفـرّقا. فافترقا ورجعت كلّ واحدة منهما إلى مكانها. فآمن الرجل»[٢].

٦ ـ حمـاد بـن عـثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله في مكان ومعه رجل من أصحابه وأراد قضاء حاجة فقال: ائت الخشبتين ـ يعنى النخلتين ـ فقل لهما: اجتمعا بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله. فقال لهما: اجـتمعا بأمـر رسـول الله. فاجـتمعا فاسـتتر بهما النبيّ صلّى الله عليه وآله فقضى حاجته ثم قام. فجاء الرجل فلم ير شيئاً»[٣].

وهـذه الأحاديـث المـتقدّمة صريحـة في قـدرتهم عـلى إحياء الموتى وهو معنى الولاية التكوينية.

الطائفة الثانية: قدرة أهل البيت على تسخير الريح والسحاب

وهي روايات متضافرة منها:

---

(١) **الكافي**، مصدر سابق: ج ١، ص ٥٣٥.

(٢) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٢٧٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٧٦.

١ ـ عن عيسى بن هشام عن سليمان عن أبي عبد الله قال: «سأله رجل عن الإمام: **هل فوض الله إليه كما فوض إلى سليمان؟** فقال: نعم»[١].

٢ ـ عن أسود بن سعيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال ـ ابتداءً من غير أن أسأله ـ: «**نحن حجّة الله، ونحن باب الله، ونحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده.**

ثم قال: **إنّ بيننا وبين كلّ أرض تراً مثل تر البناء، فإذا أمرنا في الأرض بأمر أخذنا ذلك التر، فأقبلت إلينا الأرض بكلّيتها وأسواقها وكورها حتى ننفّذ فيها من أمر الله ما نؤمر به، وإنّ الريح كما كانت مسخّرة لسليمان فقد سخّرها الله لمحمد وآله**»[٢].

٣ ـ عن يزدان بن إبراهيم عمّن حدّثه من أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: قال أمير المؤمنين: **والله لقد أعطاني الله تبارك وتعالى تسعة أشياء لم يعطها أحد قبلي خلا محمداً صلّى الله عليه وآله: لقد فتحتْ لي السبل وعُلّمت الأنساب وأُجري لي السحاب وعُلّمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب، ولقد نظرت في الملكوت بإذن ربّي فما غاب عنى ما كان قبل، ولا فاتني ما يكون من بعدي، وإنّ بولايتي أكمل الله لهذه الأمّة دينهم، وأتمّ عليهم النعم ورضي لهم الإسلام إذ يقول يوم الولاية لمحمد صلّى الله عليه وآله: يا محمد أخبرهم أنّي اليوم أكملت لهم دينهم وأتممت عليهم نعمتي ورضيت لهم الإسلام ديناً، وكلّ ذلك منّاً من الله منَّ به عليَّ فله الحمد**»[٣].

---

(١) **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي: ج ١، ص ٢٨٧، ٨٨٢.

(٢) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٢٨٩.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٢١.

الطائفة الثالثة: تسخير أهل البيت للجن والإنس والملائكة

تـوجد جملة من الروايات تدلّ بوضوح أنّ أهل البيت عليهم السلام لديهم القـدرة عـلى تـسخير الجنّ والإنس والملائكة والطيور والدوابّ، ومن هذه الروايات:

١ ـ عـن سـليمان عن أبي عبد الله قال: «سأله رجل عن **الإمام هل فوّض الله إلـيه كـما فـوّض إلى سـليمان؟** فقـال: نعم»[1] أي فوّض إليه تسخير الطير ونحوه مما فوّض لسليمان عليه السلام.

٢ ـ عـن زرارة عـن أبي عـبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام لابـن عـبّاس: **إنّ الله علّمنا منطق الطير كما علّمه سليمان بن داود ومنطق كلّ دابّة في بر أو بحرّ**»[2].

٣ ـ عـن بكّـار بن أبي بكر عن موسى بن أشيم قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فـسأله رجـل عن آية من كتاب الله، فأخبره بها، ثم دخل عليه رجـل فـسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبره، فدخلني من ذلك ما شـاء الله حتـى كاد قلبي يشرح بالسكاكين. فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ بالواو وشبهها وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كلّه.

ودخـل عليه آخر فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي وعلمت أنّ ذلك عن تعمّد.

قـال: ثم التفتَ إليّ فقال: **يا بن أشيم إنّ الله فوّض إلى سليمان بن داود عليه الـسلام فقال: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وفوّض إلى نبيّه صلّى الله**

(١) المصدر السابق: ص ٣٨١.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٦٣.

عليه وآله فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ فما فوّض إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقد فوّضه إلينا»[1].

٤ ـ عن الحسن بن برّة الأصم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: إنّ الملائكة لتتنزّل علينا في رحالنا وتتقلّب على فرشنا وتحضر موائدنا وتأتينا في كلّ نبات في زمانه رطب ويابس وتقلب علينا أجنحتها وتقلّب أجنحتها على صبياننا، وتمنع الدوابّ أن تصل إلينا وتأتينا في وقت كلّ صلاة لتصلّيها معنا، وما من يوم يأتي علينا ولا ليل إلاّ وأخبار الأرض عندنا وما يحدث فيها، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إلاّ وتأتينا بخبره وكيف كان سيرته في الدنيا»[2].

الطائفة الربعة: طاعة الأرض والجبال لأهل البيت عليهم السلام

١ ـ عن سماعة بن مهران قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الدنيا تمثّل للإمام في فلقة الجوز فما تعرّض لشيء منها وأنّه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء فلا يعزب عنه منها شيء»[3].

٢ـ عن الأسود بن سعيد قال: «قال لي أبو جعفر: يا أسود بن سعيد، إنّ بيننا وبين كلّ أرض تراً مثل تر البناء، فإذا أمرنا في الأرض بأمر جذبنا ذلك التر فأقبلت الأرض بقليبها وأسواقها ودورها حتى تنفّذ فيها ما نؤمر من أمر الله تعالى»[4].

---

(١) المصدر السابق: ص ٤٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٣.

(٣) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٤٢٨.

(٤) المصدر نفسه: ص ٤٢٧.

٣ ـ عن الحسن بن عطية قال: «كان أبو عبد الله عليه السلام واقفاً على الصفا، فقال له عباد البصري: حديث يروى عنك. قال: وما هو؟ قال: قلت: **حرمة المؤمن أعظم من حرمة هذه البنيّة؟**

قال: **قد قلت ذلك، إنّ المؤمن لو قال لهذه الجبال أقبلي أقبلت.**

قال: فنظرتُ إلى الجبال قد أقبلت، فقال لها: **على رسلك إنّي لم أردك**»[١].

٤ ـ كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى سهل بن حنيف رحمه الله: «**والله ما قلعت باب خيبر ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوّة جسدية، ولا حركة غذائية، لكني أُيّدت بقوّة ملكوتية، ونفس بنور ربّها مضيّة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت، ولو أمكنتني الفرصة من رقابها لما بقيت، ومن لم يبال متى حتفه عليه ساقط فجنانه في الملمّات رابط**»[٢].

٥ ـ عن أحمد بن محمد السيّاري قال: «حدّثني غير واحد من أصحابنا قال خرج عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه قال: **إن الله جعل قلوب الأئمّة مورداً لإرادته، فإذا شاء الله شاءوا، وهو قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾**»[٣].

الطائفة الخامسة: أنّهم وسائط الفيض الإلهي

١ ـ عن محمد بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**نحن جنب الله، ونحن صفوة الله، ونحن خيرة الله، ونحن مستودع مواريث الأنبياء، ونحن أمناء**

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٤٧ ص ٨٩.

(٢) **الأمالي**، الشيخ الصدوق: ص ٦٠٤، ٦٠٥.

(٣) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٥٣٧.

الله، ونحن وجه الله، ونحن آية الهدى، ونحن العروة الوثقى، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ونحن الأوّلون ونحن الآخرون، ونحن أخيار الدهر ونواميس العصر، ونحن سادة العباد وساسة البلاد، ونحن النهج القويم والصراط المستقيم، ونحن علّة الوجود وحجّة المعبود، لا يقبل الله عمل عامل جهل حقّنا»[١].

٢ ـ عن محمد بن مسلم قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ لله عزّ وجلّ خلقاً خلقهم من نوره ورحمته؛ من رحمته لرحمته، فهم عين الله الناظرة، وأذنه السامعة ولسانه الناطق في خلقه بإذنه، وأمناؤه على ما أنزل من عذر أو نذر أو حجّة، فبهم يمحو السيّئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة، وبهم يحيي ميتاً، وبهم يميت حيّاً، وبهم يبتلي خلقه، وبهم يقضي في خلقه قضيته. قلت: جُعلت فداك من هؤلاء؟ قال: الأوصياء»[٢].

٣ ـ عن أبي بصير عن خيثمة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سمعته يقول: نحن جنب الله ونحن صفوته، ونحن خيرته ونحن مستودع مواريث الأنبياء ونحن أمناء الله، ونحن حجّة الله ونحن أركان الإيمان ونحن دعائم الإسلام ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمّة الهدى ونحن مصابيح الدجى ونحن منار الهدى ونحن السابقون ونحن الآخرون ونحن العلم المرفوع للخلق، من تمسّك بنا لحق، ومن تخلّف عنا غرق، ونحن قادة الغرّ المحجّلين، ونحن خيرة الله ونحن الطريق وصراط الله المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله على خلقه، ونحن المنهاج ونحن معدن النبوّة ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين إلينا مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن

---

(١) بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٢٦ص٢٥٩.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ص ١٦٧.

استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة إلى الجنّة ونحن عزّ الإسلام، ونحن الجسور القناطر، من مضى عليها سبق، ومن تخلّف عنها محق، ونحن السنام الأعظم، ونحن الذين بنا تنزل الرحمة، وبنا تُسقون الغيث، ونحن الذين بنا يُصرف عنكم العذاب. فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقّنا وأخذ بأمرنا، فهو منّا وإلينا»[(١)].

٤ ـ عن أبي الطفيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: **اكتب ما أملي عليك**. قال علي عليه السلام: يا نبيّ الله وتخاف عليّ النسيان؟ قال: **لست أخاف عليك النسيان وقد دعوتُ الله لك أن يحفظك فلا ينساك، لكن اكتب لشركائك.**

قال: قلت: ومن شركائي يا نبيّ الله؟

قال: **الأئمّة من ولدك بهم يُسقى أمّتي الغيث، وبهم يُستجاب دعاؤهم وبهم يُصرف البلاء عنهم، وبهم تنزل الرحمة من السماء، وهذا أوّلهم.**

وأومأ بيده إلى الحسن ثم أومأ بيده إلى الحسين ثم قال: **الأئمّة من ولدك**»[(٢)].

٥ ـ عن داود الرقي قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً، إنّ عيسى بن مريم كان من شرايعه السيح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى عليه السلام، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحّة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه: بسم**

---

(١) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه.

الله، بصحّة يقين منه، فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء، فما فضله عليّ؟

قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت، فتب إلى الله عزّ وجلّ مما قلت.

قال: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً»[1].

وعن أبي بصير قال: «قال أبو عبد الله: **إنّ الأوصياء لتطوى لهم الأرض ويعلمون ما عند أصحابهم»**[2].

ونحوها من الروايات المتضافرة بهذا المضمون الدالّة على أنّهم عليهم السلام وجه الله وعينه ويده وجنبه وأنّهم واسطة في الرزق وإنزال الرحمة وصرف العذاب.

دلالة كونهم واسطة الفيض على ولايتهم التكوينية

إن معنى كونهم عليهم السلام واسطة في الفيض هو أنّ كلّ عطاء الهيّ نازل من السماء لا يصل إلى الخلق إلاّ بتوسّطهم، فبهم يرزق الله العباد، ويحيي الموتى ويميت الإحياء، كلّ ذلك بإذن الله تعالى.

---

(١) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٤١٨.

(٢) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٤١٨.

خلاصة الفصل الرابع (في إثبات الولاية التكوينية لأهل البيت)

ذكرنا عدّة طرق لإثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام:

● **الطريق الأول**: علمهم عليه السلام بالكتاب المبين، وقد تقدّم أنّ العلم بالكتاب المبين منشأ القدرة على التصرّف في التكوين بنحو خارق للعادة.

ومن الأدلّة على علم أهل البيت عليهم السلام بالكتاب المبين:

الدليل الأوّل قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[1].

وقد ثبت أنّ المطهّرين هم أهل البيت عليه السلام كما نصّ على ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾[2].

الدليل الثاني: حديث الثقلين الذي يكشف بوضوح على أنّ علمهم عليه السلام علم الكتاب.

● **الطريق الثاني** لإثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام هو أفضليتهم على جميع الأنبياء السابقين عدا نبيّنا صلّى الله عليه وآله

وحيث ثبتت الولاية التكوينية للأنبياء السابقين كما تقدّم، فيدلّ على ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت عليه السلام بالأولية؛ لأفضليتهم عليهم السلام، وقد دلّت الروايات المتضافرة على أفضليتهم على الأنبياء السابقين عدا نبيّنا صلّى الله عليه وآله مضافاً إلى أنّ علمهم بالكتاب يدلّ بوضوح على أفضليتهم على الأنبياء السابقين عدا نبيّنا صلّى الله عليه وآله.

● **الطريق الثالث** لإثبات الولاية التكوينية لأهل البيت عليه السلام هو

---

(١) الواقعة: ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

امتلاكهم الاسم الأعظم، وقد تقدّم أنّ من ملك الاسم الأعظم تثبت له الولاية التكوينية.

أمّا الدليل على امتلاك أهل البيت على الاسم الأعظم فهو ما دلّت عليه الروايات المتضافرة.

• **الطريق الرابع** على ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت عليه السلام هو عشرات بل مئات الروايات الدالّة على تصرّفهم في التكوين بشكل خارق للعادة؛ من قبيل الروايات الدالّة على إحيائهم الموتى وتسخير الرياح والسحاب وتبديل الحقائق إلى غيرها كتحويل التراب إلى ذهب وجواهر، وتسخير الجن والإنس والملائكة عليهم السلام وأنّهم وسائط الفيض، ونحوها من الروايات الدالّة على ثبوت الولاية التكوينية لهم عليهم السلام.



الفصل الخامس

الولاية التكوينية لأهل البيت والغلو

قـد تطـرأ عـلى الذهن بعض التساؤلات حيال مسألة الولاية التكوينية لأهـل البـيت عليهم السلام وقدرتهم على التصرّف في التكوين، ومن جملة هذه التساؤلات: هل ثبوت الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام من الغلو؟

لكي يتّضح الجواب لابدّ من بيان معنى الغلو وماهي ضابطته.

المعنى اللغوي للغلو

قـال ابـن مـنظور: «الغلـو: مجـاوزة الحد، والخروج عن القصد» وهو: «الارتفاع ومجاوزة القدر في كلّ شيء»[١].

وقال الطريحي: «الغالي: تصلّب وتشدد حتى تجاوز الحدّ والمقدار»[٢].

وقـال الـراغب الأصـفهاني في المفردات: «الغلوّ تجاوز الحدّ، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء، وإذا كان في القدر والمنزلة غلوّ»[٣].

وفي المعجم الوسيط: «غلا غلوّاً وغلاءً: زاد وارتفع، وجاوز الحدّ، فهو غـالٍ، وغـلي فـلان في الأمـر والـدين: تـشدّد فيه وتجاوز الحدّ وأفرط، فهو غال»[٤].

---

(١) **لسان العرب**: ج٦ ص٣٢٩.

(٢) **مجمع البحرين**، فخر الدين الطريحي: ج٢ ص١٣٣٢، مادة غلا.

(٣) **المفردات في غريب القرآن**: ص٣٧٧.

(٤) **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى: ص٦٦٠. مادة غلا.

وقال ابن الأثير: «أصل الغلاء الارتفاع ومجاوزة القدرة في كلّ شيء»[(١)].

ومن جميع ما تقدّم يتّضح أنّ المعنى اللغوي للغلو، هو مجاوزة الحد للشيء، سواء كان في المعتقدات الدينية وغيرها.

تحديد مفهوم الغلو في الشريعة

لكي يتّضح مفهوم الغلوّ في الشريعة، ينبغي بيان موارد استعمال الغلوّ في القرآن الكريم والروايات الشريفة وكلمات الأعلام:

الغلوّ في القرآن

ورد الغلوّ في القرآن الكريم في موضعين:

١ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾[(٢)].

٢ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[(٣)].

والآيتان المباركتان في مقام نهي النصارى عن الغلو في عيسى عليه السلام، حيث رفعوه من درجة النبوّة واتخذوه إلهاً من دون الله، كما يحكي ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾[(٤)] إشارة إلى نظرية التثليث التي ادّعاها النصارى، وكذا في الآية التي بعدها حيث

---

(١) **النهاية**: ج٣ ص٣٨٢.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) المائدة: ٧٧.

(٤) النساء: ١٧١.

قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[1] .

ولم يكن الغلوّ مقتصراً على النصارى، بل كان موجوداً في اليهود أيضاً، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3] .

ومما تقدّم يظهر أنّ الغلوّ في القرآن استعمل في معنى مجاوزة الحد المفترض للمخلوق، والارتفاع به إلى مقام الألوهية.

ومما ينبغي التذكير به: أنّ الغلو الذي وقع موضوعاً لاتهام الشيعة، هو ما كان غلواً في العقيدة، أمّا ما كان من زياد الحدّ في الأحكام الالتزامية والتشديد في تطبيقها بصورة أكثر مما هو مطلوب فيها، فهو خارج عن هذا البحث إذ لم يقع نزاع واتهام في التشديد في أحكام الشريعة الالتزامية، وإنّما وقع البحث والاتهام للشيعة الإمامية هو الغلوّ العقائدي.

الغلوّ في كلمات أهل البيت عليهم السلام

ورد الغلوّ في كلمات أهل البيت عليهم السلام في عدد وافر من النصوص الروائية التي نهت وحذّرت من الغلوّ والمغالاة فيهم عليهم السلام والارتفاع

---

(١) النساء: ١٧٢.

(٢) التوبة: ٣٠.

(٣) آل عمران: ٦٤.

بهم إلى مقام الألوهية والربوبية، ومن هذه الروايات:

١ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إيّاكم والغلوّ فينا. قولوا إنّا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم**»[١].

٢ ـ قال المأمون للإمام الرضا عليه السلام: «يا أبا الحسن بلغني أنّ قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحدّ؟ فقال الرضا عليه السلام: حدّثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله تبارك تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبيّاً، قال الله تبارك وتعالى:** ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

قال علي عليه السلام: **يهلك فيّ اثنان ولا ذنب لي: محبّ مفرط، ومبغض مفرط، وأنا أبرأ إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدّنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى.**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ

---

(١) الخصال: ص ٦١٤.

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾»[1].

٣ ـ عن أمير المؤمنين في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال عليه السلام: «**أمر الله عزّ وجلّ عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم وهم النبيّون والصديقون والشهداء والصالحون، وأن يستعيذوا من طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ وأن يستعيذوا من طريق الضالّين، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وهم النصارى.**

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام: **كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل الله»**[2].

٤ ـ قال الرضا عليه السلام: «**من تجاوز بأمير المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالّين**».

فقام إليه رجل فقال له: يا بن رسول الله صف لنا ربّك، فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا.

فأخذ الإمام الرضا عليه السلام يصف ربّه بأنّه «**لا يدرَك بالحواسّ، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات بعيد بغير تشبيه، ومتدانٍ في بعده بلا نظير، لا**

(١) **عيون أخبار الرضا عليه السلام**: ج ١، ص ٢١٧.

(٢) **مناقب آل أبي طالب**، ابن شهر آشوب، تحقيق، تصحيح، شرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف: ج ١، ص ٤.

يُتوهَّم ديموميّته، ولا يمثَّل بخليقته، ولا يجور في قضيّته. الخلق إلى ما علم منهم منقادون، وعلى ما سطّره في المكنون من كتابه ماضون. لا يعملون بخلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون. فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقصٍّ، يحقّق ولا يمثّل...»[1].

فقال الرجل: بأبي أنت وأمّي يا بن رسول الله، فإنّ معي من ينتحل موالاتكم ويزعم أنّ هذه كلّها صفات علي عليه السلام، وأنّه هو الله ربّ العالمين.

قال: فلمّا سمعها الرضا عليه السلام ارتعدت فرائصه وتصبّب عرقاً، وقال: **سبحان الله سبحان الله عما يقول الظالمون، والكافرون. أوليس كان عليّاً عليه السلام آكلاً في الآكلين، و شارباً في الشاربين، وناكحاً في الناكحين، ومحدثاً في المحدثين؟ وكان مع ذلك مصليّاً خاشعاً خاضعاً بين يدي الله عزّ وجلّ ذليلاً وإليه أوّاهاً منيباً، أفمن كان هذه صفته يكون إلهاً؟! فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلاّ وهو إله؛ لمشاركته له في هذه الصفات الدالاّت على حدوث كلّ موصوف بها.**

ثم قال عليه السلام: حدّثني أبي، عن جدي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: **ما عرف الله تعالى من شبّهه بخلقه، ولا عدله من نسب إليه ذنوب عباده.**

فقال الرجل: يا بن رسول الله إنّهم يزعمون أنّ عليّاً عليه السلام لمّا أظهر من نفسه المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله تعالى، دلّ ذلك على أنّه إله، ولمّا ظهر لهم بصفات المحدثين العاجزين لبّس بذلك عليهم، وامتحنهم

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٢٥،ص٢٧٤.

ليعرفوه، وليكون إيمانهم به اختياراً من أنفسهم.

فقال الرضا عليه السلام: **أوّل ما هاهنا أنّهم لا ينفصلون ممن قلب هذا عليهم.**

فقال: لمّا ظهر منه الفقر والفاقة دلّ على أنّ من هذه صفاته وشاركه فيها الضعفاء المحتاجون، لا تكون المعجزات فعله، فعلم بهذا أنّ الذي ظهر منه من المعجزات إنّما كانت فعل القادر الذي لا يشبه المخلوقين، لا فعل المحدث المحتاج المشارك للضعفاء في صفات الضعف»[1].

٥ ـ عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: **يا إسماعيل ضع لي في المتوضّأ ماء.** قال: فقمت فوضعت له، فدخل. فقلت في نفسي: أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضّأ يتوضّأ.

قال: فلم يلبث أن خرج فقال: **يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم. اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا.**

فقال إسماعيل: وكنت أقول إنّه وأقول وأقول»[2].

٦ ـ عن زرارة قال: «دخلت على أبي جعفر عليه السلام فسألني: **ما عندك من أحاديث الشيعة؟** قلت: إنّ عندي منها شيئاً كثيراً قد هممت أن أوقد لها ناراً ثمّ أحرقها. قال: **ولم؟ هات ما أنكرت منها ... ما كان على الملائكة حيث قال: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ﴾**»[3].

وعلّق المجلسي على الرواية بقوله: «لعلّ زرارة كان ينكر أحاديث من

(١) **التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام**: ص ٥٠.

(٢) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٢٥٦.

(٣) المصدر نفسه.

فضائلهم لا يحتملها عقله فنبّهه عليه السلام بذكر قصّة الملائكة وإنكارهم فضل آدم عليهم وعدم بلوغهم إلى معرفة فضله.

على أنّ نفي هذه الأمور من قلّة المعرفة، ولا ينبغي أن يكذّب المرء بما لم يحط به علمه، بل لابدّ أن يكون في مقام التسليم، فمع قصور الملائكة مع علوّ شأنهم عن معرفة آدم لا يبعد عجزك عن معرفة الأئمّة عليهم السلام»(١).

٧ ـ عن كامل التمار قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم فقلت: **نجعل لكم ربّاً تؤوبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟**

قال: فاستوى جالساً ثم قال: **وعسى أن نقول ما خرج إليكم من علمنا إلاّ ألفاً غير معطوفة**»(٢).

قال العلاّمة المجلسي: «قوله عليه السلام: غير معطوفة، أي نصف حرف، كناية عن نهاية القلّة»(٣).

٨ ـ عن فضيل بن يسار، قال: «قال الصادق عليه السلام: **احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإنّ الغلاة شرّ خلق الله، يصغّرون عظمة الله، ويدّعون الربوبية لعباد الله، والله إنّ الغلاة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا.**

ثم قال عليه السلام: **إلينا يرجع الغالي فلا نقبله، وبنا يلحق المقصّر فنقبله.**

فقيل له: كيف ذلك، يا بن رسول الله؟

قال: **لأنّ الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحجّ، فلا يقدر على**

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٢٥،ص ٢٨٣.

(٢) **بصائر الدرجات**، مصدر سابق: ص ٥٢٧.

(٣) المصدر نفسه.

تـرك عادتـه وعـلى الـرجوع إلى طاعة الله (عزّ وجلّ) أبداً، وإنّ المقصّر إذا عرف عمل وأطاع»[١].

٩ ـ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال للإمام عليّ عليه السلام: «**لولا أنّي أخاف أن يقـال فـيك مـا قالـت النـصارى في المسيح لقلت اليوم فيك مقالة لا تمرّ بملأ من المـسلمين إلاّ أخـذوا تراب نعليك وفضل وضوئك يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك**» [٢].

١٠ ـ عـن عـبد الـرحمن بـن كثـير قـال: «قـال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصـحابه: **لعـن الله المغـيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلّم منها الـسحر والشعبذة والمخاريق، إنّ المغيرة كذب على أبي عليه السلام فسلبه الله الإيمان، وإنّ قـوماً كذبـوا عـليّ. مـا لهم؟ أذاقهم الله حرّ الحديد! فوالله ما نحن إلاّ عبيد الذي خلقـنا واصطفانا، ما نقدر على ضرّ ولا نفع، وإن رحِمنا فبرحمته، وإن عذَّبنا فبذنوبنا، والله مـا لنا على الله من حجّة، ولا معنا من الله براءة، وإنّا لميّتون ومقبورون ومنشرون ومـبعوثون وموقوفـون ومـسؤولون. ويلهـم! مـا لهم لعنهم الله؟ لقد آذوا الله وآذوا رسـوله صلّى الله عليه وآله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحـسين ومحمـد بـن علي صلوات الله عليهم، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله وجلد رسول الله صلى الله عليه؛ أبيت على فراشي خائفاً وجلاً**»[٣].

١١ ـ عـن ابـن أبي عمـير قـال: حدّثنا بعض أصحابنا قال: «قلت لأبي عـبد الله عليه السلام: زعـم أبـو هارون المكفوف أنّك قلت له: **إن كنت تريد**

---

(١) **أمالي الشيخ الطوسي**: ص ٦٥٠.

(٢) **مناقب آل أبي طالب**، مصدر سابق: ج ١، ص ٢٢٧.

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٢٥،ص ٢٨٩.

القديم فذاك لا يدركه أحد، وإن كنت تريد الذي خلق ورزق فذاك محمد بن علي؟ فقال: **كذب عليّ، عليه لعنة الله، ما من خالق إلاّ الله وحده لا شريك له، حقّ على الله أن يذيقنا الموت، والذي لا يهلك هو الله خالق الخلق بارئ البرية»**(١).

١٢ ـ عن عبد الله بن مسكان، قال: «دخل حجر بن زائدة وعامر بن جذاعة الأزدي على أبي عبد الله عليه السلام فقالا له: جعلنا الله فداك، إنّ المفضّل بن عمر يقول: إنّكم تقدّرون أرزاق العباد.

فقال: **والله ما يقدّر أرزاقنا إلاّ الله، وقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري، وأبلغت الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم فعندها طابت نفسي. لعنه الله وبرئ منه.**

قالا: أفنلعنه ونبرأ منه؟

قال: **نعم، فالعناه وابرءا منه، برئ الله ورسوله منه»**(٢).

١٣ ـ قال صالح بن سهل: «كنت أقول في الصادق ما تقول الغلاة. فنظر إليّ وقال: **ويحك يا صالح! إنّا والله عبيد مخلوقون، لنا ربّ نعبده، وإن لم نعبده عذّبنا»**(٣).

وكان الرضا عليه السلام يقول في دعائه: «**اللهم إني بريء من الحول والقوّة ولا حول ولا قوّة إلاّ بك، اللهم إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحقّ. اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك الخلق ومنك الرزق وإيّاك نعبد وإيّاك نستعين، اللهم أنت خالقنا وخالق**

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٢٥، ص ٢٩١.

(٢) **خاتمة المستدرك**، مصدر سابق: ج ٤، ص ١٠٨.

(٣) **مناقب آل أبي طالب**، مصدر سابق: ج ٣، ص ٣٤٧.

آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين. اللهم لا تليق الربوبية إلاّ بك، ولا تصلح الإلهية إلاّ لك، فالعن النصارى الذين صغّروا عظمتك، والعن المضاهئين لقولهم من بريّتك. اللهم إنّا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، اللهم من زعم أنّا أرباب فنحن منه براء، ومن زعم أنّ إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براء منه كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، اللهم إنّا لم ندعُهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدّعون ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾»[1]

١٤ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولن تبلغوا، وإيّاكم والغلوّ كغلوّ النصارى فإنّي بريء من الغالين**»[2].

وغير ذلك من الروايات.

فمن مجموع هذه الروايات يتّضح أنّ المراد الغلوّ عند أهل البيت عليهم السلام هو مجاوزة الحدّ والارتفاع بهم إلى مقام الألوهية، كما يظهر من الروايات التي تنهى عن تأليههم أو رفعهم عن مقام العبودية لله تعالى أو تفويض أمر الخلق إليهم أو القول بأنّهم أنبياء، ونحوها من التعبيرات التي يظهر منها تجاوز حدود بشريتهم عليهم السلام.

الغلوّ في كلمات أعلام الشيعة

ورد تعريف الغلوّ في عدد من كلمات أعلام الشيعة منها:

١ـ الشيخ المفيد: قال: «الغلو هو التجاوز عن الحد والخروج عن

---

(١) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٢٥، ص ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢٥، ص ٢٧٤.

القصد الإفراط في حقّ الأنبياء أو الأئمّة عليهم السلام»[١].

وفي ذيل قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ قال: «إن الله تعالى نهى عن تجاوز الحدّ في المسيح، وحذّر من الخروج عن القصد وجعل ما ادّعته، النصارى فيه غلوّاً؛ لتعدّيه الحدّ»[٢].

٢ــ العلاّمة المجلسي: قال: «اعلم أنّ الغلوّ في النبيّ والأئمّة عليهم السلام إنّما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالى في المعبودية أو في الخلق والرزق أو أنّ الله تعالى حلّ فيهم أو اتّحد بهم، أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمة عليهم السلام أنّهم كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأنّ معرفتهم تغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي»[٣].

٣ــ الطبرسي: «نقل قول جملة من المفسرين في قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أنّ النصارى غلت في المسيح فقالت هو ابن الله... وقيل الإفراط في شأن عيسى عليه السلام وادّعاء ألوهيته»[٤].

وغيرها من الكلمات التي يظهر منها أنّ الغلوّ هو التجاوز عن الحدّ والإفراط في حقّ الأئمّة والأنبياء عليهم السلام وإخراجهم عن حدّ البشرية إلى مقام الألوهية والربوبية.

---

(١) **تصحيح الاعتقاد**، الشيخ المفيد: ص١٠٩.

(٢) **أوائل المقالات**، الشيخ المفيد، ط: إيران تبريز، ١٣٧٠هـ: ص٢٣٨.

(٣) **بحار الأنوار**، مصدر سابق: ج ٢٥، ص ٣٤٦.

(٤) انظر: **مجمع البيان** للطبرسي: ج٢ تفسير الآية: ١٧١ من سورة النساء.

الغلوّ في روايات وكلمات أعلام السنّة

جاء الغلوّ في عدد من روايات وكلمات أعلام السنّة، منها:

١ــ عـن ابن عبّاس قال: «قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله غداة العقبة: **القـط لي حصى**، فلقطت له حصيّات من حصى الخذف، قال: فقال: **بمثل هذا فارموا**. ثم قال: **إيّاكم والغلو في الدين**»[1].

وأخـرج أحمـد بـن حنـبل في مـسنده أنّ رسـول الله صلّى الله عليه وآله قال: «**إيّاكم والغلوّ في الدين، فإنّما هلك من كان قبلكم بالغلوّ في الدين**»[2].

ابـن حجر الهيثمي قال: الغلوّ: «المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحدّ»[3].

ابن تيمية: قال: «الغلوّ: مجاوزة الحدّ بأن يزاد في الشيء في حمده، أو ذمّه، على ما يستحقّ ونحو ذلك»[4].

الأشـعري قـال: «الغالـية سـمّوا لأنّهـم غلـوا في عـليّ وقالـوا فيه قولاً عظيماً»[5].

الـشهرستاني قـال: «والغلاة هؤلاء هم الذين غلوا في حقّ أئمّتهم حتى أخـرجوهم مـن حـدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية؛ فربّما شبّهوا

(١) **المصنف**، ابن أبي شيبة الكوفي: ج ٤، ص ٣٣١.

(٢) **مسند أحمد**: ج١ ص٢١٥.

(٣) **فتح الباري**، ابن حجر الهيثمي: ج١٣ ص٢٧٨.

(٤) **اقتضاء الصراط المستقيم**، ابن تيمية: ج١ ص٢٨٩.

(٥) **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ص٢١.

واحداً من الأئمّة بالإله، وربّما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلوّ والتقصير، وإنّما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى؛ إذ اليهود شبّهت الخالق بالخلق، والنصارى شبّهت الخلق بالخالق، فسَرتْ هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت بأحكام الإلهية في حقّ بعض الأئمّة»[(١)].

الآلوسي قال: «الغلوّ يتجاوزه الحدّ والإفراط المنهيّ عنه»[(٢)].

والحاصل من جميع ما تقدّم من تعاريف واستعمالات لمفردة الغلوّ في القرآن وروايات الفريقين يظهر أنّها تلتقي جميعاً في تحديد مفهوم الغلوّ بأنّه التجاوز عن الحد وإخراج المخلوق من حدود الإنسانية والبشرية إلى حدّ الألوهية ووصفه بأوصاف الإله.

ضابطة الغلو

من جميع ما تقدّم يمكن تلخيص ضابطة الغلو والخروج عن الحد بما يلي:

١ـ رفع البشر إلى درجة الألوهية.

٢ـ عبادة البشر.

٣ـ ادعاء النبوّة لغير من ثبتت نبوّته، كما هو الحال بالقول بنبوّة الأئمّة عليهم السلام.

---

(١) **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤: ج١ ص٢٨٨.

(٢) **روح المعاني**، مصدر سابق: ج٣ ص٥٩٣.

٤ـ القول بتفويض أمر الخلق إلى أحد من البشر سواء كان نبياً أم إماماً بالاستقلال.

٥ـ القول بتناسخ أرواح الأئمة عليهم السلام.

٦ـ القول بأزلية أرواح الأئمة عليهم السلام.

الولاية التكوينية لأهل البيت خارجة من دائرة الغلو

بناء على ما تقدّم يتّضح بطلان الدعوى القائلة أنّ الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام نحو من التفويض وهو من الغلو.

ولكي يتّضح ذلك ينبغي تقديم مقدّمة تساهم في الوصول إلى المطلوب وتحول دون الوقوع في الالتباس.

مقدّمة: في أقسام التفويض

من المعلوم أنّ التفويض تارة في عالم التكوين وأخرى في عالم التشريع وسوف نتناول أولاً البحث عن أقسام التفويض في عالم التكوين.

أقسام التفويض في عالم التكوين

ينقسم التفويض للأمور التكوينية إلى قسمين:

الأول التفويض الاستقلالي: والمقصود منه أنّ الله تعالى فوض للنبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أمر الخلق وأعطاهم السلطنة المطلقة في التصرّف على نحو الاستقلال والأصالة، فهم يفعلون ما يشاءون ويعملون ما يريدون باستقلال عن قدرة الله تعالى.

فالله تعالى ترك لهم الأمر ليتصرّفوا فيه كيف يشاءون، فيخلقون ويميتون ويرزقون من دون الحاجة إلى قدرة الله تعالى وإذنه.

وهذا المعنى من التفويض هو الذي ذهب إليه الغلاة، مدّعين أنّ الله

تعالى فوض أمر العالم للنبيّ وأهل بيته استقلالاً وبالأصالة.

القسم الثاني: التفويض بإذن الله تعالى. والمقصود منه هو أنّ الله تعالى أعطى للنبيّ والأئمة عليهم السلام الولاية والقدرة على التصرّف في الأمور التكوينية، ولكن مقيّدة بإذنه تعالى، فهم لا يفعلون شيئاً إلاّ بإذن منه تعالى، فهم يخلقون ويحيون ويميتون، لكن لا بنحو مطلق، وإنّما بإذن الله تعالى.

نقد مقولة التفويض الاستقلالي

بعدما اتّضحت المقدّمة نقول إنّ التفويض بنحو الاستقلال باطل بل مستحيل، وقد قامت الأدلّة العقلية والنقلية على بطلانه، لأنّ تفويض البشر في التصرّف في الكون بنحو الاستقلال عن قدرة الله تعالى يعني الخروج عن سلطان الله وقدرته، وقيام البشر بالتصرّف في عرض تصرّف الله تعالى وقدرته، مما يستلزم إثبات الشريك له سبحانه.

وقد توافرت النصوص القرآنية في الدلالة على بطلان هذا السنخ من التفويض، بشكل واضح وصريح، مؤكّدة في الوقت ذاته أنّ كلّ إنسان سواء كان نبيّاً أم إماماً فهو محتاج إلى الله تعالى في كلّ آن آن ولا يمكن الخروج والاستقلال عن قدرة الله الواحد القهار، مضافاً إلى استلزامه تعطيل الذات الإلهية المقدّسة.

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[2].

---

(١) الأنعام: ١٠١.

(٢) فاطر: ١٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

وغيرها من الآيات التي تؤكّد المضمون ذاته.

ومما ينبغي التذكير به أنّ ما يدعيه الغلاة من التفويض الاستقلالي الذي قامت الأدلّة على بطلانه، هو عين ما ذهبت إليه المعتزلة في بحث القضاء والقدر، وهو أنّ الله تعالى فوّض الأفعال إلى العباد مع استقلالهم بالقدرة عليها، فهم يفعلون ما يشاءون، من دون الاستعانة بقدرة الله تعالى. وهو أمر موفوض لدى مذهب الإمامية القائلين بالأمر بين الأمرين، كما ثبت في محلّه.

وبهذا يتّضح بطلان ما يدّعيه الغلاة من إثبات التفويض المستقل للنبي صلّى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام، لاستلزامه عزل الله تعالى عن سلطانه وإثبات الشريك له تعالى.

أمّا التفويض المقيّد بإذن الله تعالى، فلا مانع منه، وقد حدّثنا القرآن الكريم في عدّة آيات على إعطاء الأنبياء عليهم السلام أو بعض الناس الولاية والقدرة في التصرّف في الأمور التكوينية بإذنه تعالى، وبملاحظة النصوص القرآنية المتقدّمة التي تثبت الولاية التكوينية للأنبياء والأوصياء نجد أنها تصرح أنّ كلّ ما قام به الأنبياء أو الأولياء مقيّد بالإذن الإلهي، وليس على نحو الاستقلال.

ومن هنا يتّضح أنّ ولاية أهل البيت عليهم السلام التكوينية وقدرتهم على

---

(١) البقرة: ١٠٢.

التـصرّف في الكـون لا تـستلزم شيئاً من الغلو، لأنها بإرادة وإذن منه تعالى، وقد صرحت بذلك الروايات المتقدّمة.

فكـلّ مـا حظـي بـه أهـل البـيت عليهم السلام من مقامات رفيعة ومنزلة وكـرامة عـند الله تعالى من قبيل الولاية لهم عليهم السلام ونحوها من المقامات التـي أفاضـها تعـالى علـيهم، خارجـة عـن دائـرة الغلو؛ لأنّ القول بثبوت الـولاية التكوينـية لهـم عليهم السلام بإذن منه تعالى ليس تجاوزاً وتخطّياً لحدود البـشرية، إلى حدود الألوهية؛ لأنّ جميع ما عندهم عليهم السلام هو من نعم الله علـيهم، فـلا يملكـون لأنفسهم شيئاً، قبال الله تعالى. فهم يعلمون بإذن الله ويتـصرّفون في الـتكوين بإذن الله تعالى... فهم عباد مكرمون لا يقدرون إلاّ ما أقدرهم الله عليه.

نعـم، إنّ مـثل هـذه المقامات الرفيعة لأهل البيت عليهم السلام وما جرت عـلى أيديهم من معجزات قد تبدو غريبة لكثير من الناس، لكن هذه الغرابة تـزول بعـد الـتوجّه إلى عجـز الخلـق عـن معـرفة كـنههم وحقيقتهم، التي يـستحيل الإحاطة بها إلاّ ممن هو بمنزلتهم أو أعلى، وهو الله تعالى؛ لذا ورد في الرواية عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «**يا عليّ ما عرف الله إلاّ أنا وأنت، وما عرفني إلاّ الله وأنت، وما عرفك إلاّ الله وآنا**»[١].

وكـما قـيل في علـم المـنطق: «يجـب أن يكون المعرِّف أجلى وأوضح من المعـرَّف» وإلاّ فـلا تـتمّ المعرفة بشكل كامل. قد وردت جملة من الروايات ترشـد الناس أن (**لا تقولـوا فينا ربّاً وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا**)، مضافاً إلى ما تقدّم من روايات أخرى بلسان (**أنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك**

---

(١) **مختصر بصائر الدرجات**، الحسن بن سليمان الحلي: ص ١٢٥.

مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان)، وعلى هذا الأساس ينبغي للمؤمن أن لا يتعجّل في ردّ ما ورد عنهم من فضائلهم ومعجزاتهم ومقاماتهم، إلاّ إذا كان ما نسب إليهم عليهم السلام مما يقع في نطاق المستحيلات العقلية أو كونه خلاف ضرورة الدين.

خلاصة الفصل الخامس

الغلوّ في اللغة هو مجاوزة الحدّ، أمّا ضابطة الغلوّ في الشريعة، كما ورد في النصوص القرآنية والروائية فهو ما يلي:

رفع البشر إلى درجة الألوهية، وعبادة البشر، وادعاء النبوّة لغير ما ثبتت لهم النبوّة، والقول بتفويض أمر الخلق إلى أحد من البشر سواء نبيّا أم إماما بالاستقلال.

الولاية التكوينية لأهل البيت عليه السلام وكذلك ما حظي به أهل البيت عليهم السلام من مقامات رفيعة ومنزلة وكرامة من الله تعالى، كلّها خارجة عن دائرة الغلو، لأنّ ولايتهم التكوينية عليه السلام ليست تخطّياً لحدود البشرية إلى حدود الألوهية ؛لأنّ ولايتهم التكوينية بل جميع ما عندهم هو من الله تعالى وبإذنه.



الفهارس العامة

(١) فهرس الآيات

(٢) فهرس الأحاديث

(٣) فهرس المصادر

(٤) فهرس المحتويات

فهرس الآيات

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة غافر

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الأحقاف

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر

١ **أوائل المقالات**، الشيخ المفيد، ط: إيران تبريز، ١٣٧٠هـ.

٢ **امتاع الأسماع**، للمقريزي (ت: ٨٤٥ هـ)، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٩٩٩ م.

٣ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٤ **البداية والنهاية**، ابن كثير، ١٩٨٨ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

٥ **بصائر الدرجات**، محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، طهران.

٦ **البيان في تفسير القرآن**، السيد الخوئي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥ م، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٧ **تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، ١٤١٥هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٨ **تحف العقول**، ابن شعبة الحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الخامسة، ٤١٧هـ، قم.

٩ **تصحيح الاعتقاد**، الشيخ المفيد.

١٠ **تفسير الصافي**، الفيض الكاشاني.

١١ **تفسير العياشي**، محمد بن مسعود العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
١٢ **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء.
١٣ **التفسير الكبير**، الفخر الرازي.
١٤ **تقرير غريب القرآن**، فخر الدين الطريحي، تحقيق محمد كاظم الطريحي، طبعة زاهدي، قم- إيران.
١٥ **التوحيد**، الصدوق، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، جامعة المدرسين، قم.
١٦ **التوحيد**، العلاّمة السيد كمال الحيدري، تقرير جواد علي كسار، دار فراقد، ١٤٢١هـ.
١٧ **جامع أحاديث الشيعة**، للبروجردي (ت: ١٣٨٣ هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩ هـ.
١٨ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري.
١٩ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠ **جواهر العقدين**، السمهودي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٥.
٢١ **الحكمة المتعالية**، الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي.
٢٢ **الخصال**، الشيخ الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، قم.
٢٣ **دعائم الإسلام**، القاضي النعمان المغربي.
٢٤ **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، أبو الفضل شهاب الدين

محمود الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٥ **سنن النسائي الكبرى**، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١، ١٩٩١.
٢٦ **شرح أصول الكافي**، للمولى محمد صالح المازندراني، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٧ **شرح الأسماء الحسنى**، للملا هادى السبزواري، منشورات مكتبة بصيرتي، قم – إيران.
٢٨ **صحاح اللغة**، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧ م، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان.
٢٩ **صحيح ابن حبان**، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣ م.
٣٠ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري
٣١ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، ط١، دار الفكر، بيروت.
٣٢ **الصواعق المحرقة**، الهيتمي، ابن حجر، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة عام ١٤٢٠هـ.
٣٣ **الصواعق المحرقة**، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة عام ١٤٢٠ هـ.
٣٤ **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
٣٥ **عوالي اللآلي**، ابن أبي جمهور الأحسائي، تقديم : السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، الطبعة الأولى ١٤٠٣

هـ - ١٩٨٣ م، المطبعة : سيد الشهداء، قم.

٣٦ **عيون أخبار الرضا عليه السلام**، الصدوق، محمد بن الحسين، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٣٧ **عيون مسائل النفس** للشيخ آية الله حسن حسن زاده آملي، انتشارات أمير كبير، طهران.

٣٨ **الغيبة**، الشيخ محمد بن ابراهيم النعماني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق.

٣٩ **الفتاوى الكبرى**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦ .

٤٠ **فضائل الصحابة**، أحمد بن حنبل، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤١ **فيض القدير في شرح الجامع الصغير**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢ **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

٤٣ **الكافي**، الشيخ الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية أفندي، ط٣، ١٣٨٨هـ .

٤٤ **الكشاف**، الزمخشري، ط٢، منشورات البلاغة، قم.

٤٥ **كمال الدين وتمام النعمة**، الشيخ الصدوق.

٤٦ **لسان العرب**، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٧ **اللمعة البيضاء**، للتبريزي الأنصاري، تحقيق هاشم الأنصاري، ١٤١٨ هـ، مؤسسة الهادي، قم.

٤٨ **مجمع البحرين**، الشيخ الطريحي.
٤٩ **مجمع الزوائد**، الهيثمي، نور الدين، نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة عام ١٤٠٨.
٥٠ **المحاسن**، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٥١ **مستدرك سفينة البحار**، الشيخ علي النمازي الشاهرودي.
٥٢ **مشارق أنوار اليقين**، الحافظ رجب البرسي، تحقيق: السيد علي عاشور، ١٤١٩هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.
٥٣ **معاني الأخبار**، الصدوق.
٥٤ **المعجم الأوسط**، الطبراني، سليمان بن أحمد، دار الحرمين، القاهرة.
٥٥ **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣.
٥٦ **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلائي.
٥٧ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٨ **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤.
٥٩ **مناقب آل أبي طالب**، ابن شهر آشوب، تحقيق وتصحيح وشرح

ومقابلـة: لجـنة مـن أسـاتذة الـنجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦ م، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٦٠ **الميـزان في تفسير القرآن**، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، قم.

٦١ **نهايـة الحكمـة**، العلاّمـة الطباطبائـي، الطـبعة الأولى، مؤسـسة النـشر الإسلامي، قم.

٦٢ **الـنهاية لابـن الأثير**، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي، الطـبعة الـرابعة، ١٣٦٤ ش، مؤسـسة إسـماعيليان للطـباعة والنـشر والتوزيع، قم — ايران.

٦٣ **نهج البلاغة**، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الذخائر، قم.

٦٤ الهدايـة الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي، الطبعة: الرابعة، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

فهرس المحتويات

الفصل الأوّل

إمكانية توفّر الولاية التكوينية لبعض المخلوقات بإذنه تعالى

الفصل الثاني
الأدلّة القرآنية والروائية على
ثبوت الولاية التكوينية للأنبياء والأولياء

الفصل الثالث

الولاية التكوينية لرسول الله صلّى الله عليه وآله

الفصل الرابع

الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام

الفصل الخامس

الولاية التكوينية لأهل البيت والغلو

الفهارس العامة

صدر لسماحة آية الله العلامة السيد كمال الحيدري

١ . التوحيد.. بحوث تحليلية في مراتبه ومعطياته. بقلم: جواد علي كسار. (جزءان)

٢. معرفة الله. بقلم: طلال الحسن. (جزءان)

٣. أصول التفسير والتأويل؛ مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسّرين (جزءان).

٤. بحث حول الإمامة؛ حوار بقلم: جواد علي كسار

٥. العصمة؛ بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني. بقلم: محمد القاضي.

٦. الشفاعة؛ بحوث في حقيقتها وأقسامها ومعطياتها.

٧. تأويل القرآن: النظرية والمعطيات.

٨. المذهب الذاتي في نظرية المعرفة.

٩. دروس في الحكمة المتعالية (جزءان).

١٠. شرح بداية الحكمة. بقلم: الشيخ خليل رزق (جزءان).

١١. التربية الروحية؛ بحوث في جهاد النفس.

١٢. من الخلق إلى الحق .. رحلات السالك في أسفاره الأربعة. بقلم: الشيخ طلال الحسن.

١٣. بحوث في علم النفس الفلسفي. بقلم: عبدالله الأسعد.

١٤. مدخل إلى مناهج المعرفة عند الإسلاميين.

ويشمل الرسائل التالية:

* التفسير الماهوي للمعرفة (بحث في الوجود الذهني).

* نفس الأمر وملاك الصدق في القضايا.

* المدارس الخمس في العصر الإسلامي.

* منهج الطباطبائي في تفسير القرآن.

* خصائص عامة في فكر الشهيد الصدر.

١٥. عصمة الأنبياء في القرآن. بقلم: محمود نعمة الجياشي.

١٦. يوسف الصدّيق.. رؤية قرآنية. بقلم: محمود الجياشي.

١٧. التفقه في الدين. بقلم: الشيخ طلال الحسن

١٨. التقوى في القرآن؛ دراسة في الآثار الاجتماعية

١٩. مفهوم الشفاعة في القرآن. بقلم: محمد جواد الزبيدي.

٢٠. التوبة .. دراسة في شروطها وآثارها.

٢١. مناهج بحث الإمامة بين النظرية والتطبيق. بقلم: الشيخ محمد جواد الزبيدي.

٢٢. مقدّمة في علم الأخلاق.

وقد جمعت الكتب (١٩ ـ ٢٢) في كتاب مستقلّ بعنوان:

٢٣. (في ظلال العقيدة والأخلاق)

٢٤. الإعجاز بين النظرية والتطبيق. بقلم: محمود الجياشي.

٢٥. لا ضرر ولا ضرار (بحث فقهي).

٢٦. القطع؛ دراسة في حجيته وأقسامه. بقلم: الشيخ محمود نعمة الجيّاشي.

٢٧. الظنّ؛ دراسة في حجيته وأقسامه. بقلم: محمود الجيّاشي.

٢٨. العرفان الشيعي.. رؤى في مرتكزاته النظريّة ومسالكه العمليّة. بقلم: الشيخ خليل رزق.

٢٩. معالم التجديد الفقهي؛ معالجة إشكالية الثابت والمتغيّر في الفقه الاسلامي. بقلم: الشيخ خليل رزق

٣٠. الدروس (شرح الحلقة الثانية للسيد محمد باقر الصدر).

في أربعة أجزاء، بقلم: علاء السالم.

٣١. مدخل إلى الإمامة.

٣٢. الثابت والمتغيّر في المعرفة الدينيّة. بقلم: الدكتور علي العليّ.

٣٣. الفلسفة؛ شرح كتاب الأسفار الأربعة (الإلهيّات بالمعنى الأعمّ). الجزء الأول. بقلم: الشيخ قيصر التميمي.

٣٤. علم الإمام؛ بحوث في حقيقة ومراتب علم الأئمّة المعصومين. بقلم: الشيخ علي حمود العبادي.

٣٥. الراسخون في العلم؛ مدخل لدراسة ماهية علم المعصوم وحدوده ومنابع إلهامه. بقلم: الشيخ خليل رزق.

٣٦. فلسفة الدين؛ مدخل لدراسة منشأ الحاجة إلى الدين وتكامل الشرائع. بقلم: الشيخ علي العبادي.

٣٧. فلسفة صدر المتألهين قراءة في مرتكزات الحكمة المتعالية. بقلم: الشيخ خليل رزق.

٣٨. المثل الإلهيّة.. بحوث تحليلية في نظرية أفلاطون. بقلم: الشيخ عبد الله الأسعد.

٣٩. شرح نهاية الحكمة.. الإلهيّات بالمعنى الأخصّ. بقلم: الشيخ علي حمود العبادي. (جزءان).

٤٠. اللباب في تفسير الكتاب (الجزء الأول: تفسير سورة الحمد).

٤١. كمال الحيدري؛ قراءة في السيرة والمنهج. إعداد الدكتور حميد مجيد هدّو.

٤٢. المعاد؛ رؤية قرآنيّة. بقلم الشيخ خليل رزق. (جزءان)

٤٣. المنهج الفقهي عند العلامة الحيدري. بقلم الدكتور طلال الحسن.

٤٤. المنهج التفسيري عند العلامة الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن.

٤٥. بحوث عقائدية (١-٣).

٤٦- بحوث عقائدية (٤-٦).

وتم - بتوفيق الله تعالى - طبع العناوين الخمسة والعشرين الأولى من هذه الكتب في دورة من (٢٥) مجلدا، في «دار فراقد للطباعة والنشر» بقم المقدسة، سنة ٢٠٠٧م / ١٤٢٨ هـ تحت عنوان: مجموعة العلامة الحيدري.